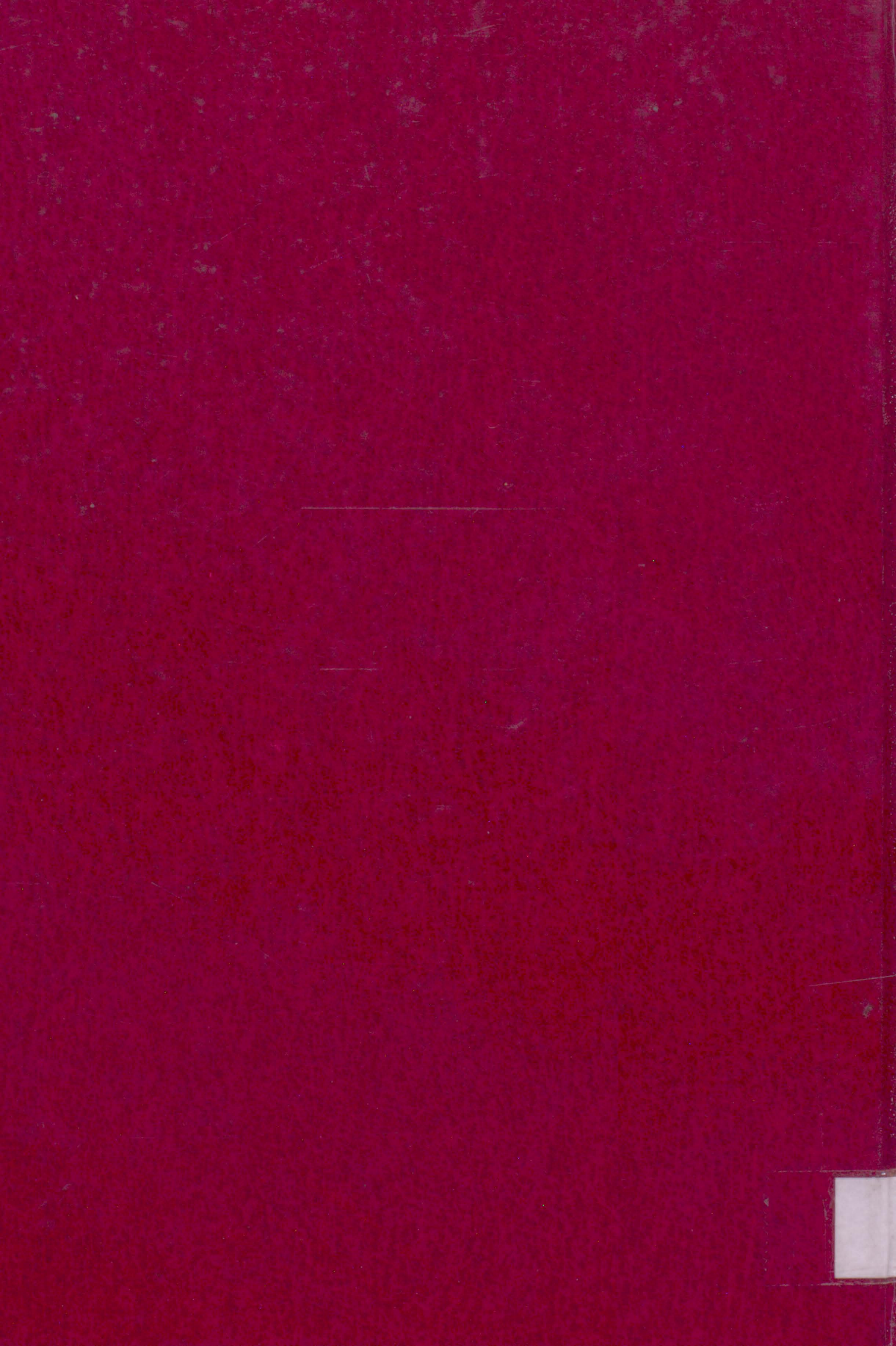


المشكلات الاجتماعية والتربوية

(تشخيص - علاج - وقاية)

دكتور
جبارة عطية جبارة
أستاذ علم الاجتماع المساعد
كلية التربية - جامعة الملك فيصل

١٩٨٦

دار المعرفة الجامعية
٤٠ شارع سوتر - الأزاريطة
الإسكندرية

« ربنـا اجعلنى مقيم الصـلاة ومن ذريتى ربنـا وتقبل دعاء ربنا اغفر لى ولوالدى وللمؤمنين يوم يقوم الحساب » .

صدق الله العظيم

تصـــدير

اذا كنت أتقدم باهداء هذا العمل المتواضع الى روح والدى العزيز الذى وافاه الأجل وأنا خارج أرض الوطن كي أكون أحد أعماله الباقية بعد رحيله رحمه الله ، فان هناك من دفع هذا العمل كي يصل الى صورته الحالية بداية فى التفكير في اعداده منذ أكثر من ست سنوات ، ووصولا لما هو عليه الآن .

بادىء ذى بدء أسجد لله شكراً وحمداً أن وفقنى فى مسيرة حياتى حتى اخراج هذا الكتاب ، وأدعوه أن يقف معى دوما ويبعدنى عن الزلل . كما أذكر بالعرفان والتقدير الوالد والمثل الأعلى سعادة الأستاذ الدكتور السيد محمد بدوى لتأثيره الذى لا ينكر خلال مراحل حياتى العملية ، وكذلك عميد السوسيولوجيين العرب فى العصر الحديث سعادة الأستاذ الدكتور محمد عاطف غيث ، وسعادة الأستاذ الدكتور غريب محمد سيد أحمد ، وسعادة الأستاذ الدكتور عبد الباسط محمد حسن ، وسعادة الأستاذ الدكتور حسن شحاتة سعفان .

كما لا أنسى من دفع لاتمام اخراج هذا الكتاب بصورته النهائية فى هذه المرحلة سعادة الأستاذ الدكتور السيد على شتا رئيس قسم الدراسات الاجتماعية بكلية التربية جامعة الملك فيصل ، فأذكره عرفانا وتقديراً وشكراً .

كما أسجل لبراعم اليوم وأمل الغد ان شاء الله ، أخـــوتى وأصدقائى وأحبابى ، أبنائى : هانى (١٩٧٦م) ، ومروة (١٩٨٠م) ، ومحمد (١٩٨٢م) ... دفعتهم لى منذ صرخاتهم الأولى وضحكاتهم ونظراتهم المتطلعـــة الى مستقبل باسم وزاهر بعونه تعالى .

وفى الختام أذكر من كانت بصماتها تغلف كل حرف من هذا العمل ، من سهرت وبذلت الجهد وتنازلت عن الكثير والكثير دفعاً لى وتشجيعاً ، من كانت نظراتها الناقدة سبيلا لتكامل هذا الكتاب ، إلى زوجتى وشريكة حياتى وصديقة عمرى السيدة / أنوار ، تقديرى واعزازى .

ولا أنسى القارىء العزيز سواء كان طالبا يبغى المزيد من العلم ، أو متخصصاً يدقق ويفحص وينقد ، أو قارئا غير متخصص يستزيد من المعرفة .. لهم جميعا تقديرى ، وسعادتى ستكون غامرة لو تلقيت أو طالعت رأيهم الموضوعى فى هذا العمل .

وفقنا الله لعمل ما ننفع وننتفع به ، وهيأ لنا من أمرنا رشدا

دكتور

جباره عطية جباره

الهفوف فى : ١٧ مارس ١٩٨٥

مقدمة الكتاب

شهدت المرحلة الأخيرة من هذا القرن ازدهاراً ملحوظاً فى حركتي التأليف والترجمة في المجالات الاجتماعية المختلفة وخاصة المجال السوسيولوجى ، بحيث أصبحت المكتبة العربية تزخر بالعديد من الكتب المرجعية والمدرسية في شتي المجالات ، الا أن مجال المشكلات الاجتماعية لم يحظي بنصيب وافر من هذه المؤلفات والتراجم ، اللهم من خلال بعض الاشارات داخل هذه الكتب ، ومن هنا نبع التفكير فى اخراج هذا العمل منذ عدة سنوات حيث بدىء التنقيب عن المادة العلمية ، الى أن تبلورت الفكرة الموضوعية والمنهجية ، والتي يخرج على أساسها هذا الكتاب .

فقد رؤى أن يستند هذا العمل أساسا على الموضوعية التامة فى عرض موضوعه الحساس « المشكلات الاجتماعية » وذلك من واقع الكتابات فى هذا المجال والتي يمثل وجهات أيديولوجية معينة تفسر وتقوم على أساسها – كل في وجهته – عوامل قيام المشكلات وأبعاد الحل ، بما يبعد بها عن الموضوعية العلمية والنزاهة واستبعاد الأفكار السابقة ، وهذا ما روعى فى هذا الكتاب ووضع كأساس يستند عليه هذا العمل .

كما وجدنا أن كافة المشكلات الاجتماعية تعود فى أساسها الى عوامل التربية والتنشئة الاجتماعية ، ومن هنا آثرنا أن يكون هذا الكتاب عن « المشكلات الاجتماعية والتربوية » باعتبار أن المشكلات التربوية جزء من أجزاء المشكلات الاجتماعية من جهة ، ومن جهة أخرى لا تنشأ مشكلة اجتماعية الا وأساسها أو متغيرها المستقل الأول تعقيد أو توتر تربوى .

المكونات النفسية للجماعات والرواسب والمشتقات والفعل الاجتماعى .

أما الباب الثانى « التشخيص السوسيولوجي للمشكلات » ، فانه يأتى منطقيا عقب الباب الأول ، فاذا كانت أبعاد العلية الاجتماعية قد أشارت فى عموميات الى العوامل المؤدية الى النوعيات المختلفة للمشكلات الاجتماعية التي تدخل في نطاقها كذلك المشكلات التربوية ، فان المزاوجة الفردية بينهما تجعل من المهم الدخول الى أعماق هذه المشكلات والتعرف على الأنماط التى تشملها ، وذلك من خلال فصلين يشتمل عليهما هذا الكتاب :

١ — يبدأ الباب بالفصل الخامس الذى يعرض لمجالات ومشكلات التوتر والتفكك الأسرى ، من حيث توضيح المفاهيم السوسيولوجية للاسرة ثم التعرض للمجال الداخلى لدراسة الأسرة ، ثم مناقشة مشكلات الزواج منذ التخطيط والاعداد له وحتى داخل بيت الزوجية فى مراحل الحياة الأسرية المختلفة ، ثم يستعرض أبعاد التفكك الأسرى الذى يتم بحدوث الطلاق ، مع البحث في أسباب الطلاق ومشكلات ما بعد الطلاق .

٢ — ويتطرق الفصل السادس الى المدرسة ومشكلاتها ، بحيث يبدأ بشرح وظيفة المدرسة الأساسية فى التربية والتنشئة الاجتماعية من جهة ودورها فى بناء الشخصية من جهة ثانية . ثم دور المدرسة كوسيلة من وسائل الضبط الاجتماعى ، وينتهى الفصل بعرض للمشكلات المدرسية بكافة أنماطها .

أما الباب الثالث والمعنون « علاج المشكلات والوقاية منها » يستكمل به استعراض الأبعاد السوسيولوجية للمشكلات الاجتماعية التربوية ، وذلك بوضع الأسس الكفيلة بالقضاء على هذه المشكلات فى حالة وجودها ، ومحاولة

الحد من تفشى ظهور العوامل المؤدية إليها حتى لا تظهر فى حال إنعدامها أو كونها وبهذا يهتم هذا الباب فى جوهره بجانبي الوقاية والعلاج من خـــلال فصلين :

١ ـ الفصل السابع « الضبط والإنضباط : وقاية وعلاج » ويبدأ بايضاح البعد التعريفى للضبط الإجتماعي ، ثم يربط سوسيولوجيا بين الضبط الاجتماعى من جهة وبين الثقافة كضروريات لإشباع كافة الحاجات المادية واللامادية من خلال كل من النمط الثقافى والتنوع الثقافى من جهة اخرى ، تليها محاولة حصر مصــادر الضبط الاجتماعى فى مجال التربية والتنشئة الاجتماعية والمعــايير الاجتماعية ، ثم إستعراض أنماط الضبط الاجتماعي فى صوره الرسمية وغير الرسمية وفرعياته الايجابية والسلبية ، وأخيراً وســائل الضبط الاجتماعى والمتمثلة فى الأسرة والمدرسة وغيرها .

٢ ـ الفصل الثامن « الاعلام وسيلة ضبط وإنضباط » ، وقد تم التركيز على الاعلام باعتباره أحد المحكات الرئيسية والأساسية في عالم الربع الأخير من القرن العشرين ، ونبدأ بعرض البعد التعريفى للاعلام ووظائفه ، ثم نتعرض لتطور وأهمية الاعلام كوسيلة ضبط وانضباط ، مع إيضاح الأنماط ووسائل الاعلام ، وأخيراً نوضح أبعاد الاعلام باعتباره ، عملية دينامية متحركة .

الباب الأول

العلية الاجتماعية للمشكلات

الفصل الأول التغير والنمو

الفصل الثاني : التخلف

الفصل الثالث : التطورية التاريخية

الفصل الرابع : العلية السيكوسوسيولوجية



الباب الأول

العلية الاجتماعية للمشكلات

تعتبر دراسة العلية الاجتماعية من أهم وأكثر الموضوعات التي شغلت الباحثين والعلماء في شتى المجالات الاجتماعية النفسية منها والتربوية والسوسيولوجيه والاقتصادية وغيرها مهما تعددت اتجاهاتها ، وإذا كانت الأهمية ضرورية لدراسة العلية الاجتماعية في فرعيات هذه المجالات ، إلا أنها تعتبر أكثر أهمية في مجال المشكلات الاجتماعية والتربوية ، وذلك للاعتبارات الآتية :

١ ـ أن الباحث في مجال المشكلات الاجتماعية والتربوية حين يبدأ في تحديد منهجه في دراسة المشكلة أو المشكلات يتحقق باديء ذي بدء من واقعيتها ، وحينئذ يجد نفسه وسط مجموعة من المتغيرات المترابطة والمعقدة كأساسيات أو فرعيات من الضروري الالمام بها كسبب ومسبب وإضافتها إلى خطته المنهجية حتى يتمكن من سبر غور المشكلة أو المشكلات موضوع البحث ، ومن هنا يتحتم عليه التعرض للعلية الاجتماعية في هذا المجال وصفا وتحليلا وتفسيرا .

٢ ـ تتطلب النظرية الاجتماعية التأطير العاملي الدقيق للموضوع أو الفرض الأساسي ، بمعنى التحديد الدقيق للنتيجة السلبية أو الايجابية من التطبيق الميداني الاجتماعي حسب الأساليب والأدوات الموضوعة لفروض دراسة زوايا المشكلة ، وهذا التأطير لا يكون تاما إلا إذا شمل العمليات المحددة لموضوع النظرية المبرهن على فرضياتها سلفا .

٣ ـ غالبا ما يقع المجتمع تحت تأثيرات التطور والتغير فى بعض إن لم يكن فى كل البناءات أو النظم التي تكون أبعاده ، وبالتالى يصيب الأسباب والمسببات تغيرات جوهرية سواء فى جوهرها المنصوص عليه قبل التغير ، أو من حيث إدخال عمليات أخرى لم تكن موجودة فى أبعاد الظاهرة المحددة قبلا ، فيكون التشخيص الدقيق ـ وخاصة في مجال المشكلات الاجتماعية والتربوية ـ محدداً للظروف الكافية للظاهرة تأثيراً بتحديد دقيق يراعي فيه التغير المتوقع أو غير المتوقع حدوثه ، ولا يتم ذلك إلا بالالمام بالعلية الاجتماعية في المجالات المشار إليها .

ولتحديد العلية الاجتماعية للمشكلات يلزم الالمام ببعض المنظورات التي سيتحدد بها هذا الباب ، ففى البداية يتعين المدخل بالربط بين التغير الاجتماعى والنمو الاجتماعى من واقع تأثر النظم الاجتماعية بالتكنولوجيا كمتغير أساسى في عالم اليوم الذى فصل بين مجموعتين من مجتمعاته ، الأولى هى المجتمعات المتقدمة والثانية هى المجتمعات النامية ، ولعل الربط بين مشكلات كليهما وعواملها يثرى هذا المدخل ، وبالتالى يعالج المدخل الضرورة التي تحكم المتغير مع نظرة نقدية تحدد أبعاد الربط بموضوعية ، هذا من جهة ، ومن جهة أخرى نعرج على التخلف ثقافيا كان أو اجتماعيا من منطلق كونه عليا مرتبطا بحدوث المشكلة وتطورها فى خط التفكك مع عرض لصعوبات التطبيق فى كافة أنماط المجتمعات المحلية سبرا لغور أى سلبيات في تحديد العلية الاجتماعية للمشكلات . ومن جهة ثالثة يلزم عرض أبعاد التطورية التاريخية للمشكلة وما أصاب أسبابها ومسبباتها من تعديلات أو تغيرات ، وفي هذه الوجهة العديد من الاتجاهات لعل أهمها ـ وهو ما سيتم التعرض له ـ إتجاه المراحل

التاريخية غير المعروفة واتجاه المراحل التاريخية المعروفة ، واتجاه الانتقال بالتطورية التاريخية من البسيط إلى المركب ، واتجاه أصحاب التطور الدورى سواء من منهم ممن ينادون بالتعاقب المستمر المغلق أو ممن يفضلون التعاقب المتداخل المغلق . ومن جهة أخيرة نعرض للعلية السيكوسوسيولوجية من خلال أبرز علمائها بداية بابن خلدون واتجاهه نحو مكونات الطبيعة البشرية ، ثم جامبلوفكز وتفضيله لصراع المكونات النفسية للجماعات ، ثم فلفريد و باريتو وفكرته عن الرواسب والمشتقات ، وأخيرا تالكوت بارسونز ونظريته في سيكولوجية الفعل الاجتماعى .

الفصل الأول

التغير والنمو

- تمهيد
- المفاهيم الأساسية :
  1 - التطور
  2 - التقدم
  3 - التغير
- التكنولوجيا والتغير
- سوسيولوجية النمو
- نظرة نقدية



التغير والنمو

تمهيد

افتقد اميل دوركايم Emil DurKheim ـ كأول مساهم فى ابراز العلية الاجتماعية للمشكلات ـ ادخال عنصر التغير كسبب للمشكله الاجتماعية أوحتى كعامل مساعد فيها [١] وكذلك كان حال من تأثروا به من أعضاء المدرسة الاجتماعية الفرنسية وجميع الباحثين فى علم دراسة الإنسان المحددين داخل إطار المدرسة الوظيفية ويرون أن بناء المجتمع لا يتأثر إلا بالترتيبات أو الإجراءات أو التنظيمات الداخلية التي تعين حركة الأفراد ، أما وجود المشاكل أو إتساع نطاقها فليس له أدنى تأثير من منطلق أن الأنساق الاجتماعية Social System أو القوالب الأساسية للنظام الاجتماعي تظل قائمة من حيث كونها محددات لنشاط الانسان ومحققات للأهداف العليا للمجتمع الانسانى . ومن استقراء هذه النظريات وتتبع التطور الفكرى السوسيولوجي يتبين أن علماء الاجتماع

---

١) يمكن استخلاص ذلك فى تقسيم اميل دوركايم لظواهر المجتمع إلى ظواهر صحية وأخرى مرضية ، وكذلك فى دراسته عن الانتحار وتقسيمه اياه إلى انتحار أنانى وانتحار غيرى وانتحار لا معيارى ، وفيها جميعا يظهر المنتحر بأنه شخص انعزل عن المجتمع وخطط لنفسه مصيرا ارتضاه لنفسه . أنظر فى ذلك :

— DurKheim, E , Les Regles de la Methode Sociologique, Paris, 1928.

— DurKheim, E , la Sucide, Paris, 1936.

فى عالم الثلث الأخير من القرن العشرين – على إختلاف إتجاهاتهم وآرائهم وأيديولوجياتهم – وجدوا أن الموضوعات التقليدية فى علم الإجتماع بصفه عامه وفى العليه الإجتماعية Souial Causality المشكلات بصفه خاصة أصبحت غير صالحة لإمكان الوصول إلى نظرية متكاملة عن المجتمع الإنسانى من ناحية، أو عن وصف ما هو حادث في مجتمع الانسان المعاصر من ناحيه أخرى (١).

وإزاء ذلك ظهرت أبعاد الخطوط العامه والأساسية الموضوعات التي يجب أن تحظى باهتمام الباحثين السوسيولوجيين، والتي انحصرت في ضرورة التعرف على العامل الضرورى والكافى فى نفس الوقت المؤدى بطريق أو بآخر مباشراً كان أوغير مباشر لوقوع المشكلات الاجتماعية العامة والخاصة، ووجد أن التغير هو القاسم المشترك كعلية أساسيه فى هذا الشأن.

ولإستيضاح ذلك سيتم التعرض للمفاهيم الأساسية للتغير وعلاقتها بمفاهيم أخرى للتطور أو النمو والتقدم، إنتقالا إلى تبيان العامل التأثيرى للتكنولوجيا – كبعد تغييرى اجتماعى – والنظم الاجتماعية السائدة، ثم يتم التطرق إلى وضع نظره سوسيولوجية لمشكلات التنمية فى المجتمعات المسماة بدول العالم الثالث بالتركيز على الاجتماعى منها، وأخيراً ندلى بنظرة نقدية تجمع فى أبعادها نظرية التغير والنمو كعليه اجتماعية للمشكلات.

---

١) جباره عطية جباره ؛ العوامل المسببة المشاكل الاجتماعية، مجلة الثقافة العـــدد ٥٣، السنة التاسعة، الشركة الوطنية للتوزيع والنشر ؛ الجزائر، سبتمبر – أكتوبر ١٩٧٩، ص ٥٣.

المفاهيم الأساسية :

المجتمع مجموعة معقده ومتشابكة من العلاقات والروابط الاجتماعية التى تختلف فيما بينها حتى فى تفاعلاتها سواء كانت بالسلب أو بالايجاب ، والسمة المميزة لهذه العلاقات والتفاعلات أنها لا تبقى على حال أو يؤثر فيها على مر الزمان نمط التراث الحضارى المتوارث تعاقباً من الأجيال المتتالية من جهة ، وجوانب الثقافة المادية واللامادية المتشابكة والمعقدة فى كلية نظيمة من جهة أخرى ، وطبيعة البناء الاجتماعى والتنظيمات الاجتماعية السائدة من جهة ثالثة ، وطبيعة المجتمع نفسه ووظائفه الأساسية والفرعية من جهة رابعة ، وبناء الجماعات والنظم لاجتماعية من جهة أخيرة ، مما يؤكد على بديهية أن المجتمع لا يبقى كما هو على حال واحدة تعهدها الأجيال المتعاقبة ، وانما هو عرضة لمجموعة من الذبذبات التى لا تجعله يستقر على حال ، فحينا يتأخر وأحيانا يزدهر ويتقدم ، وعلى هذا الأساس كان التغير والمجتمع متلازمين .

وقد يلتبس الأمر في مفهوم التغير وما يعنيه ومدى مطابقته أو عـــدم مطابقته لمفاهيم أخرى كالتطور والتقدم ، ومن الملاحظ أن المفاهيم الثلاث من الناحيه اللغوية والتطبيقية تشتمل فى مضمونها على ديناميه ضرورية من خلال كون كل منها تعبيرا أساسيا عن حركة الظاهرة المتغيرة أو المتطورة أو المتقدمة فى اتجاه معين يختلف عن نقطة البدء . وتبعا لذلك فانها لا تقف عند الاتجاه الذى وصلت اليه بل تستمر فى حركتها صعودا أو هبوطا فى المجال الاحداثى البيانى السلبي أو الايجابى ولا تثبت إلا بوصولها لحالة العدم من الديالكتيكية العقلية أو مرحلة الوجود فى كمون حتى تتاح لها الفرصة فى الوجود بالفعل فتمارس حركتها مرة أخرى وهكذا .

وإذا أراد الباحث التعمق فى أغوار المفاهيم الثلاث مع الوضع فى الاعتبار إشتراكها فى الدينامية المشار إليها ، فان التعبير السوسيولوجى عنها يجعلها مختلفة تمام الاختلاف ، ويتضح ذلك على النحو التالى :

١ ـ التطور (1) Evalution : تصور مؤداه أن جميع الصور الموجودة فى الحياة على اختلاف أشكالها وأنواعها تنتقـــل في حركة ديناميكية ثابتة ودورية فى كل نوعية على حدة وبانتظام تام ومتدرج من الصور الأولية البسيطة إلى صور أكبر تعقيدا مروراً بصور وسيطة بين البساطة والتعقيد ، وفى كل مرحلة من هذه المراحل يحدث تعديل يليه آخر ثم ثالث وهكذا فى الكائن الحى . وللتطور أنماط ثلاث يمكن ايضاحها باختصار فيما يلى :

أ) التطور المنبثق Emergent Evalution ، تصـــور مؤداه انبثاق أشكال جديدة لم يكن لها وجود من اتحاد مجموعة من العناصر الموجودة قبلا فى أشكال قديمة واتحدت فى مركب أو مركبات أدت إلى ظهور الشكل أو الأشكال المنبثقة طبيعية كانت أو حياتية أو اجتماعية أو غيرها تختلف بطبيعة الحال من ناحية الكيف عن سابقتها التي لا يمكن عن طريق دراستهـا فهم المركب الجديد .

---

١) أنظر :

ـ د. السيد محمد بدوى ، التطور فى الحيـاة والمجتمع ، مؤسسة الثقـافة الجامعية ، الاسكندرية ، ١٩٦٦ .

ـ د. محمد عاطف غيث ، قاموس علم الاجتماع ، الهيئة المصرية للكتاب ، الاسكندرية ١٩٧٩ .

ب) التطور الثقافى Cultural Evalution الذى يعنى أن لكل ثقافة أصلا بسيطا غير معقد كان موجودا فى حقب التاريخ الأولى لكل مجتمع ، وإستمر في نمو متعاقب تاريخيا حتي وصل إلى صورته المركبة الحالية التي قد تكون بالنسبة لثقافة نفس المجتمع فى مستقبل بعيد آت أصلا بسيطا سينمو عبر الأجيال التاريخية ليصل إلى الأكثر تركيبا أو تعقيدا وهكذا ، بما يؤكد أن جميع عناصر الثقافة تخضع لفكرة التطور الأحادى .

جـ) التطور الاجتماعى Social Evalution الذى يفترض سلفا أن المجتمع ـ أى مجتمع ـ يسير فى تاريخه من خلال مراحل كبرى تتميز كل منها بتنظيمات ومحددات اجتماعية أكثر تشابكا وتعقيدا من سالفتها ، وبالتالى أعلى منها فى درجة الرقى والاقتراب من السعادة الانسانية المنشودة . أو بمعنى آخر أن المجتمع الانسانى الواحد يميل من خلال تاريخه وعلى المدى البعيد نسبيا إلى تحقيق نمو أرقي باستمرار ، فديمومة الرقي والاقتراب من السعادة واردة بل وحتمية من واقع مفهوم التطور الاجتماعى دونما نظـــر لتحقيق هذه الفرضية امبريقيا .

٢ ـ التقدم (١) Progress إذا كان التطور وهو حركة ديناميكية لا إراديا فى تحقيقه ، فان التقدم وهو أيضا حركة ديناميكية إراديا ، إذ لا

---

١) أنظر :

د محمد الجوهرى وآخرون ، ميادين علم الاجتماع ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٨٠ ، ص ٣٠١ ـ ٣٠٦ .

ـ د. محمد عاطف غيث ، مرجع سابق ، ص ٤١٣ ـ ٤١٦ .

يتطلب التقدم تحديد الفترة أو الحقبة التاريخية لقياس أبعاده خلالها ، إنما المهم التعرف على طبيعة ومستوى التجريد الثقافى المطبق فى المجتمع وتطبيق مؤشر التقدم عليه وفى علم الاجتماع واكبت فكرة التقدم ميلاد علم الاجتماع إذا كان مرحلة تالية مباشرة لفلسفة التاريخ Philosophy of History التي بدأها العلامة العربى المسلم عبد الرحمن بن خلدون ثم فيكو ومن تلاه من فلاسفة التاريخ الذين استقرأوا من ماضى الزمان فى مراحله الغابرة أساسا لقياس المراحل التالية ، ولعل أوجيست كونت A Comte وهربرت سبنسر H. Spencer وهما من علماء الاجتماع كانا أشد المتأثرين بفلسفة التاريخ إذ أسها بنظريات سوسيولوجية تخضع كافة العمليات والعلاقات الاجتماعية لقانون ثابت لا يطرأ عليه أى تعديل .

٣ ـ التغير Change : يختلف التغير كمفهوم عن المفهومين السابقين ، وإن كان يجمع بينها بحيث يمكن القول أن كلا من التطور والتقدم يعتبر تغيرا فى كليته ، بينما العكس غير صحيح ، واذا كان محك المقارنة الفعل الجبرى أو الاختيارى من ناحية ، أو الحركة الديناميكية سلبا أو إيجابا من ناحية أخرى ، فان التغير شأنه كشأن سابقيه حركة تفاعلية دينامية ، الا أنه يتسم بالاختيارية أو الارادية فى الوقوع حتى وان بدا فى حدوثه لا إراديا لبطء الحركة التغييرية فى بعض الأحيان ، الا أن التخطيط له مسبقا يكون مقصودا وإراديا ، وفى هذا الصدد يلاحظ تطابقه مع مفهوم التقدم واختلافه عن مفهوم التطور ، الا أن محك المقارنة الثانى الذى يساوى بين التقدم والتطور فى الحركة المحكوم عليها مسبقا بالايجابية رغم نسبيتها فى حالة التقدم ، يدلنا على اختلاف التغير عنها ، لأن الحركة أو الدينامية الناتجة قد تكون ايجابية

أو سلبية طبقا لمجريات الثقافة المرعية في المجتمع ، والحكم على مدى تقدم أو تأخر هذه الحركة تحدده الأيديولوجية المقيمة، والموضوعية تضع في أعتبارها نسبية الأحكام ويكون المنظور الصحيح بمدى تحقيق الهدف أو الغاية أو عدم تحقيقه .

أما التغير الاجتماعي Social Change فهو مطلح يشير إلى أوضاع جديدة تطرأ على البنـــاء الاجتماعي Social Structure والنظم الاجتماعية Social Institutions والعادات Habits وغيرها نتيجة لتشريع أو قاعدة جديدة لضبط السلوك ، أو كنتاج لتحول جذرى في جانب من جوانب الحياة الاجتماعية أو البيئية ، وهذا النتاج أو تلك الأوضاع كما يبدو من أبعادها هي معالجات أو حلول لمشاكل أو توترات أصابت المجتمع ، وهي أيضا قد تكون أكثر عمقا في تأثيرها من سابقتها ، ومن هنا يلزم التعرف على ماهية الشيء الذى يتغير ثم كيفية حدوث التغيير وإتجاهه ومنسوبه أو معياره والعلية في حدوثه بل والعلية في إمكانية حدوثه والعوامل الرئيسية المؤدية إليه ، وصولا لتحليل سوسيولوجي دقيق لمدى الربط بين التغير والمشكلات .

التكنولوجيا والتغير

يشير مصطلح التكنولوجيا Technology إلى المعرفة المنظمة التي تتصل بالمبادىء والاكتشافات العلمية ، أضافة إلى العمليات الصناعية ومصادر الطاقة وطرق النقل والاتصال الملائمة لانتاج كل من السلع والخدمات [1] ، ومنذ

---

١) نفس المرجع ، ص ٤٨٤ .

ظهور التكنولوجيا بهذا المعنى في العصر الحديث أبان الثورة الصناعية التي أندلعت نتيجة الكشوف العلمية الهائلة في القرون الماضية ، واجه مجتمع الإنسان تغيرات مختلفة وعميقة لم يكن مستعداً لها لا فكريا ولا معنويا ولا ماديا ، الأمر الذى أدى إلى الصراع الايديولوجى الذى لون علوم المجتمع بألوان متعدده ، وجعل إحتمال التقاء هذه الالوان عصيا في وجه سوء الفهم المتبادل [١] ، إلا أن ذلك لا يمنع من أن الدراسات المختلفة الاتجاهات المستهدفة وضع سوسيولوجية للتكنولوجيا كأساس للتغير في النظم الإجتماعية السائده مما يستتبع معه ظهور العديد من التوترات والمشكلات ، هذه الدراسات قد أثرت الفكر السوسيولوجى بما يمكن معه إعتبارها ركيزة للتنبؤ عند حدوث أى طفرة

---

١) الايديولوجيا Ideology نظام الافكار المتداخلة — كالمعتقدات والتقاليد والمبادىء والاساطير وما إليها — التي قد تؤمن بها الجماعة المحددة والمعنية أو أى مجتمع كان وتعكس مصالحها واهتماماتها الإجتماعية والاخلاقية والدينية والسياسية والاقتصادية والنظامية وتبرر في نفس الوقت . وتقوم الإيديولوجيات بمهمة التبريرات المنطقية والفلسفية لنماذج السلوك والاتجاهات والاهداف وأوضاع الحياة العامة السائدة .

لمزيد من التفاصيل أنظر :

— Laland, Vocabulaire Techniqe et Critique de La Philosophie, 1926.

— Mannheim, K., Ideology and Utopia, London, 1936.

— Are dt, H., Totalitarianism, Harvard Univers ty, Cambridge, 1954.

تغييرية فى المستقبل بالتوترات المصاحبة ووضع الأسس والأبعاد الوقائية من تفشيها . وفيما يلى عرض موجز للمبادىء الأساسية التى تحكم العامل التأثيرى للتكنولوجيا – كبعد تغييرى اجتماعى – والنظم الإجتماعية [١] :

١ – بعد إنتشار التكنولوجيا بدأ النظام الأسرى أو العائلى فى التأثر التدريجى ووضوح ذلك عليه جليا كلما إزداد هذا الإنتشار ، وما يعنينا فى هذا المجال التأثير السلبى والذى يمكن إيضاحه باختصار فيما يلى :

---

(١) أنظر :

– د. محمد الجوهرى وآخرون ، دراسة علم الاجتماع ، الطبعة الثانية ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٧٥ .

– جبارة عطيـــة جبارة ، سوسيولوجية العلاقات الانسانية ، دراسة ميدانية عن العلاقات الانسانية في الصناعة بين القطاعين العـــام والخاص بالاسكندرية رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، جامعه الاسكندرية ، ١٩٧١ .

– جبارة عطية جباوة ، الروح المعنوية فى المجتمع الصناعى ، مجلة الثقافة العدد ٤٩ ، السنة التاسعة ، الشركة الوطنية للتوزيع والنشر ، الجزائر يناير – فبراير ١٩٧٩ .

— Haribson, F. & Dubin, R. Patterns of Union Management Relations, State University Prsrsonnel Research Board, 1950.

— Cottrell, W. F.. Deat by Dieselization, in American Sociology Review, Vol. XVI, 1951.

— Whyte, J., ed , Review of Sociology, Analysis of a decade, New York. 1957.

— Gouldner, A , Patterns of Industrial Bureaucracy, The Free Pree Press, Glencoe, 1954

أ) كانت الصناعة قبل إكتشاف الميكنة والآلية وتوسع نطاق التكنولوجيا تقوم على المهارة اليدوية ، وكانت الأسرة المكتفية ذاتيا آنذاك تتعاون فيما بين الأعضاء المكونين لبنائها الاجتماعي لتصنيع احتياجاتها وتسويق الفائض بعد إستبقاء ما يكفيهم ، وكان منتشراً نمط أسرى يطلق عليه الأسرة الصناعية Industrial Family التي يستخدم أفرادها الآلات البدائية في تصنيع منتجاتهم . . هذه الأسرة تم القضاء عليها واختفائها نهائيا وتماما واختفاء العلاقات الوطيدة التي كانت قائمة بين أعضائها والتي كان يدعمها الاعتماد المتبادل بين أعضائها بما لايدع أى مجال للفردية أو الرغبة الاستقلالية لظهور أو حتى التفكير فيها .

ب) بعد أن كانت المرأة تشارك الرجل كفاحه بالعمل معه جنبا إلى جنب مع قيامها في نفس الوقت بأعبائها المنزلية والتربوية ، بسبب تواجد هذا وذلك في مكان واحد داخل المنزل ، دفعتها الظروف الجديدة إلى النزول لموقع العمل ، فضخامة الآلات وكبر حجم المنشآت الصناعية اللذين أدت اليهما التكنولوجيا الحديثة ، لم تجعل الأمر ممكنا أن تنتقل الى المنزل بل ينتقل الى موقعها من يريد المساهمة والاستفادة من العملية الإنتاجية ، مما أدى الي غياب المرأة في فترة من اليوم خارج منزلها مما أثر بدوره على واجباتها المنزلية من جهه وعدم قيامها بواجباتها التربوية حيال أبنائها من جهة أخرى ، فكان اللجوء للمربيات أو دور الحضانة والرضاعة الصناعية ، مما ينتج معه في مستقبل الأيام التفكك الأسرى والهزال الصحى والاستهداف البين للانحلال والانحراف وزيادة شقة الخلاف والتوتر .

جـ) وعلى الجانب الآخر أدى اختلاط الرجال والنساء من أسر مختلفة

معا داخل مجتمع المصنع الى ظهور الاستعداد الغريزى نحو الانجذاب كلاهما للاخر ، مما أدى الى التفكك الأسرى والعائلى بانفصال الزوجين نتيجة لرغبة أحدهما أو كليهما الارتباط بآخر ، أو الى الانحراف وارتكاب الخطايا من جراء الاختلاط . وزيادة حالات الضياع الأخلاقى نتيجة التوتر الفكرى الناتج من خروج أفراد الأســـرة من مقر اقامتهم وتشتتهم فى السعى وراء العمل .

٢ ـ أدى التقدم التكنولوجي السريع والبعيد المدى في العصر الحديث الى تغيير جذرى وشامل فى النظام الإقتصادى (١) ، من حيث استقلال الموارد الإقتصادية وانتقال سمة الفردية اليها بعد ان كانت جمعية الملكية وشاملة من حيث الإنتاجية ، وكبر حجم المنشآت الصناعية وتركبت أو تعقدت العملية التي تقوم بها ، مما أدى الى ظهور ظاهرة التخصص أو تقسيم العمل D.vision of Labour وظهور مراكز القوة لإقتصادية التي أصبحت من

---

١) النظـام الاقتصادى Economic Institution نسق من الأدوار الاجتماعية Social Roles (الأنماط المتكررة من الأفعال المكتسبة التي يؤديها الفرد في موقف تفاعلى معين) والمعايير الاجتماعية Social Norms (المبادىء السلوكية التي يتقبلها أفراد المجتمع وتؤدى الى توافقهم وانضباطهم) التى تنظم انتاج وتوزيع واستهلاك السلع والخدمات . وتتمثل وظيفة النظام الاقتصادى فى توفير الحاجات والمتطلبات المادية لأعضاء المجتمع ابتداء من الوسائل الأساسية والضرورية لحياتهم حتى السلع الكمالية وما دونها .

أنظر :

د. عاطف غيث ، نفس المرجع ، ص ١٤٩ .

واقع ثقلهـا المـادى والمـالى البين تسيطر على تشكيل مختلف السياسات الأيديولوجية والحكومية والادارية وغيرها .

ومن وجهة نظر المشكلات بصفة عامة ، فان أبعـــاد التغير المؤدية إلى توترات وأزمات ومشكلات يمكن إجمالها فيما يلى :

أ) كانـــ العمل اليدوى أو النصف الآلى Half Automatic يتطلب أعداداً كبيرة وشاملة التخصصات والفنيات وعلى قدر غير عال من التدريب والخبرة العملية من الأيدى العامـــلة ، إلا أن الإكتشافات العلمية المكثفة وإنتشار الآلية الكاملة Full Automatic والميكنة التامة فى العملية الإنتاجية والصناعية أدى بدوره إلى تفش البطـالة تدريجيـا أيضـا لضرورة تنوع التخصصات والفنيات مع درجة من التدريب والخبرة العملية ، مع الوضع فى الإعتبار ـ فى هذا الصدد ـ التزايد الرهيب والمتضاعف دائما فى الكثافة السكانية والأعداد البشرية مما إستتبع معه بالتالى وكنتيجة منطقية ظهور العديد والعديد من التوترات والمشكلات والصراعات المصاحبة والتى وضح وإستبانـــ أثرها المادى والاقتصادى بعد إزدياد أعداد البشر غير العاملين وإنتشار البطالة بأنواعها المختلفة كمشكلة اجتماعية أساسية لها أبعادها الخطيرة فى مسيرة المجتمعات نحو التكامل والتوازن والتماسك .

ب) حققت التكنولوجيا أحد أهم أهدافها والمتمثل فى تحملها للجهد الأكبر من العمل دونما إجهاد على العاملين المنوط بهم القيام بفرعيات وجزئيات صغيره متسلسلة من العمل على الآلة الواحدة أو الآلات المختلفة فى مراحل عدة ، ومن هنا فان المهارة الكلية الكبيرة والفائقة والجهد المضنى الشاق الذى كان مطلوبا أن يبذل أثناء القيام أو أداء العمل القديم يدويا كان ـ

وقت بدائية العمل ـ أو شبه آلي ـ بعد أن تطور عن البدائية ـ أصبحا بعد استخدام الآلات التكنولوجية غير مطلوب بنفس القدر السابق . أضف إلى ذلك أن التخصص في أداء فرعيات وجزئيات الأعمال أو تقسيم العمل الذى واكب بالضرورة التقدم التكنولوجى اقتضى تحديد ساعات العمل اليومى بعد أن كان يشغل الوقت كله تقريبا ، كل ذلك وغيره من مقتضيات العمل الحديث وآفاقه أدى بالتدريج إلى اتساع مساحة وقت الفراغ عند العاملين الصناعيين والانتاجيين ، مع راحتهم الفيزيقية الناجمة عن التخصص في الأداء ، مما جعلهم يبحثون عن وسائل وطرق يقضون فيها هذا الوقت ويقتلونه كي يمر سلبا أو ايجابا ، وبالتالى أصبحت المشكلة الجذرية هى وقت الفراغ الكبير والمشاكل الفرعية الناتجة عنه والتى تتمثل فى الطرق المشروعة وغير المفيدة التى يشغلون من خلالها أوقات فراغهم .

جـ) بعد أن استقر التقدم التكنولوجى وانتشرت الميكنة والآلية واتسع نطاقها مكانيا وبشريا ، تعقدت العلاقات وصعبت الاتصالات ، فكان لزاما أن تنظم الأمور الادارية في تسلسل تنظيمى متدرج الأدوار والمراكز ، أو بمعنى آخر اقتضى الأمر وضع تنظيم بيروقراطى [1] يتولى في مضمونه ضمان

---

١) البيروقراطية Bureaucracy تمثل النطاق المحدود لاختصاص الموظفين فى وحدة العمل والنسق المتدرج للسلطة المركزية ونظام الحفظ والتدوين وهى باختصار إدارة المكتب أو الإدارة عن طريق الموظفين ومن أهم عناصر التنظيم البيروقراطى :

أ) يعتبر تنظيما رسميا له بناءه الإجتماعى الغير شخصى . ==

تسلسل اعمال الادارية طبقا للوائح والقواعد المقننة والمسئولية الملقاه على

= ب) يلزم له تحديد وظيفي دقيق للأدوار التي تشغل أمكنة البناء المخطط إراديا.

جـ) تتسلسل الأدوار المشار إليها وفقا للسلطة التي تسوس المنشأة والمكانة الرسمية المحددة تنظيميا.

د) يتم الوصول لأهداف التنظيم الموضوعة مسبقا بخطته إعتمادا على القواعد والاجراءات واللوائح الرسمية المقننة.

هـ) كي يقوم أعضاء البناء من خلال أدوارهم المحددة بالوظائف المنوطة بهم لا بد من التأهيل على الأسس العلمية أو الكفاءة في الخبرة العملية أو التدريب المسبق أو المستمر عليها.

أنظر:

- د. محمد على محمد، البيروقراطية الحديثة، دار المعرفة، الاسكندرية، ١٩٨١.

- د. محمد على محمد، علم اجتماع التنظيم، دار المعرفة، الاسكندريه، ١٩٨٢.

- Webe, M, Bureaucracy, in : Gerth & Mills, ed., Oxford, University Press, 1962.
- Blau, P., Co-operation and Competition in Bureaucracy, American Journal of Sociology, 1959.
- Gouldner, A., Patterns of Industrial B reaucracy, The Free Press, Glencoe, 1954.
- Se znick, p, Leaders'ip in Administration, Evanston. 1951.
- Merton, R., Bareaucratic Structure and Pe sonality, =

أعباء شاغلى الأدوار الرسمية ، إلا أن ذلك أدى في تطبيقه إلى العديد من السلبيات التي يمكن أن تدرج ضمن التوترات أو المشاكل المؤدية فى النهاية إلى عدم تحقيق الهدف الموضوع ، ويمكن وضع هذه السلبيات فى ثلاث مستويات رئيسية ، يتعلق أولها بما تحيط به البيروقراطية نفسها من اجراءات وروتينيات هى فى جوهرها ضروب من السلوكيات التى تفرض قيودا متعددة على السلوك البيروقراطى الرشيد ، يؤدى إلى تعطيل المصالح والتسبب في ضياع الحقوق واستلابها . والمستوى الثانى مؤداه أن السلطة المركزية غالبا ما تكون فردية ، وإذا إتسمت القيادة بهذه السمة أدت إلى ظهور صراعات Conflicts بين معتلى هذه المكانة والقريبين منها والمتطلعين إليها قد تؤثر بدورها على كفاءة وقدرة التنظيم البيروقراطي فيالوصول للأهداف المنوطة به عن طريق الآفات التي تصيب الوسائل المؤدية لهذه الأهداف والتي قد تتشعب هى الأخرى إلى آفات فرعية أخرى تصيب الأبعاد الأخرى للمؤسسة ككل ومصالحها العامة والخاصة . أما المستوى الثالث فينبع أيضا من الصراعات المشار إليها آنفا والتي تخلق تنافسا فى التنظيمات البيروقراطية يؤدى إلى رقابة سلبية فى التطبيق المناط بها بينما هى إيجابية في التطاحن بغية الوصول إلى الأهداف الفردية عن طريق وسائط غيرمشروعة ضمناو منطقة بالمشروعية شكلا مما يؤدى فى النهاية إلى إلقاء المسئولية على الغير فى المناحى السلبية وبالتالى يصيب المنشأة ككل آفة التطاحن والتنافس والصراع بما يصل إلى خفض متوقع لمعدلات الانتاج .

= Social Theory and Social Structure, Ths Free Press, Glencoe, 1957

د) كان من النتائج الملموسة للتقـــدم التكنولوجي الذى دار دورته واستقر في عالمنا المعاصر النمو المتزايد فى الإنتاج الكبير وتنوع السلع المعروضه في الأسواق مما أدى إلى إبتكار أساليب جديدة متطورة تساعد على تسويق هذه السلع من خلال التأثير المباشر وغير المباشر فى جمهور المستهلكين ، ومن أهم هذه الأساليب الدعاية والإعلان بشتي الوسائل الممكنة ، وإذا كانت إيجابيات هذا المبدأ بينه وجلية ، إلا أنها تتميز بسلبية واضحة تتعلق بأخلاقيات الأساليب المشار إليها إذ إفتقدت فى بعضها الصدق من ناحية كيف المنتج أو التأثير الإيجابى بوسائل سلبية كالتغليف الجيد لسلع سيئة أو الإعلان الهادف لرواج نوعية استهلاكية والدعوة لترك المشابه لها نتيجة للتنافس والخفض الشكلي للأسعار وما إلى ذلك مما يعتبر فى مداه الطويل توتراً إجتماعيا تستبين أبعاده من واقع المجتمع والتغنى دائما بإيجابيات الماضى والإعتراض على سلبيات الحاضر .

هـ) تأثر الإستهلاك كأحد أهم الأركان فى العملية الإقتصادية بالتكنولوجيا والتقدم العلمي ، إذ تنوعت السلع بتضاعف يصعب قياسه ، مما أدى إلى تدرج السلع التي يستهلكها المجتمع إلى سلع ضرورية يلزم تواجدها في كل بيت إشباعا لرغبات وحاجات أعضاء المجتمع الملحة والأساسية ، وسلع كمالية تشبع الحاجات الترفيهية أو التي يمكن للانسان العيش دون إشباعها ، ومن هنا ظهرت عوامل متعددة تؤثر فى تنوع طلب المستهلك وتباينه ، ولعل أهمها البناء الإجتماعى كعامل يؤثر في اتجاهات سلوك الإنفاق والإستهلاك وتحديد نوعية وكمية الطلب ، ويتدخل في تحديد البناء الإجتماعى عدة أبعاد تحدد هذه الاتجاهات كالسن وحجم الأسرة والمكانة الإجتماعية والمهنة

وما إليها ، مما جعل التطلع إما إلى بعد من هذه الأبعاد أو إلى استكمال اشباع الحاجات الإستهلاكية المعينة يخلق انحرافات عن مسار المجتمع كالتزوير والسرقة والغش والإختلاس والرشوة والجريمة وغيرها مما يتطلب من الباحث في مجال المشكلات ألا يدع العلية المسببة دون فحص وتمحيص .

٣ ـ تشابك النظم الإجتماعية في المجتمع بحيث لا يمكن فصلها بعضها عن البعض الآخر ، إذ يؤثر كل منها فى الآخر تأثيراً تبادلياً وإذا جاز لنا أن نتحدث عن أثر التكنولوجيا في النظم الاجتماعية لوجدناه تأثيراً متبادلا بينها من حيث التغير مع اختلاف الدرجة ، بل قد يمكن أن يؤدى التغير فى أحدهما بسبب متغير معين يؤدى إلى التغير فى آخر وهكذا ، ولعلنا نجد ذلك جليا فى النظام التربوى (١) Educational Institution الذى يرتبط مع النظم العائلية والسياسية والإقتصادية وغيرها بعلاقات متشابكة معقدة لا يمكن فصل تأثير لأحداها فى الأخرى أو العكس ، وبالتركيز على التكنولوجيا فانها لم تأت إلا

---

١) تشير التربية Education الى التنشئة والتدريب الفكرى والأخلاقى وتطوير القوى العقلية والأخلاقية وبخاصة عن طريق التلقين المنظم الذى يتم بصفة أساسية فى المدارس والمعاهد ودور العلم . وترتبط التربية بالتنشئه الإجتماعية Socialization التي يمكن التعبير عنها بأنها العملية التي عن طريقها يتعلم الفرد ثقافة مجتمعه ، كما ترتبط بالتعلم Learning عملية تنطوى على تعديل سلوك الفرد واعادة تنظيمه بما فى ذلك تعديل ادراكاته واتجاهاته وصورته الذاتية وغير ذلك . ووظيفة التربية الأساسية نقل المعرفة من جيل الى جيل وهى لذلك عملية ضرورية ولازمة لتطوير الثقافة ، كما أنها تنطوى على تعلم مهارات وقيم أساسية ولازمة لإستمرار المجتمع .

عن طريق تقدم علمي تربوى تعلمي أثر في العقول فازدهرت ونضجت وأخذت تجرب وتجدد حتى وصلت الى ما وصلت اليه وتستمر للوصول الى المزيد، وكما نشأت التكنولوجيا فانها أثرت أيضا فى التربية والتعليم مع عدم غض الطرف عن الإرتباط بتأثيرها فى النظم الأخرى :

أ - تغيرت الوسائل التعليمية في دور العلم الى وسائل أخرى أكثر راحة وفائدة للتحصيل والتلقى ، فبعد اللوح والحجر وحبات القمح نشأت الوسائل السمعية والبصرية على سبيل المثال لا الحصر ، مما جعل طريقة الاستيعاب واسترجاع التحصيل ممكنة فى أى وقت ، مما حدا بدوره بالشباب والجيل الجديد أن يصرف نظراً عن المتابعة المستمرة ويضيع وقت فراغه فيما لا يفيد حتى أصبحت أزمة دخلت فى مجال التوترات الاجتماعية .

ب) فرضت العلوم الحديثة نفسها على التعليم بحيث أصبحت النزعة دائماً الرغبة في التجديد وهدم القديم ، واذا كان لذلك آثار إيجابية فان آثاره السيئة تتضح من الرغبة بل العمل على تغيير القيم المتأصلة والمبنية على أسس أخلاقية معينة الى مفاهيم أخرى وصلت ببعض المجتمعات الى حد الضياع ، ولعل « الحرية » كقيمة خير دليل على ذلك .

ج) كان التقدم التكنولوجي والاكتشافات الحديثة مدعاة لتواكل الدارسين عليها بما أدخل البلاده ،والرغبة الدائمة فى اللهو واللعب بما لا يفيد ، واراحة العقول من التفكير العميق والتدبر الدقيق ، ومن الأمثلة الواضحة على ذلك اعتماد دارسى الرياضيات أو باحثى الاحصاء بأنواعه المختلفة على الآلات الحاسبة والعقول الالكترونية .

د) ان النظم الاجتماعية باعتبارها أجزاء عامة من الثقافة لا يمكن أن

تفهم إذا نظرنا إلى كل منها منفصلا عن الآخر ، وعلاقاتها المتبادلة تؤدى إلى قيام نمط ثقافي يتغير فى مناطق كثيرة وفي أزمنه مختلفة ، ولعل التربية والاسرة الدليل البين على ذلك من خلال السماح للمرأة كأحد أسس البناء الاجتماعى في الأسرة بالنزول إلى موقع العمل وترك الصغار لمن يرعاهم شكلا ولا يرعاهم موضوعا ، وإنتقل ذلك التأثير إلى المدرسة والمعهد التعليمي بحيث أصبح النشيء عرضه للاستهداف المشكل فرديا أو جمعيـــا وما يترتب على ذلك من توترات مصاحبة تصيب المجتمع ككل .

٤ ـ تتميز مجتمعات العمل الحديثة والمعاصرة بالكثرة في عدد العاملين وبإتساع فى الرقعة المكانية التي يلزم أن تستوعب هذه الكثرة وما يعملون عليها من آلات ، ومن هنا نشأت خاصية ضرورية للتنظيم الإجتماعى تتمثل فى توزيع الحقوق والواجبات والإلتزامات على أعضاء التنظيم بحيث تكون رسمية ومدونة ومعروفة للجميع ، وبذلك أصبح لكل عضو مكانة اجتماعية Social Status إشارة إلى القدرات المقننة للفرد والتي تمكنه من تدعيم الحقوق والواجباب الرسمية لنفسه أو للاخرين [1] ، وتنوعت المكانة تنازليا في هرم التنظيم الرسمى مما خلق تطلعا ـ قد يكون طموحا وقد يصبح صراعا ـ صعودا من القاعدة إلى القمة في ذات الهرم ، وقد تكون الصراعات فى هذا المجال هى السمة الغالبة نظراً لبعض الآفات الإجتماعية التي ترفع أفرادا على آخرين كالواسطة والرشوة واستغلال النفوذ وغيرها ، بما يمكن معه فى النهاية

---

١) أنظر :

— Linton R., The Study of Man, New York, 1936.

أن نضع التقدم التكنولوجي كعملية اجتماعية للتغير الذى أدى لمثل هذه التوترات والآفات الاجتماعية .

٥ — منذ القدم والمجتمعات تطالب بنوعيات معينة من الحقوق والضمانات التي يلزم كفالتها كي تصل هذه المجتمعات لمبدأ الأمن الاجتماعي ، وبظهور التكنولوجيا وإنتشارها وجد المشرعون أنفسهم ملزمين بوضع أسس التوافق أو التلاؤم الاجتماعي Social Accomodation بهدف تقليل أو تجنب الصراعات الممكن حدوثها ، أو بمعنى آخر تحقيق التكيف الاجتماعي الذى يعمل على وقف الصراعات بين الأفراد والجماعات عن طريق التدعيم المؤقت أو الدائم للتفاعل السلمي ، فالهدف إذن تحقيق التوافق مع مواقف الصراع من خلال تجنب كافة مظاهر العداء عن طريق منح تعويضات اقتصادية واجتماعية ونفسيه لجماعة من الجماعات . ورغم ذلك فقد أدت هذه الأبعاد التوافقية إلى صراعات وتوترات من نوع جديد يمكن إجمالها في عمليات الاستهداف للصراعات بغية الحصول على التعويضات المقررة كالهروب والتمارض والتعطل والطلاق والسرقة وإرتفاع معدلات الغياب والشعور بعدم الإستقرار والقلق والضيق والضجر وغير ذلك .

٦ — غلبت على المجتمعات إبان التقدم التكنولوجي السريع صيغة التنظيمات الرسمية التي تتعامل مع قنوات محددة وحسب روتين معين ، دونما نظر الى الجماعات غير الرسمية [١] التي تكون في حد ذاتها عاملا وبعداً أساسيا في

---

١) الجماعة غير الرسمية Informal Group جماعة ليس لها قواعد أو أهداف أو قيادات ذات تحديد تنظيمي رسمي ، والسمة المميزة لها أنها =

التوافق بين أعضاء التنظيم الإجتماعى ، ومن هنا أخذت العلاقات الاجتماعية الايجابية فى الفتور وأصبحت علاقات صورية يغلب عليها الطابع الرسمى مما أدى بالتالى إلى ظاهرة التفكك بين أفراد وجماعات المجتمع بحيث أصبح لزاما على باحث المشكلات الاجتماعية ضرورة قياس البعد العلمى فى هذه التوترات حتى يمكن القضاء عليها والوقاية من حدوثها مستقبلا .

سوسيولوجية النمو :

وجد علماء الاجتماع في عالم الربع الأخيرمن القرن العشرين على إختلاف عقائدهم واتجاهاتهم وأيديولوجياتهم أن الموضوعات التقليدية فى علم الاجتماع أصبحت غير صالحة لامكان الوصول إلى نظرية متكاملة عن المجتمع الانسانى من ناحية وعن وصف ما هو حادث في مجتمع الإنسان اليوم من ناحية أخرى .. وهكذا ظهرت أبعاد الخطوط العامة للموضوعات التي يجب أن تحظى باهتمام الباحثين في كل أنحاء العالم والتى أطلق على مجالها « سوسيولوجية النمو » ، ومعنى ذلك أن المجتمعات التقليدية التي بنت الحضارة الحديثة فى

= صغيرة الحجم تلقائية التفاعل القائم على المصالح المشتركة والاتصال الودى المباشر كالزمر والشلل التي يمكن أن تكون داخل الجماعات أو التنظيمات الرسمية الكبرى .

أنظر :

ـ جباره عطية جباره ، الجماعات العمالية فى مجتمع المصنع ، مجلة الثقافة العدد ٥٧ ، الشركة الوطنية للتوزيع والنشر ، الجزائر ، مايو ـ يونيو ، ١٩٨٠

ـ د. محمد عاطف غيث ، نفس المرجع ، ص ص ٢١٥ ـ ٢٠٦ .

أوربا وأمريكا تواجه تغيرات بعيدة المدى فى بنائها الإجتماعى وفي طبيعة المشاكل التي تتعرض لها ، ومن أجل ذلك يجب على باحثى علم الإجتماع أن يتعرفوا على مسارات التغير أو النمو الذى يحدث للنظام تمهيداً لفهم أحسن وخاصة فى وجه التغيرات المحتملة التي ستترتب على استخدام الطاقة الذرية فى الشئون الإنسانية ، وما قد يتمخض عنه الأمر من تغير عميق فى شكل المجتمع الإنسانى، وهذا بسبب ما لاحظه العلماء - ورويناه سلفا - من أن الانقلاب الصناعى الذى جاء نتيجة الكشوف العلمية والتقدم التكنولوجي والبعيد المدى واجه مجتمع الانسان بتغيرات لم يكن مستعدا لها لا فكريا ولا معنويا ولا ماديا ، الأمر الذى أدى إلى انبثاق الصراع الأيديولوجى Ideological Conflict الذى لون علوم المجتمع بألوان متعددة ، وجعل إحتمال التقاء هذه الألوان عصيا فى وجه سوء الفهم المتبادل .

وقد سنحت الفرصة الآن بعد التقدم العلمى الهائل والقضايا الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التى طرحها أن يتمكن الباحثون من استخدام المنهج العلمى وخاصة قدرته على التنبؤ فى تصور المحتملات والممكنات ويرتبها ترتيبا خاصا بحيث يتمكن مجتمع الانسان أن يتحاشى التدمير المعنوى إذا أمكن تحاشى التدمير المادى الشامل نتيجة للمجهودات التى تبذل لنزع السلاح واستخدام الطاقة النووية فى خدمة السلام .

أما مسائل النمو الأخرى فهى متعلقة بالمجتمعات ذات الحضارات القديمة أو المجتمعات التى وجهت حديثا بضرورة اجراء عمليات متعددة للتنمية الاقتصادية والاجتماعية (١) . والفرق الذى يقوم بين هذه المجتمعات النامية

---

١) النمو Growth أو التنميه Devel. pment مصطلحان يؤديان معنى =

والمجتمعات المتقدمة (١) يشكل فرقا مخيفا فى النمو يؤدى بطبيعة الحال إلى نتائج عديده أهمها :

١) إتساع نطاق الخلافات الدولية خاصة بعد أن انقسم العالم إلى معسكرين يحوى كل منهما من يجد أيديولوجيته متمشية معه وأصبحت كل منها تمثل طرفا فى الصراعات الدولية بما يوسع شقة الخلاف ، ومع ظهور القوة الثالثة النامية بدأت تعمل القوتان الأعظم على احتوائها إما بالقوة الفكرية أو المسلحة ، أو باستغلال نقطة الضعف التنموى فيها والتركيز عليها كي تسير فى ركبها

٢) إتساع نطاق المشكلات الاجتماعية الداخلية فى هذه المجتمعات خاصة بعد تقدم وسائل الاتصال وسهولة وصولها لكل من يريد أن

= واحداً هو الزيادة ، والتنمية الإقتصادية Economic Development يعنى الزيادة طويلة المدى فى الدخل الوطنى لدولة من الدول ، وتهتم نظرية التنمية الاقتصادية بتحليل هذه العملية وبحث القوى المؤثرة فيها والتغيرات البنائية المصاحبة لها فى العرض والطلب . وقد وجد أن التنمية الإقتصادية تستلزم أن تواكبها تنمية اجتماعية Social Development تنطلق من مبدأ ثبات البناء والتغير المتدرج البطىء للوظائف وإستخدام ذلك فى تنمية القوى والأبعاد الاجتماعية والثقافية تمشيا مع التغيرات التى تطلب التنمية بصفة عامة (اقتصادية أو اجتماعية أو غيرها) الوصول إليها مع المحافظة على المبادىء والقيم والثقافة المرعية أو تغييرها على المدى الطويل .

١) مع الوضع فى الإعتبار نسبية كل من التخلف والتقدم .

يتلقاها (١) ويقارن بين الوضع فى المجتمعات المتقدمة و بين ما يعيش فيه فهذا الإنتشار الثقافى فى حد ذاته مدعاة لمشاكل اجتماعية من نوع معين ، ومحاولة القائمين بشئون الحكم في هذه البلدان رتق سلبياتهم بطريق أو بآخر يخلق بدوره مشكلات من نوع آخر .

ومن هنا نشأت ضرورة الاختيار بين طريقين كلاهما صعب :

الأول : الإعتماد فى تحقيق التنمية على الخبرة الفنية والعملية ورأس المال الأجنبي فى الدول المتقدمة حضاريا ، وهذا معناه ، أن يخضع منطق الحل التنموى الضرورى فى هذه البلاد الواقعة فى مكانة دنيا من غيرها إلى منطق أصحاب مصلحة وهم ليسوا مواطنى هذه المجتمعات ، وكل ما يميزهم خبرتهم فى مجال التقدم العلمى والحضارى وإمتلاكهم لرأس المال الذى ييسر لهم إمكانيات تطبيق الحل المراد .

---

(١) كان يمكن وضع ستار يمنع تسرب أية أنباء أو ثقافات طالما كان وصولها بيد السلطات ، ولكن الموجات لاذاعية المسموعة ذات الموجات القصيرة استطاعت أن تنفذ إلى كل بيت تقريباً ، كما أن وصول البث المرئى عبر الأقمار الصناعية أتاح للصورة أن تواكب الصوت أيضا .

أنظر :

د. جاره عطية جباره ، الاعـــلام وأثره فى العلاقات الانسانية ، رسالة دكتوراه ، كلية الآداب جامعة الاسكندرية ، ١٩٨٠ .

د. جيهان أحمد رشتي ، الأسس العلمية لنظريات الأعلام دار الفكر العربي .

والثانى : الاعتماد فى التنمية المبتغاة على سياسة الإكتفاء الذاتى بشريا وماديا دونما نظر إلى الخبرة أو الكفاءة ، ومعنى ذلك اعطـــاء الفرصة لمشاكل التخلف من أن تعمق جذورها إذ سيقع المجتمع فى هذه الحالة تحت الاختبار ومراحل التجريب المتعددة والمختلفة الأهداف ، إضافة إلى تطويل فترة تفكك المجتمع الضرورية لأى تغيير إلى درجة يمكن أن تلتهم معها فى وجه زيادة السكان المستمرة وثبات الموارد الوطنية كل ثمـرة من ثمـــار المجهـود المتصل فى التنميـة بشقيهـا الاقتصادى والاجتماعى ، وهو الذى يخشى منه أن يكـون العـامل الأول فى كل المصاعب التي تواجه مجتمع الانسان مستقبلا .

نظرة نقدية :

إن نظرية النمو تعنى أن نمو المجتمع وانتقاله من مرحـــلة إلى أخرى مسألة حتمية وضرورية ، وإنه فى خلال هذا النمو المرحلى تظهر عدة مشاكل مترابطة ومتشابكة قد تؤدى إلى مشاكل فرعية عديدة هى فى حقيقتها مصاحبة بالضرورة لطبيعة كل مرحلة على حـده ، ولذلك فان أصحاب نظرية النمـو يرون أن مشاكل المجتمع الإنسانى لا يمكن الفرار منها فهى بالقياس حتمية أيضا ويجب عند التخطيط التنموى الاعداد لهـا لمواجهتهـا أى الوقاية من شدة وقعها ، أو بمعنى آخر أن كل مشكلة اجتماعيه يمكن عن طريق الدراسة الإمبريقية الواقعية أن نحدد مصاحبتها الطبيعية لكل مرحلة على حده بحيث يكون تفاقم وتزايد المشاكل راجعا إلى إنتهاء مرحلة من مراحل النمو المخطط لها وبقاء المشاكل الاجتماعية المصاحبة للمرحلة

السابقه قائمة بدون حل ، وبالتالى فان عملية النمو ذاتها قياسا على ذلك ستتوقف إذا لم يكن الأمر معدا لمواجهتها مسبقا .

ولا نستطيع أن نسلم بتلك النظرية تسليما كاملا لأن كل مرحلة من مراحل النمو لها مشاكلها الحقيقة ، ولكن إذا كان المجتمع يقوم على التغير التلقائى أو العشوائى فقد يجوز أن تقفز مشاكل المرحلة الأولى لتنضم إلى مشاكل المرحلة الثانية وتؤدى إلى التوقف في عمليات النمو . ولكن إذا كان المجتمع يأخذ بسياسة التخطيط الاجتماعى [١] الشامل لعمليات التنمية فمعنى ذلك أن يحصر مقدما كل الإمكانيات المادية والبشرية في حدود زمنية معروفة ولا يواجه المشاكل مواجهة أفقية مرة واحده وإنما يرتبها حسب التخطيط إلى مشاكل لكل منها أولوية معينة ، ولذلك تحدد المشاكل المطلوب السيطرة عليها فى كل مرحلة من مراحل التخطط ، وبالتالى لا يتقدم التخطيط خطوه أخرى إلا بعد السيطرة على مشكلات المرحلة الماضية .

أما المشاكل الفرديه التي تنتج عن أى تغير يحدث فى المجتمع ، أو المشكلات التنظيمية فى المجتمعات المحلية القائمة بالفعل أو التي تنشأ نتيجة لعامل معين (كما حدث في التقدم التكنولوجى) فلا مناص من مواجهتها من واقع الخطة الموضوعة والتي لا تغفل بحال من الأحوال عمليات التوجيه والتوعية والارشاد التي تعطى بتأثيرها جرعات ايجابية فى الحد من المشكلات والوقاية من تفشى غيرها المصاحب لها ، هذا من جهة ومن جهة أخرى فلابد

---

١) للتعرف على أبعاد نظريات التخطيط الاجتماعى يمكن الرجوع الى :
— د مصطفى الخشاب ، علم الاجتماع ومدارسه ، الكتاب الثانى : المدخل الى علم الإجتماع ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٦٥ .

من مشاركة المجتمع ايجابيا فى أى تخطيط حتى يحتاط من سلبياتها ، وفى هذه الحالة لو ظهرت مشكلات سيتم القضاء عليها في مهدها المواجهة الجماعية ثقافيا حتى تحقق الخطة الموضوعة بمشاركة أعضاء المجتمع أهدافها .

وبهذا يمكن ترتيب مراحل الحل متوازية تماما مع مراحل التخطيط التى ليست الا صورة أخرى لمراحل النمو الضرورية لمجتمع الإنسان .



الفصل الثاني

التخلف

- تمهيد
- التخلف الثقافي والاجتماعي
- التخلف والتفكك
- صعوبات التطبيق
- مواجهة مشاكل التخلف



التخلف

تمهيد

من المعروف أن اكتشافات العلم ومستحدثاته البالغه التعقيد قد أدت إلى تقدم واضح بكل معايير التقدم يمكن حسابه إحصائيا وموضوعيا بكل الظروف المادية التي يعيش فيها الانسان ، بينما ظل النظام الاجتماعي محافظا على بعض الرواسب القديمة التي لها من الفاعلية ما مكنته من مقاومة كل تغير مطلوب مصاحب للتغير الكنولوجي بعيد المدى المشار اليه . وقد وضح ذلك للباحثين في المجتمعات الأوروبية والامريكية ولكنه لم يكن واضحا في الدول النامية المسماه بدول العالم الثالث التي لم يكن هناك فرق واضح بها بين النظام التكنولوجي والنظام الاجتماعي ، أو مايطلق عليه الثقافة المادية Material Culture والثقافة اللا مادية Nonmaterial Culture ولذلك فان وليم أجبرن W . ogburn ومدرسته عندما جعلت من نظرية التخلف الثقافي Cultural lag مفسرا أول لعمليات التفكك والتوترات التي تحدث في المجتمع نتيجة الصراع بين القديم والجديد وحاولت أن ترتب العليه الاجتماعية في كل ميادين الحياة على هذا الأساس .

وفي هذا الفصل أيضاح لأبعاد نظرية وليم أجبرن في التخلف ، ثم عرض لمدى أرتباط التفكك بالتخلف ، وأخيرا الصعوبات التي يمكن أن تواجه تطبيق مثل هذه النظرية في مجتمعات خارج النطاق الحضاري الأوربي والأمريكي .

التخلف الثقافي والاجتماعي (١)

يعتبر « التخلف » كمصطلح مقابلا لمفهوم « التقدم » ، فالمقارنة النعتية بين المفهومين تشارك بينهما في النوعية واختلافهما في المسار ، أو كما يقال باللغة البيانية أن لكل من الاحداثيين طرفين متناقضين أحدهما في جهة الايجاب والآخر في جهة السلب ، وبالقياس على ذلك فان التقدم باعتباره حركة أرادية ديناميةتكون إلى الأمام دائما ، يناقض في مساره التجريدي « التخلف » الذي يعتبر بدوره حركة دينامية أرادية أيضا ولكنها تكون في الاتجاه المعاكس أو السلبي ، وقد يكون التخلف اجتماعيا أقتصاديا كان أو سياسيا أو غيرهما باعتبار التجريد البعدي للعامل المراد القياس عليه يهبط المؤشر عنه بدرجات معينة عما هو موضوع .

---

(١) أنظر :

— د . محمد عاطف غيث ، علم الاجتماع ، دار المعارف ، الاسكندرية ، ١٩٦٣ .

— د . أحمد أبو زيد ، البناء الاجتماعي ، الجزء الاول : المفهومات ، منشأة المعارف ، الاسكندرية ، ١٩٦٥ .

— د . عاطف غيث ، قاموس علم الاجتماع ، مرجع سابق

— د . عاطف وصفي ، الانثربولوجيا الثقافية ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٧١

— Krober, A L. & Kluckhon , C. , Culture : A Critical Review of Concepts and Definitions , New YorK , 1952

— Taylor , Pr mi:ive Culture , London , 1841

— Firth , R. , Elements of Social Organization , London , 1951

— Ogburn , w. , Social Change , New York , 1922

— Allen, F.R., Technology and Social Change, New York, 1954

أما عن التخلف الثقافي Cultural Lag فيختلف مفهوميا عن ذلك ، إذ هو موقف تتغير فيه بعض جوانب الثقافة بمعدلات أسرع من تغير الجوانب الأخرى ، مما يؤدى بدوره إلى عدم تكامل أو توازن عمليات تغير الثقافة ، فنتيجة لتفاوت معدلات السرعة في التغير تتخلف بعض العناصر الثقافية فيه وتتقدم الأخرى ، وتتضح أبعاد هذه النظرية في تفصيلاتها مما أوضحه وليام أجبرن W. Ogburn من أن للثقافة عنصرين أساسين .

(أ) الثقافة المادية Material Culture وهى جميع الموضوعات المادية أو المصنعة من موارد طبيعية التي أبتدعها وأبتكرها الإنسان للتوافق والتلاؤم مع البيئة التي يعيش فيها كالملابس والأزياء وأدوات الزينة وأدوات الطهى والطعام ومواد البناء والاسكان والكتابة ووسائل الترفيه وغيرها ، ومن ذلك يمكن أن ينظر إلى الثقافة المادية على أنها أشياء أخرى لها مدلولها عند الإنسان فيستخدمها على الرغم من أنه لم يقم بصنعها .

(ب) الثقافة اللامادية Nonmaterial Culture وهى جميع السمات والموضوعات والأبعاد الثقافية غير الملموسة والتي تتدخل فى تقنين وتنظيم الحياة الإجتماعية كالمهارات الفنية والمعايير الأخلاقية والمعتقدات الدينية والسياسية والإتجاهات أياً كانت أنماطها والقيم والعادات والتقاليد وغيرها مما ينتقل تلقائيا بتجريدة من جيل إلى آخر أو ينتشر بين أبناء الجيل الواحد من مجتمع إلى آخر .

وقد أورى أوجبرن أن التغير الإجتماعى لابد أن يكون فى الشقين المادى واللامادى معا إذ أن كليهما يؤثر فى الاخر ، ولو أن التغير في الجانب المادى أسرع من اللامادى لأن الأبتكارات والتقدم التكنولوجي المبنى على التقدم

العلمي الهائل في العصر الحديث والمعبر عنه بالاختراعات في الجانب المادى كثيرة جداً ولا تقف عند حدود إذا قورنت بالجانب اللامادى ، بالاضافة إلى ما تعترى الثقافه اللامادية من عوائق تقف حجر عثرة في سبيل التغير اللامادى المفترض أنه يتلازم في تغيره مع الجانب المادى ، ومن هذه العوائق الميل الظاهر والواضح لدى الإنسان بصفة تعتبر شبه عامة للابقاء على القديم وعدم الرغبة في التجديد طالما أن القديم يؤدى غرضه الواضح بالاستناد على ما جبلت عليه الأجيال السالفة ، فالانسان – كما يقال – عدو ما يجهل ، فاذا ما تعود شخص ما شراء مستلزماته ومتطلباته من مكان معين – على سبيل المثال – فمن الصعب عليه أن يغيره إلا للضرورة القصوى التي لا تتدخل إرادته في تحديدها ، وهذا عقبة في حد ذاته أمام التغير . وثمة عقبة أخرى تتمثل في أن كبار السن دائما ما يعملون على المحافظة على التقاليد المتوارثة حتى لا تنهار القيم التي ربوا عليها خلفهم من أبناء الجيل الجديد حتى يلتزموا بها ويعملوا على هدى من متطلباتها مما يصعب معه تحقيق أى تغيير قد لا يتماشى مع هذه النزعة المحافظة . كما لا يخفى – في تبيان عقبة ثالثة – أن عملية التغير هى في حد ذاتها عملية هدم وبناء ، هدم لقديم أستقر في بنيان المجتمع ، وبناء لجديد يرجى منه الوصول لأهداف أكثر عمقا من سابقه ، وفي الأغلب أن هناك أصحاب مصلحة في القديم سينالهم الهدم ويصيبهم القضاء عليه بايذاءات ، فيكون رد فعلهم الوقوف بكل قواهم أمام التجديد المبتغى وقد يصلوا الى القضاء على أفكاره أو تأجيل تحقيقها أكبر فترة ممكنه . وقس على ذلك عقبات أخرى كالتكاليف الكبيرة التي يتطلبها تنظيم المجهودات الاصلاحية ووقوف الحالة الاقتصادية في بعض المجتمعات عقبة في سبيل التغيير ، وكعدم المعرفة أو الجهل بحقيقة التجديد أو تطبيق الأبتكار الجديد ، وكالعقبات

الطبيعية والعادات العقلية المستقرة والرافضة لاى تجديد ... وغيرها مما جعل أجبرن يصل إلى نتيجة مؤداها أن الثقافة اللامادية تتخلف عن الثقافة المادية في التغير .

وقد خالف البعض رأى أجبرن فى تخلف العناصر الثقافية ، والاختلاف ليس فى رفض مبدأ التخلف الثقافى ، بل فى أيضا أبعاد العناصر الثقافية التى تتخلف وراء الأخرى التى تسبقها فى التغير . فيرى هؤلاء أن اللاماديات تسبق الماديات فى التغير ،فأشكال الثقافة تسير حسب سلم منطقى يبدأ بظهور التفكير العقلى من الأساطير والكتابات المنطلقة إلى تحقق المستحيل والأدبيات التى تضم المثال الاعلى ، ثم ينتقل التغير تبعا لذلك إلى التفكير التركيبى كالفلسفة والايديولوجيات التى تتكون لتحقيق هدف يتطلع اليه المجتمع ولم يتحقق بعد ، ويتغير بعد ذلك التفكير الرمزى كالفنون والهوايات المختلفة فيبتكر الانسان عبر الرسم أو النحت أو التمثيل ما يعبر به عن الأهداف المطلوب تحقيقها ، ثم يأتى التفكير التطبيقى التكنولوجى الممثل للعنصر المادى للثقافة فى نهاية المطاف حتى يتمكن من نقل الاساطير والاحلام والمثاليات إلى حقائق ، فهو على هذا الاساس نتاج لاشكال التفكير الثلاث الاخرى والممثلة في مجملها للعنصر اللامادى من الثقافة .

التخلف والتفكك

يفترض البعد التعريفى للتفكك بصفة عامة بوقوعه مفهوميا معاكس أو مغاير أو مضاد لما يمكن أن يطلق عليه التماسك ، فالتفكك هو انفصام أجزاء معينة أو عناصر فى مركب معين بما يفقد هذا المركب خصائصه المحددة ،

وإذا أمكن إعادتها بنفس نسب تركيبها مرة أخـرى عاد للكل تماسكه وتحققت الخاصية الأساسية التي يقوم بها . وبالتطبيق على المجتمع فإن مفهوم التفكك الإجتماعى Social Disorganization يشير في مضمونه إلى توتر أو تصدع أو ضعف يطرأ على العلاقات الإجتماعية [١] في المجتمع أو مكونات النسق الاجتماعى [٢] Social System ، وإذا وصل التفكك إلى أقصى مدى وأصبح تفككا كاملا يؤدى إلى تحطيم أو انهيار النسق بأكمله ، أو بمعنى آخر يشير هذا المفهوم إلى حالة التدهور التي تصيب الضبط الإجتماعى [٣]

---

(١) العلاقات الإجتماعية Social Relations نموذج للتفاعل المتبادل الذى يستمر فترة معينة من الزمن تؤدى إلى ظهور مجموعة توقعات اجتماعية ثابتة طويلة الأجل في تجريدها وليس فى تطبيقها الفرعى المحدود كعلاقة الدور المتبادل بين الزوج والزوجة فى نطاق الأسرة كمثال واقعى حي على العلاقات الإجتماعية طويلة الأجل . ولكن نوعاً آخر من العلاقات الإجتماعية ـ كعلاقة شاهد الإثبات أو شاهد النفى بالقاضي في المحكمة حين يدلي بشهادته في جريمة معينة ـ لا يكون لتجريدها سمة الديمومة أو الأجل الطويل المحددة للعلاقة الإجتماعية بمفهومها المحدد ،ولذا يمكن أن يطلق مصطلح Social Relationship على مثل هذا النموذج للتفاعل الاجتماعى الذى ينطوى على الاتصال الهادف والمعرفة المسبقة بسلوك الشخص الآخر .

(٢) اشارة إلى أنماط التفاعل والتنظيم مثل بناء السلطة فى تنظيمها وتقسيم العمل فى الأسرة ووظائفها المختلفة وما إلى ذلك .

(٣) الضبط الاجتماعى سلوك يهدف إلى النظام الاجتماعى العام وتدعيم القيم الاجتماعية وعدم الاستغلال أو الاحتكار أو احراز المكاسب الذاتية عن طريق قيود منظمة ومنسقة نسبيا على السلوك الفردى حتي يساير الفعل =

Social Control ، ولا يفصل الباحث في هذا المجال قواعد السلوك الاجتماعي والانحراف عن القيم والمعايير المقررة في المجتمع والتقدير الاجتماعي ومؤثراتها من كافة النواحي كعوامل مؤثرة في احداث التفكك الاجتماعي .

وبالقياس مع عوائق الثقافة أيا كانت مادية أو لامادية ، فان تخلف بعض العناصر الثقافية نتيجة لتفاوت معدلات السرعة في التغير ـ سواء كانت الماديات أسرع في التغير أو العكس ـ يرتبط بالتفكك الاجتماعي وظهور بعض المشكلات في المجتمع :

(١) أن الأوضاع الجديدة التي تطرأ على البناء الاجتماعي والنظم الاجتماعية والعادات والتقاليد وغيرها من مكونات الثقافة اللامادية كنتاج لتحول جذري في جانب من جوانب الحياة الاجتماعية أو قواعد جديدة لضبط السلوك ، وهي في مجملها كأوضاع تمثل اب التغير الاجتماعي كعملية ، هذه الأوضاع أو التغير في حد ذاته يمر بعدة مراحل متتالية تبدأ بنقطة الانطلاق وتنتهي بالأمتثال للأوضاع الجديدة مرورا بمرحلة التفكك التي يقف فيها جزء من البناء الاجتماعي أمام التغير الوظيفي المتبقي حدوثه حجر عثرة في سبيل تحقيقه ، فكما يرفض الجسم ـ في حالات العمليات الجراحية الاستبداليه ـ العضو الجديد المزروع فيه حديثا مما قد يؤدى إلى أحد نتيجتين أما تأقلم العضو مع الجسم بعد فترة الرفض أو يصل الرفض إلى مداه فيهلك البدن . كذلك الحال في المجتمع فالجديد الذى دخل ليغير من وظائف بعض الأبنية

= التقاليد وأنماط السلوك ذات الأهمية في أداء المجتمع والجماعة بداخله لوظيفتها على نحو مستقر .

يقابل في الأغلب بالرفض في المرحلة المشار اليها إذ تتفكك العلاقات والمحددات الاجتماعية ويتميع الضبط الاجتماعي ، فاذا وصل التفكك إلى مداه الأقصى واكتمل أنهار النسق بأكمله أو يألف المجتمع الجديد وتهبط مؤثرات الرفض رويدا رويدا حتي تكمن أو تنعدم .

(٢) حين تبدو ملامح التغير على أى مجتمع يبدأ أعضاءه . وهم في مفترق الطريق بين القديم والجديد يشعرون بأن شيئا لايبقى على حاله ، وتعتريهم نزعة خوف من العقبات التي قد تنجم من التغير تجعل القلق يتزايد ويبدأون في التفكير في المستقبل قياسا على أن اليوم هو مستقبل الأمس وها هو حال الأمس يتغير فما بال حال اليوم ، ومن هنا تسعى فئةفي المجتمع لتأمين المستقبل بطرق غير مشروعة تدخل فى نطاق الآفات الاجتماعيه المصاحبة لعملية التغير كالاختلاس والرشوة والسرقة وغيرها .

(٣) قد يتمثل التفكك المصاحب للتخلف في الصراع بين جيلين ـ داخل مرحلة التغير ـ أحدهما يتمسك بالقديم ويحاول الحفاظ عليه والدفاع عنه بشتي الطرق الممكنة حتي لاتنهار القيم السائدة التي تقـــوم عليها ثقافتهم ، والآخر يعلم حقيقة التجديد ويؤيده فتظهر المفارقات التفككية التي تؤدى إلى توترات تختلف في درجتها ولكنها في كل الأحوال تصيب المجتمع بخلل يؤثر فى مسيرته نحو الهدف الموضوع .

(٤) لايخفى أن للثقافة المادية عوائق تواكب مسيرتها ـ حتي مع الأخـذ بأى من نظـريتي التخلف ـ فالهدف الذى تنشده يتمثل فى تحقيق الرفاهية الكاملة للانسان ، وأول وسائل الرفاهية الراحة وتقليل المجهود المبذول ، وقد أثر ذلك فى كم الأيدى العاملة المطلوب لانجاز هذا الجانب من العمل

الاجتماعى مع الزيادة المستمرة في عدد السكان ، وقد أدى ذلك أما إلى البطالة بشتى صورها كمشكلة تهدد البناء الاجتماعى - إذا تفشت - بالانهيار ، أو العمالة الزائدة التي تعوق العملية الإنتاجية بما يندرج بدوره فيما يظهر له من آثار كمشاكل تؤدى إلى تصدع البناء وخلل الوظائف .

(٥) ومن العوائق التى تقف حجر عثرة فى سبيل الثقافة المادية مشاكل العمل التى أصبحت آثارها واضحة ليس فى داخل وحدات العمل فقط بل تجاوزتها إلى كافة نطاقات الحياة كالتجارة والاسرة والتعليم وما اليهما ، كالتسلط النابع من التطبيق البيروقراطى المرضى ، وقلة المدربين مهنيا نظراً لتطلع الجيل الجديد إلى المناصب القيادية ، وتدخل الواسطة كعامل معوق أمام مصالح أعضاء المجتمع بشتى أنواعها ، اضافة إلى الفتور النسبي الذى يتزايد مع تزايد الفردية في المصالح وتحقيق المكاسب .

صعوبات التطبيق [١]

لقد وضح مما سبق أن اكتشافات العلم ومستحدثاته قد أدت إلى تقدم واضح فى شتى مجالات الحياة الانسانية يمكن حسابه احصائيا بكل الظروف المعيشية المادية التي يحيا فيها الإنسان بينما ظل النظام الاجتماعي محافظا على بعض الرواسب والسلبيات القديمة التي لها من الفاعلية والرسوخ مامكنت النظام من معارضة ومقاومة كل تجديد أو تغيير مطلوب ومرتجى حدوثه مصاحب للتغير التكنولوجى ، وقد وضح هذا للعلماء والباحثين فى المجتمعات

---

(١) د . جبارة عطية جباره ، العوامل المسببة للمشاكل الاجتماعية ، مرجع سابق ، ص ص ٥٥ - ٥٦

الأوربية والأمريكية التي استبان فيها الفرق بين النظامين ، ولكنه لم يكن واضحا فى الدول المسماه بالنامية أو بدول العالم الثالث التي لم يكن هناك فرق واضح بين النظام التكنولوجي والنظام الاجتماعي . ولذلك فان ولـيم أجبرن ومن تبعه أو عارضه في تقدم نظام عن نظام حسب ضرورات منطقية عندما جعلوا من نظرية التخلف تلك مفسراً أول لعمليات التوتر أو التفكك التي تحدث في المجتمع عند حدوث أى تغيير نتيجة الصراع بين القـــديم والجديد حاولوا أن يرتبوا العلمية الإجتماعية في كل ميادين الحياة على هذا الأساس . إلا أن إستخدام هذه النظرية فى مجتمعات خارج النطاق الحضارى الأوربي والأمريكى والتى صعب فيها إلى حد ما التفريق بين النظامين صادف صعوبات عديدة يمكن إجمالها فيما يلى :

١) درس علمـاء الأنثربولوجيا الإجتماعية Social Anthropology المجتمعات الأولية أو البدائية التي تقع فى مناطق -- إذا قيست بمعيار التقدم والتخلف المعمول به فى العصر الحديث ـ تعتبر أعلى مؤشراً فى التخلف ، ووجدوا أن التغير الحادث في هذه المجتمعات لا يصيب الجانب المادى من الثقافة أو ما يطلق عليه النظام التكنولوجى بقدر ما يصيب الجانب اللامادى من الثقافة والمصطلح على تسميته بالنظام الإجتماعى ، وهذا ما حاوله مالينوفسكي Malinowiski عندما أشار إلى أن التغير عن طريق الإنتشار الثقافى هو السبب فى إتخاذ المجتمعات الإنسانية وخاصة البدائية أو الأولية أنماطا جديدة للحياة الإجتماعية ومحدداتها المختلفة ، وقد إستدل على ذلك بأن مقدار التغير الذى أصاب النظم البدائية نتيجة الإستعمار الأوربى طويل المدى كانت أكثر وضوحاً وأبعـد نتائج من التغير الذى أصاب نظامهم المـادى

التكنولوجى (١) .

ومع ذلك تظل نظرية أجبرن فى التخلف الثقافى صالحه فى التفسير حتى فى هذه الحالة ليس فقط لأن الإستعمار ـ من كونه فئة غريبة على المجتمع تتميز بقوة معينة تتفوق فى احتوائها الثقافى لما دونها ـ ليس معناه مجرد نظم أو قيم أو عادات أو ما إلى ذلك بما يطلق عليه ثقافة لا مادية جديدة ، وإنما هو أيضا علوم وتكنولوجيا أكثر تأثيراً فى مجالات الحياه المادية كما يحدث فى عمليات الزراعة والتحديث فيها والعمل على إحلال الميكنة محل الأدوات اليدوية ، وكما يحدث فى إقامة المصانع وإدخال الآلية التقنية وتدريب

---

١) الإنتشار الثقافى Cultural Diffusion هو كافة العمليات المنظمة التى تؤدى إلى تشابه الثقافات فى مجتمعات مختلفة عن طريق آخر غير الإبتكار والإختراع ، وله أنواع ثلاث : أولها الإنتشار الأولى الذى يتم من خلال هجرة بعض الأحياء من الأفراد أو الجماعات ، وثانيها الإنتشار القانونى الذى يظهر خلال الاستعارة المباشرة متضمنا السمات المادية ، وثالثها الانتشار المثير وهى تجمع النوعين السابقين وغيرهما فى عملية واحدة .

أنظر :

ـ د. أحمد أبو زيد ، الأنثربولوجيا الإجتماعية ، دار المعارف ، الاسكندرية ١٩٦٣ .

ـ د عاطف وصفى ، الأنثربولوجيا الاجتماعية ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٨٢ .

ـ د. محمد عاطف غيث ، قاموس علم الإجتماع ، مرجع سابق .

ـ د. جباره عطية جباره ، سوسيولوجية العلاقات الانسانية ، مرجع سابق.

المستعدين لذلك عليها ، وكما يحدث فى شق الطرق وبناء المدارس ونشر الرعاية الصحية وعمليات التعدين الكبيرة وغيرها من العمليات التي تقوم على التقدم التكنولوجي والعلمى الذى جعل من مجتمعات الدول المستعمرة موطنا للحضارة الحديثة والمعاصرة ، وكل ما يبغيه المستعمر نقل مواد هذه الحضارة وماديانها إلى مستعمراته ، فهى تشغله ويعمل على أساسها قبل أن تشغله تغييرات النظام الاجتماعى أو الثقافة اللامادية ، ولذلك يظل الباعث الأول على التغير هى التغيرات التكنولوجية برغم آراء مالينوفسكى .

٢) إهتم الباحثون فى علم الاجتماع الريفى (١) Rural Sociology بالمسألة المتعلقه بتغير المجتمعات القروية ، وقد اتفق أغلبهم على أن التغيرات التي تفرض من الخارج عن طريق الانتشار على المجتمعات الفردية لها قوة

---

١) هناك عدة معايير أو محكات لتحديد المجتمعات الريفية Rural Societies فى مقابل المجتمعات الحضرية Urban Societies مثل كثافة السكان والتباين الاجتماعى ومعدلات التنقل الاجتماعى والمكانى ومعدلات التغير الاجتماعى بين الضعف والقوة .

أنظر :

— د. محمد عاطف غيث ، القرية المتغيرة ، القيطون وهلا وكفر الشيخ ، دار المعارف ، الاسكندرية ، ١٩٦٧ .

— د. محمد الجوهرى ود. علياء شكرى ، علم الاجتماع الريفى والحضرى ، دار المعارف القاهره ، ١٩٨٠ .

— د فاروق العادلى ، المجتمع القروى ، دار الكتاب الجامعى ، القاهرة ١٩٨٢ .

تأثير لاننكر فى النظام الإجتماعى أكثر من تلك التغيرات التي تنبثق انبثاقا داخليا ذاتيا من واقع تتابع الأجيال المتتالية فى المجتمع الواحد. ومن الواضح أن التأثيرات الخارجية تمارسها المدنية وسلطات الدولة وأجهزتها الإدارية العليا ، فالتشريع المقنن يرتب الجوانب المادية من علاقات الأفراد ، والمشروع الإصلاحى يغير من النمط التقليدى لأداء العمل أو للسكن أو للتعليم أو ماإلى ذلك وتكون نتائجه مادية واضحة يمكن حسابها احصائيا من الواقع المعاش. كذلك لوسلمنا بأن التغيرات الداخلية الناشئةدون تأثيرات خارجية هي صاحبة الكلمة الفاصلة فى تغيير المجتمع ، فانها تكون نتيجة انعدام التوازن بين المكونات المادية للمجتمع والمكونات الإجتماعية البشرية ، ولذلك فان التغير في هذه الحالة يمكن تفسيره تفسيرا ماديا بحتا .

مواجهة مشاكل التخلف

بعد استعراضي نظريتي التخلف والربط بين التخلف والتفكك وايجابيات التطبيق فى المجتمعات المتقدمة وسلبياته فى الدول النامية ، يمكن القول أن التكنولوجيا ومايترتب عليهامن أمور وأبعاد مختلفة تظل بدورها صالحةللتفسير حتي مع اختلاف نمط المجتمع ، كل ما فى الأمر إننا نريد أن نعطى نظرية التغير هذه أساسا أكثر وضوحا من الأساس الذى أعطاه وليم أجبرن ، فطالما أن التكنولوجيا ــ كمتغير مستقل أساسى وكافى ــ يقود التغير كمتغير تابع يلزم حدوثه ، وإذا اعتبرنا التكنولوجيا في حد ذاتها متغيراً تابعا فانها تنتج من عمليات أخرى تكون ضرورية لحدوثها إذ هى نتيجة حركة مجموعة من العوامل الاقتصادية المصاحبة لتزايد الحاجات المراد اشباعها وتعقدها ، فليس هناك بأس أن نقول أن التغير في المجال الإقتصادى في المجتمع يؤدى إلى

تغيرات مصاحبة فى كل الأنظمة التابعة ، وبالتالى فإن كل تباطؤ فى تغير الأنماط الأخيرة يؤدى إلى احداث الخلخلة الاجتماعية التي نصفها بالتفكك الإجتماعى

ومن ثم يمكن أن نفهم الطريقين المختلفين لمواجهة مشاكل التخلف على النحو التالى .

الأول : وهو الطريق الذى يبقى على البناء قائما من خلال التنظيمات والنظم المرتبة ، ويتجه إلى الوظائف ليعدل من مسارها بغية الإصلاح الاجتماعى فى فرعيات الخلل والتفكك ، مع الوضع فى الإعتبار الوقاية من أية سلبيات يمكن أن تحدث أثناء وبعد اتمام الإصلاح .

الثانى : هو إعادة بناء المجتمع من جديد وهدم القديم الذى واكب التخلف وتسبب فيه ، بحيث يضمن للتوازن الذى أختل أن يعود مرة أخرى بصفة نسبية له من الدوام مايكفل استمرار البناء الإجتماعى واستقراره نسبيا .

الفصل الثالث

التطـــورية التاريخية

تمهيـــد

- المراحل التاريخية غير المعروفة .
- التطور ذو المراحل المعوقة . ١ ـ نظرية ابن خلدون
  - ٢ ـ نظرية فيكو
  - ٣ ـ نظرية كوندرسية
  - ٤ ـ نظرية أوجست كومت
- التطور من البسيط إلى المركب: ١ ـ رأى الفارابى
  - ٢ ـ رأى ابن خلدون
  - ٣ ـ رأى هربرت سبنسر
- التطـــور الدورى .

التطورية التاريخية

تمهيـــد :

إذا أمكن النظر إلى العلية الإجتماعية المشكلات الإجتماعية بأنماطها المختلفة من أكثر من وجهة نظر يمكن أن تشمل في كليتها النهائية وضـــع التصور السببي المتراكم والمتسلسل والمتشابك لكل نوعية على حده ، فإن الشمولية لمثل هذا الأمر تفترض أن تتفرع منها الجزئيات بحيث يمكن إجمال أية فرعية منها مع غيرها فى العنصر الشامل لها والنظر لهـا بمنظور عام من وجهات النظر المختلفة المشار اليها ، وبالتالى فان الإستعراض السابق لوجهتي النظر فى التغير والنمو من جهة والتخلف الثقـافى بشقيه المتعـارضين من جهة أخرى أوضح أن التفسير العلى يمكن أن يستفيد من كليهما بحيث يمكن إثراء البحث فى المتغيرات المتشابكة والمعقدة فى نسيج مابين المستقل والتابع الضرورى والكافى . إلا أن عرض النظريتين أوضح أن أى فتره (نمو أوتخلف) تسبق بأخرى مغايرة لها وتليها ثالثة مغايرة لها أيضا ، أى أنها تخضع لتتابع تاريخى متتالى تتحدد فتراته المتعاقبة بالنسبة للتغير الواقع والفاصل بينها .

وفى هذا الصدد قد يبدو لأول وهلة أن المعيار فى التحديد المشار إليه هو التاريخ ، إلا أن التاريخ باعتباره دراسة الأحداث فى ماضى البشرية ، أى منذ وجود السجلات المدونة إلى الوقت الراهن ، وإهتمامه بدراسة حوادث فريدة وذات نوعية خاصة من أجل ذاتها فقط ، فهو على هذا الأساس علم فردى أى نظام وصفى أولى يتجه التفسير فيه إلى الظواهر الفريدة والفردية . وعلى هذا الأساس فان التطورية التاريخية تخرج من هذا النطاق ، ويمكن أن يشتبك

الفكر الاجتماعي وهو يحدد معيارها مع فلسفة التاريخ تارة ومع فلسفة العلم تارة أخرى بحيث يمكن المحاولة من رؤية كافة .قولات الحياة الاجتماعية وخبرات الفرد من خلال انتمائها الأساسى إلى المجال التاريخي الذى يتدخل فى كافة الأنشطة والأفعال فيخضعها لتنظيم تطورى محدد .

والتطورية التاريخية تنقسم إلى فرعيات أربعة تهتم أولها بالمراحل التاريخية غير المعروفه ، وتحدد الثانية المراحل التاريخية غير المعروفه ، وتركز الثالثة على الإنتقال من البسيط إلى المركب ، وتوضح الأخيرة أبعاد التطور الدورى كتعاقب مستمر مغاق وتعاقب متداخل مغاق . وهذه الفرعيات الأربعة هى محور هذا الفصل .

المراحل التاريخية غير المعروفة :

تعنى المراحل التاريخية غير المعروفة أو كما يطلق عليها ـ كما يحلو للبعض ـ النظرية العامه للتطور التاريخى ، أن التاريخ عبارة عن مجموعة متعاقبة ومتتاليه زمانيا من الأحداث تصور انتقال الشعوب والمجتمعات من مرحلة معينه الى مرحلة أخرى تختلف عن سابقتها فى أمر أو أمور يمكن المقارنه بينها من زاوية أو من أخرى ، وقد يحمل معنى الانتقال المشار اليه فى بعض الأحيان فكرة التقدم بالمعيار النسبي الذى يحدده . وقد يحمل أحيانا أخرى فكرة التأخر أو التخلف النسبي أيضا في مضمونه . وبالتالى اذا تقدم المجتمع حسب المقاييس المعمول بها وقت الحكم عليه أنه « تقدم » ، فمعنى ذلك أننا لا نتوقع أية مشاكل أو انحرافات ، فالتقدم ايجابى فى وسائله وأهدافه . أما اذا كان هناك تأخر فان المشاكل بالتالى ـ باعتبارها بعداً سلبيا ـ تنبثق منه باعتباره بدوره انحرافا عن مؤشر الايجابية المبتغى ، وتحدث تبعا لذلك

التغيرات الاقتصادية والاجتماعية التي تحمل كل علامات التخلف ، ويصيب الضرر القطاع العريض من البناء الاجتماعى لمثل هذا المجتمع .

ويعتقد أصحاب هذه النظرية أن التاريخ لا يجرى على قوانين أو قواعد معروفه ، ولا يعتمد التطور فى هذه الحالة الا على مجرد ظروف قد تخضع للصدفه البحته ، أو تخضع لتقلبات البيئة أو للظروف غير المتوقعة كاكتشاف الثروات من باطن الأرض او نجاح نظريات علميه تؤدى الى تقدم تكنولوجى مثل الإختراعات والابتكارات ، أو كالمجاعات والحروب وما الى ذلك من الظروف التي تظهر فجأة ولا يمكن التنبؤ بها . ودليلهم على ذلك أن فترات معينه من تاريخ بعض الأمم – كمصر فى العصر الفرعونى والعرب فى العصر الإسلامى وحضارات بابل والهند والصين والإغريق – كانت مثلاً على الإزدهار الذى صحبه ارتفاع فى مستوى المعيشة وتقدم فى المعرفه الانسانيه وإختفاء للمصاعب التي تواجه الانسان فى حياته داخل المجتمع ، وذلك في فترات معينه طالت أم قصرت ، وفى فترات أخرى ولأسباب غير معروفة – وإن عرفت تكون اجتهادية – انتكست هذه الأمم وتدهورت أحوالها الإقتصادية والاجتماعية والثقافية .

وكما يتضح فان مثل هذه النظرية ما هى إلا مجرد وصف بحت لأمور المجتمعات المختلفة لا ينهض على منهج معين لتفسير وتحليل التطورات التاريخية التي حدثت المجتمع العالمي ، لكنها تعتبر ركيزة أساسية لما تلاها من نظريات .

التطور ذو المراحل المعروفة [1] :

قامت فكرة التطور ذو المراحـــل المعروفة « على أسس فلسفية وعلى إستقراء معين لحوادث التاريخ فى عدد من البلدان التى أمكن جمع المعلومات منها بطريقة موثقة ، ومع ذلك فان التحليل التاريخى لبعض فترات التطور وخاصة البعيدة إعتمدت على مجوعة من التصورات والاستدلالات المنطقية ، أو الركون إلى تحليل معين للطبيعة البشرية .

ولعل أوضح مثل لهذا النوع من التفكير فلسفة التاريخ باعتبارها إتجاه يركـــز بصفة أساسية على محاولة إستخلاص قانون عام لتطور المجتمعات الإنسانية من خلال التحليل العقلى للبعد التاريخى :

١ — يعتبر العلامة العربى ابن خلدون أول من إتبع هذا المنهج إذ أنه فى تفسيره للتطور الإجتماعي وضع ثلاثة حالات متعاقبة لحياة المجتمع تندرج

---

١) أنظر :

— د. عبد الحميد لطفى ، علم الإجتماع ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٧٨ .

— د. أحمد الخشاب ، التفكير الإجتماعى ، دراسة تـــكاملية للنظرية الاجتماعية ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٨١ .

— د. مصطفى الخشاب ، علم الإجتماع ومدارسه ، الكتاب الأول : تاريخ التفكير الاجتماعى وتطوره ، مكتبة الأنجلوالمصرية ، القاهرة ، ١٩٨١ .

— د. محمد عاطف غيث ، علم الإجتماع ، مرجع سابق .

— د جباره عطية جباره ، العوامل المسببة للمشاكل الإجتماعية ، مرجع سابق .

من البساطة إلى التعقيد من ناحية البنية والتركيب ، وهذا التدرج فى نفس الوقت يقابل تطور المجتمعات فى طريقة إستغلال موارد البيئة الطبيعية وطرق المعيشة الاجتماعية :

أ) فالمرحلة الأولى وهى ما يطلق عليها حالة البداوة تعبيراً عن المرحلة غير المتحضرة على وجه ألإطلاق ما هى إلا مرحلة بدائية للمجتمعات البشرية تقوم على الزراعة البدائية ويتسم أهلها بالخشونة والشجاعة ، ولا تعتريها أية مشاكل .

ب) والمرحلة الثانية هى مرحلة الرعى والزراعة المتقدمة وهى تتطلب تقدما فى المستوى الثقافي لأنها ترتكز أساسا على فكرة استئناس الحيوان بدلا من قتله ، وفيها تتميع السمات وتتساوى الايجابيات بالسلبيات .

ج) وتلى مرحلة الزراعة والفلاحة مرحلة الصناعة والتجارة التي تحتاج إلى نظر وعلم وخبره فنية ، وهى مرحلة متحضرة رفهة متأنقة ، تختفى فيها الخشونة وتحل الليونة وتسود المشكلات وتذوى الأخلاقيات .

٢ — ولعل المفكر الايطالى فيكو Vico فى كتابه « مبادىء علم جديد » Principes d'une Science Nouvelle هو خير من إتبع هذا المنهج حيث أوضح تطور المجتمعات البشرية وفق ثلاثة مراحـل تسير فى اتجـاه لولبي عمودى بحيث تأخذ شكل دورات متعاقبة تبدأ بالمرحلة الدينية أو العصر الإلهى L'âge divin وتكون السلطة فيه لرجال الدين ، ثم مرحلة أو عصر البطولة Lâge heroique حيث تسود القوى المادية وتتحكم أرستقراطية السلطة وتمجيد الأبطال ، وأخيراً العصر الانسانى L'âgo humain ويتميز

بالمدنية وظهور الحريات السياسية والمعرفه العلمية ، ثم يحدث النكوص وترتد الجماعات البشرية إلى أشكالها الأولى .

٣ – ويلتزم المفكر الفرنسي كوندرسيه Condernet بالواقع المعاش إضافة إلى الاستقراء المثبت للتاريخ الماضي في حين أورى في كتابه
Esqu sse d'une Tableau Historique de Progréss de L'esprit Humain
أن التطور الانساني يمر في خط مستقيم رأسي نحو الرقي والاكتمال في مراحل تتميز التالية عن السابقه بالرقي والتقدم ، في المرحلة الأولى والتي أطلق عليها المرحلة الطبيعية نشأت الحياة الاجتماعية في صورتها الأولية ، ويطلق على المرحلة الثانية مرحلة استئناس الحيوان والرعى إشارة إلى النشاط البارز فيها ، أما المرحلة الثالثة فهي مرحلة الزراعة ، وتليها المرحلة الرابعة وهى مرحلة التفكير النظرى وتتمثل في عصر الحضارة اليونانيه القديمة وفيها أول وحدة سياسية منظمة ، والمرحلة الخامسة مرحلة القانون الوضعى وهو ما ساد في عصر الحضارة الرومانية حيث الامبراطورية والنزعة العلمية الواقعية ، والمرحلة السادسة تتميز بالصراع بين السلطتين الدنيوية والدينية وهو ما يميز مرحلة القرون الوسطى المسيحية ومن هنا بدأت التوترات تستفحل ، وفي المرحلة السابعة يسود الاقطاع أوربا وتبدأ من الحروب الصليبية وحتى بداية المرحلة الثامنة حيث اخترعت الطباعة وأنتشرت الأفكار والثقافات المتحرره مما أدى إلى حركة النهضة والاصلاح الدينى مع الصراع الفكرى والايديولوجي ، ثم تقوم الثوره الفرنسية مؤذنة بالمرحلة التاسعه المتمثلة في اعلان حقوق الانسان وتوترها ينحصر في المطالبة الملحة بالاستقلال وضرورة التدخل العلمي لحل المشكلات المتفشية . أما المرحلة العاشرة فهي

مرحلة تنبؤية لم تتحقق بعد — كما يقول كوندرسيه — حيث يتحقق حلم الإنسان في التقدم عن طريق المساواة الداخلية والخارجيه وإرتقاء الانسانية كجنس عام .

٤ — أما العالم الفرنسي Auguste Comte أوجست كومت الذي وضع اللبنات الأولى لعلم الاجتماع Sociologie ، فقد إنساق وراء نفس النزعة المحـــددة بالتطور ذو المراحل المعروفة ، ففي مؤلفه الرئيسي « دراسات في الفلسفة الوضعية Ccurs de Philosophie Positive » ركز على التقدم الانساني الذي يتمثل في تحسن الظروف أو تقدم المعرفة كحقيقة علمية ، وفي هذا الصدد يرى أن الإنسان مستمر دائما في تقدمه وأن القانون الوحيد للدراسة في الديناميكا الاجتماعية Dynamipue Sociale هو قانون التقدم الإنساني المسمى بقانون الحالات الثلاثة Loi des trois états والذي تخضع له كافة التجمعات الانسانية في تطورها وتقدمها ، وتتمثل هذه الحالات باختصار فيما يلي :

أ) الحالة اللاهوتية أو الدينية L'état Theologique ، وفيها كان الانسان في المرحلة العسكرية أو الحربية ووحدته الاجتماعية الأساسية هي الأسرة وبالتالي فان النظام الاجتماعي كان قائما على أساس عائلي ، وينقل كومت هذه المرحلة إلى الواقع فيقول بأنها مرت بدورها بثلاث مراحل أولها الوثنية Fetichisme والثانية التعددية Polytheisme والثالثة التوحيدية Morotheism .

ب) الحالة الميتافيزيقية L'ètat Mètaphysique وتتميز بالتشريع وظهور

القوانين ووحدتها الاجتماعية الدولة ونظامها الاجتماعى جمعى، وقد بدأت هذه المرحلة بعصر النهضة .

ج) الحالة الوضعية L'é'at Positive وهى مرحله صناعيه وحدتها الاجتماعية السلالة ونظامها الاجتماعى عالمى ، وقد بدأت بالثورة الفرنسية .

وخلاصة ما يمكن أن ندلى به فى هذا المقام أن كل مرحلة من مراحل التطور التى حددت كانت تعكس معرفة معينة ونضجا عقليا معينا أدى إلى قيام نظام إجتماعى معين . وعلى أساس الإرتباط بين هذه الأبعاد الثلاث التى تقوم كقاعدة للمرحلة التطورية أمكن وصف العوامل الأيجابية والسلبية فى حياة الإنسان ، فبعض هذه المراحل تتميز بتعقيدات وصعوبات أدت إلى مشاكل عديدة إنعكست على العلاقات الاجتماعية بين البشر ، ومع ذلك فان الإشارة إلى مشاكل المجتمع على إختلاف أنواعها ـ طبقا لنظرية التطور ذو المراحل المعروفة ـ كأن يأتى بطريقة عابرة ، أى أن ظروف التطور هذه تحمل بين ثناياها أنواعا من الاختلال كان ينظر إليها على أنها مسألة ملازمه أو طبيعية ، ولا تعبر عن نوع علاقات العمل أو نمط توزيع الثروة وغير ذلك من المسائل التي لا بد منها لضبط عمليات التحليل التاريخى .

التطور من البسيط إلى المركب :

تقوم نظرية « التطور من البسيط إلى المركب » على أفتراض أن الكائنات الحيه وهى جزء من العالم تخضع لما يخضع له العالم من تغيرات حتمية فرضتها ظروف التقدم الضرورى . فكما أن العالم قد تعرض لتغيرات غيرت من شكله ومضمونه خلال ملايين السنين فان الكائنات الحية ـ استجابة لهذا

التغير بأعتبار أن القانون الطبيعى الذى يحـــكم العالم وما فيه واحد ـ قد تغيرت أيضا وفى نفس الاتجاه ، فكأن التطور بهذا المعنى يحمل دائماً معنى التقـــدم :

١) وأول من يمثل هذا الاتجاه العلامة العربى الاسلامى أبو نصر الفارابى فى كتابه « آراء أهل المدينة الفاضلة » إذ يشبه المجتمع بالجسم الحى ، ويرى أن « المدينة الفاضلة تشبه البدن التام الصحيح الذى يتعاون أعضاؤه » ويضيف للتفرقة بين المجتمع والجسم حتي يكون التشابه المشار إليه كاملا « غير أن أعضاء البدن طبيعية والهيئات التي لها قوى طبيعية ، وأجزاء المدينة وإن كانوا طبيعيين فان الهيئات والملكات التى يفعلون بها أفعـــالهم المدينة ليست طبيعية بل إرادية « فالفرق إذن بين المجتمع والبدن يتمثل في الإرادة التي تتصف بهـــا الأفعال الانسانية . وإذا كانت المدينة الفاضلة تشبه الجسد السليم ، فالعكس صحيح أيضاً إذ يقابل الجسد المريض المتهالك نوعيات من المدن غير الفاضلة تختلف في نوعيتها تبعاًلدرجة إنحرافها . وسيرا على منهـــاج الانتقال من البسيط إلى الأكثر تعقيداً أو تركيباً فان :

أ) أقل المدن إنحرافا هى المـدينة الجاهـلة التى تنقسم إلى : المدينة الضرورية التى تقوم على إشباع الضرورى من الحاجات فقط ، والمدينة البدالة ينشد أهلها الثروة والغنى ، ومدينة الخسة والشقاوة وهم أهلها إشباع اللذات وتفضيل الهزل واللعب على ما سواه .

ب) وفى المرحـلة الوسطى من الانحراف تقع نوعيتين من المدن غير

الفاضلة ، أولاهما مدينة الكرامة التي يسعى أهلها أن يكونوا دائماً ممجدين مكرمين معظمين بالقول والفعل ، والثانية مدينة التغلب وهدف أهلها قهر الغير والاستمتاع بذلك .

ج) وأكثر المدن إنحرافا المدينة الفاسقة التي يعلم أهلها متطلبات المدينة الفاضلة ولا يطبقونها ، والمدينة الضالة التي يتميز أهلها بالكفر والالحاد .

٢- وكما أوضح الفارابى أبعاد المدينة الفاضلة بأنها مجتمع إنسانى راقى سليم يؤدى الإنسان فيه عمله أداءاً تاماً ويقوم فيه بما يحسن على نحو ما يجرى فى الجسم السليم من تضامن بين الأعضاء وانسجام فى الوظائف ، فان العلامة العربى عبد الرحمن بن خلدون فى مقدمته الشهيرة يعطى نفس المعنى تقريبا ولكن من زاوية أخرى حيث يقول « ان العمر كله — من بداوة وملك وسوقة — له عمر محسوس ، كما أن للشخص الواحد من أشخاص المكونات عمراً محسوساً » ، ويركز على شيخوخة الدولة والمجتمع وهرمه ، أى وصوله إلى المرحلة التي لا يمكن أن يؤدى فيها البناء الاجتماعى للوظائف المنوطه به والحاجة الضرورية — منيا — الى التغير ، وهو ما عبر عنه بالكهولة أو الكبر ، فالمجتمع فى هذه الحالة كالكائن العضوى تماماً ما يشب ويقوى ويكبر ثم يصيبه الهزال وحينئذ يكون المرض مزمنا لا يمكن دواؤه فهو مرض طبيعى ، والأمور الطبيعية لا تتبدل ، وهنا لابد من فنائها — كما يفنى الكهل الكبير — ويتسلم الجيل الجديد المقاليد ليعيد ترتيب البناءات والوظائف حتى تعود الحيوية للدولة وهكذا .

٣ — أوضح هربرت سبنسر H. Spencer نظرية التطور من البسيط الى المركب بمنهجية منظمة استوحاها من فكرته الأساسية التي يشبه فيها

المجتمع بالكائن الحى يبدأ صغيراً بسيطاً ثم يتطور وينمو تدريجيا حتى يصل إلى درجة من التعقيد تتطلب النظر فى كل شأن من شئونه على حده . ومن حيث تشبيهه للمجتمع بالكائن العضوى أورى أن هناك أموراً يتشابهان فيها ، فكلاهما المجتمع والكائن الحي يبـــدأ صغيرا بسيطا ثم يتطور وينمو تدريجيا حتي يصل إلى درجة من التعقيد تتطاب النظر فى كل شأن من شئونه علي حده . ومن حيث تشبيهه للمجتمع بالكائن العضوى أورى أن هناك أمورا يتشابهان فيها وأمورا يختلفان فيها ، فكلاهما ـ المجتمـــع والكائن الحى ـ يشتركوا فى ظاهرة النمو ، كما يتميزان أثناء عملية التغير أو النمو باختلاف فى التكوين والوظائف ، وتتوقف الأجزاء فى كل منهما على بعضها ، وكما توجد الخلايا كوحدات فى الكائن البيولوجى فان الأفراد يكونون بناء المجتمع ، وإذا كانت وظيفة الجهازين الهضمى والدورى تقوم بمهمة حفظ وبقاء الكائن الحى فان النشاط التجارى يؤدى هذه الوظيفة فى المجتمع ، وكما يقوم الجهاز العصبي فى البناء العضوى بوظيفة التنظيم فان الحكومة أو السلطه تقوم بها فى المجتمع . وأخيرا فان إصابة أى جزء فى كليهما لا تعنى إنهيار الـكل دائما ولكنهما يختلفان فى أوجـــه كالتكافؤ Symmetrical الذى يميز الكائن البيولوجى ، وعدم التكافؤ Asymmertical الذى يتميز به المجتمع ، والكاية متصلة الأجزاء فى الأول بينما الثانى منفصل البناءات .

وتقوم نظرية التطور عند سبنسر ـ على هذا الأساس ـ على فكرتين :
أولاها التباين Differentiation بمعنى الإنتقـال من التجـانس Homogeneous إلى اللا متجانس Haterogenous ، بمعنى أن الحيـاة

تحمل معنى الميل إلى التفرد أو التخصص كغاية يحاول الكائن الوصول إليها في إرتقائه وتطوره المصحوب دائما بالانتقال من التعميم غير المحدود إلى التخصص المحدود ومن التماثل المطلق إلى التباين المتعدد . والفكرة الثانية هي التكامل Integration ، فالتباين يؤدى إلى التضامن والتماسك من منطاق توزيع العمل البيولوجي الفيزيقي في الكائن الحي ، والتضامن والتكامل الإجتماعى بالنسبة لشئون الحياة الاجتماعية .

ويتم الإنتقال إلى حالة التباين المتميزة بالتكامل – حسب رأى سبنسر – خلال ثلاث مراحل : المرحلة اللا عضوية Inorganic والمرحلة العضوية Organic والمرحلة فوق العضوية Superorganic ، وتتأثر المجتمعات في تحولها الى المراحل المختلفة بعدة عوامل داخلية تمثل الناحية الفردية من حيث أنها أمور تتعلق بالتكوين الطبيعى والعاطفى والعقلى للأفراد المكونين للمجتمع ، وعدة عوامل خارجية تمثل أمور البيئة كالبيئة الجغرافية والطبيعية وظروف المجتمع المناخية والموقع وغير ذلك مما يؤثر بصفة مباشرة على الأفراد وبالتالي على الظواهر الاجتماعية .

ان المستقرىء لنظرية التطور من البسيط الى المركب خلال النماذج النظرية يمكنه أن يستوضح ببساطة أن التطور يقوم على عدة مبادىء ، من أهمها : عمليات الاختيار والاستبعاد والصراع والتقدم الحتمى ، فلا تبقى الا الكائنات التي تتميز بقدرة أكبر على التوافق والتكيف مع الظروف المتغيرة سواء استجابة للبيئة أو استجابة لظروف الانسان ومعنى هذا من وجهة نظر علم الإجتماع أن المشاكل التي تنشأ في مجتمع الانسان وتلتئم أعضاءه هي مشاكل التطور ومخلفات الاختيار

والانتقاء ، لكن هناك فروقا بين نظرية التطور الطبيعي الخاصة بالانسان ككائن بيولوجي ونظرية التطور الاجتماعي الخاصة بالجماعات الاجتماعية والمجتمع ، وعلى الرغم من اتفاقهما في المبادىء العامة الا أنهما تختلفان من حيث النظر الى الأهداف النهائية ، ففي الحالة الأولى يكون هدف التطور الوصول الى حالة من الاكتمال الطبيعي تبقى فيه العناصر ذات الصلابة والحيوية الدائمة وتذوب العناصر التي ليست لها هذه القدرات ، فأما أن تفنى نهائيا وأما أن تندمج بالعناصر الأكثر قوة . أما في الحالة الثانية فان هدف التطور هو الوصول الى حالة من التوازن والتكامل أطلق عليها مرة اسم « التضامن الاجتماعي » ومرة أخرى اسم « السعادة » ، الا أن النظرة الى المشاكل الاجتماعية كانت تعكس المبادىء التي قامت عليها أفكار التوازن أو السعادة ، فالمشكلة الاجتماعية تنشأ نتيجة قيام اختلال أو نشوء جو من التعاسة الانسانية من واقع عوامل التطور داخلية كانت أو خارجية .

التطور الدوري (١) :

تم استخلاص نظرية التطور الدوري عن طريق الدراسات المتصلة التي

---

١) أنظر :

— د محمد الجوهري وآخرون ، دراسة علم الاجتماع ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٧٥ .

— Gurvitch, G., Traitè de Sociologie, Paris, 1963.

— Sorokin, P., Social and Cultural Dynamics, Vol. II, New York, 1937.

أجريت فى التاريخ أو علم الإجماع ، أو الدراسات المقـــارنة للأديان أو الآثار والحفريات التي وجدت من المنهج العلمي الحديث نقطة إرتكاز للتحليل العلمي . ولعل أبرز من كتب فى هذا الاتجاه أرنولد توينبي وكولنج وود وشبلنجـر ، إلا أن عالم الاجتـماع الأمريكى بيـتريم سـوروكـين Pitrim sorokin فى مؤلفـه الضخم ذى المجـلدات الأربع « الديناميكيات الاجتماعية والثقافية » ، أوضح الأبعـاد السوسيولوجية لنظرية الحركات الدورية التي تعتبر إسهاما علميا لا يستهان به فى مجال العلمية الاجتماعية للمشكلات الاجتماعية من خلال التطورية التاريخية بصفة عامة :

١ — ففى الجزء الأول من كتابه المشار إليه ، والمعنون « تقلبات الأشكال الفنية » Fluctuation of Forms of Art ، حاول سوروكين الوصول إلى نظرية عامة متكاملة الأبعاد في التغير الاجتماعي والثقافى من خلال دراسة الفن بأشكاله المختلفة من موسيقى ونحت وعمارة ورسم وأدب ، وذلك عبر حقب تاريخية كبيرة إمتدت خمسة وعشرين قرنا من الزمان كانت حافلة بأعمال فنية مختلفة الاتجاهات والأبعاد ، وقد خاص من دراسته تلك إلى أن التغيرات طويلة المدى المحددة لتطـور أساليب الفنون المختلفة بين نوعـين تصوريين من الفنون :

أ) الفن العقلى Ideational Art الذى يجـد الخصائص الدينية أو المنتمية إلى عوالم أخرى .

ب) الفن الحسى Sensate Art الذى يشير إلى الفنون العلمانية المحسوسة.

ولا يمكن وضع أى تحديد منهجي منظم لتطور هذه الفنون يمكن أن

يشير بدقة إلى هذه التغيرات طويلة المدى المشار إليها في مضمون وأسلوب الفنون المختلفة ولا حتى في داخل حقبة حضارية واحدة . وبالتالى لا يمكن وضع تصور لهذا التطور في أية أشكال منتظمة كالخطوط المستقيمة أو المنحنيات الدورية أو الدوائر المتداخلة .

٢ — وفي الجزء الثانى من نفس الكتاب والمعنون « التغيرات فى أنساق الحقيقة » ، اهتم سوروكين بوضع نظرية فى التطورية التاريخية من خلال الحركات الدورية المتعاقبة ، فالواقع الاجتماعي يرتكز فى أساسياته على عقليات الثقافات المختلفة المرعية ، وعلى ذلك اتخذ من تاريخ الفلسفة History of Philosophy وتاريخ العلوم History of Sciences والاحصائيات المتاحة مصادر أساسية لمادته العلمية التى إستخلص منها نظريته التي حددت اتجاهات فى التطور التاريخى الدورى يشمل المساحة الكلية لتاريخ البشرية سواء كان محدودا بمجتمعات صغيرة أو موسعا بتجمعات كلية ، بما يطلق عليه اتجاه التعاقب المتداخل المغاق ، ومؤداه أن هناك مراحل تاريخية متعاقبة تمر بها المجتمعات في تسلسل وتتابع ، حتى اذا وصلت الى منتهاها تكررت بنفس الترتيب بشكل دورى لا نهائى ، وقد حدد سوروكين هذه المراحل فى ثلاثة :

المرحلة الأولى : المرحلة الخيالية Ideate وهى مرحلة دينية لاحسية .

المرحلة الثانية . المرحلة المثالية Idealistic وهى مرحلة عقلية .

المرحلة الثالثة : المرحلة الحسيه Sensate وهى مرحلة سيطرة ، المعرفة والعلوم والفنون المحسوسة .

وعلى هذا الأساس يمكن أن نجد أن نظرية التطور الدورى تتجه أحد إتجاهين :

الاتجاه الأول : إتجاه التعاقب المغلق المستمر ، ومعناه أن التاريخ يدور فى حلقات منفصلة غير متصلة ، ولكنها متقدمة دائما ، ومع تقدمها فانهـــا تتعاقب بصورة منتظمة أو غـير منتظمة فى الزمان أو المكان ، كما أورى سوروكين فى تقلبـــات الأشكال الفنية ، وكمثال آخر أن الحضارات العالمية قامت في مناطق من العالم وأخذت دورة تشبه دورة الحياة بالنسبة للـــكائن العضوى إلى أن أصابها الانحلال والتدهور فهلكت وذوت ، ولكن الروح الحضارية ـ بنظرة تناسخية معينة ـ تنفصل عن هذا المكان الذى لم يصبح صالحا إلى مكان آخر فتزدهر فيه الحضارة التي قد تأخذ نمطا مختلفا ، ولكنها تواجه مصيرها المحتوم يوما من الأيام ثم تنتقل روحها إلى مكان آخر وهكذا. وقد إستخدم أيضا هذا المذهب أو هذا الاتجاه هذا التحليل في تفسير التطورات الحضارية الكبرى التى حدثت فى مصر الفرعونية وبلاد ما بين النهرين والصين والهند وبلاد الاغريق وامبراطورية الرومان ودولة العرب ثم أوربا وأمريكا بعد ذلك ، كما إستخدموا فى تفسير الحركة التطورية للعلوم والفنون والآداب رأسيا أو أفقياً ، أو بمعنى آخر تفسير هذه الحركة داخل النطاق الحضارى الواحد عبر الحقب التاريخية المتتالية ، أو التطور الإنتشارى لنوعية واحدة عبر المساحة الحضارية المتكررة وخارجها فى نفس الزمان .

الإتجاه الثـانى : إتجاه التعاقب المتداخل المغلق ، ومعناه أنه مهما تعـددت أنماط التطور التاريخى فانها تصنف إلى مرحلتين أو ثلاث على الأكـثر ، ويظل التاريخ مسرحا لهذه الدورات المتعاقبة ، فقد تثبت البناءات الاجتماعية

رغم الانتقال المرحلى ، إلا أن مؤشر الوظائف يأخذ فى الصعود أو الهبوط حتى تصل الى حد التغير التام فى أحـــداها ، وقد يصيب التغير البناءات والوظائف معا .

وأيا ما كان الأمر ، فان ما يعنينا من هذا الاتجاه أن أنصاره جعلوا من المرحلة التي تقوم على التوازن بين الفكر والمادة ، أو بين الثقافة اللامادية والثقافة المادية ـ بلغة أوجبرن ـ القاعدة التي يقوم عليها تكامل المجتمع الانسانى ، ومعنى ذلك أن كل مرحلة وأخرى تعتبر مثيرة للمشاكل الاجتماعية لإنعدام هذا التوازن الذى ينعكس على مجموعة من الأسس التي يعتمد عليها النظام الاجتماعى والذى تنفتح فيه ثغرات مستمرة تؤدى الى انتشار المعوقات والمصاعب والانحرافات أمام الانسان العادى ·

الفصل الرابع

العملية السيكوسوسيولوجية

- تمهيـــد
- مكونات الطبيعة البشرية
- صراع المكونات النفسية للجماعات
- الرواسب والمشتقات
- الفعل الاجتماعي والسلوكية
- تذييـــل

العلية السيكوسوسيولوجية

تمهيد

يزاوج الإتجاه السيكوسوسيولوجى فى العلوم الإجتماعية بين الموضوعات المختلفة لكل من علمى النفس والإجتماع ، وقد أنسل من العلوم الاجتماعية علم يهتم بهذه الناحية وهو علم النفس الاجتماعى Social Psychology الذى يتناول دراسة السلوك الفردى وتفسيره فى حدود العوامل الإجتماعية ، ويهتم بتحليل بناء الجماعة فى حدود سلوك الأفراد المكونين لها ، ولذلك يركز على أمرين أولهما العناصر المتميزة فى الفعل الإنسانى التى تحدد علاقات الإنسان الإجتماعية ، والثانى مدى استجابة العلاقات الإجتماعية للعمل ، والتركيز على هذين الأمرين له عدة اتجاهات منها دراسة واقعية الفرد من خلال تفاعله مع العالم الاجتماعي الخاص به والذى قد يسبب له الأحباط ، ومنها أيضا دراسة حاجات الفرد فى مواجهة البيئة التي قد تشبع حاجاته أو تحبطها ، ومنها اتجاه آخر يؤكد أهمية الإدراك الذى يتأثر بتصورات الآخرين فى البيئة الاجتماعية (١)

وإذا كانت المشكلات كميدان رحب ومتسع هى الشغل الشاغل لأغلبية أن لم يكن لكل العلوم الاجتماعية ، فان كلا من علم الاجتماع وعلم النفس يحاول

---

(١) أنظر

أ . براون ، علم النفس الاجتماعى ، ترجمة د . السيد محمد خيرى ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٨ .

قدر جهده التعرف على الأبعاد العامة والخاصة الظاهرة والمستترة لتلك المشاكل حتى يمكن تلاقيها حتى يصل المجتمع إلى ما يبتغيه . ولو أن النظرة تختلف من كليهما حتى لنوعية المشاكل ، فعلم النفس يهتم بالمشاكل الفردية النفسية التي تصيب الفرد كالعصاب Psychosis والسيكوباتية Psychopathic والكبت والأحباط (١) وغيرها . أما علم الاجتماع فيهتم بالمشاكل التي تصيب المجتمع أو مكوناته الاجتماعية كمشكلات الأسرة والعمل ومشكلات التخلف والتنمية وما إليها .

وقد وجد أن المزاوجة بين أبعاد العلمين الاجتماعيين تساعد على الوصول إلى الهدف من العلم بطريق أقصر ، ومن هذه الوجهة بدأ تفسير وجهات نظر العلماء على الأساسين السيكوسوسيولوجى ، وفى هذا الفصل سننهج نفس

---

(١) العصاب : اضطراب نفسى شديد أو تفكك في الشخصية يفتقد فيه الفرد كل اتصال بالواقع الخارجي ، وتصعب عليه المشاركة فى الحياة الاجتماعية العادية . والسيكوباتية . نموذج للشخصية يفتقد الطابع الأخلاقى والاستقرار الانفعالى والاحساس بالمسئولية تجاه الأفراد الآخرين والمعايير الاجتماعية .

للتعرف على مزيد من التفاصيل عن المشكلات والأمراض النفسية يمكن الرجوع إلى .

ـ د . أحمد عزت راجح ، أصول علم النفس ، الدار القومية للطباعة والنشر ، الاسكندرية ، ١٩٦٣

ـ د . انتصار يونس ، السلوك الانسانى ، المكتب المصرى الحديث للطباعه والنشر ، الاسكندرية ، ١٩٦٤

الطريق بهدف الوصول إلى عاية اجتماعية متكاملة للمشكلات الاجتماعية ، فنوضح في البداية اسهامات العلامة العربى ابن خلدون فى مكونات الطبيعة البشرية ، ثم نعرض لآراء « جامبلو فكز » فى صراع المكونات النفسية للجماعات وآراء باريتو فى الرواسب والمشتقات ، وأخيرا نظرية الفعل الاجتماعى وسيكولوجيتها كما أوراها بارسونز .

مكونات الطبيعة البشرية

أن التغيرات التي تحدث في مجال المجتمع الانسانى يمكن أن تفسر أساسا بمكونات الطبيعية البشرية وما تظهر عليه فى الواقع وما تتعدل به نتيجة الاصطدام بعدد من الظروف التي تغير من طبيعة الاستجابات الانسانية ويتوقف عمق التغير فى هذه الحالة على مدى تكامل مكونات الطبيعة البشرية من ناحية، وعلى أنماط السلوك الاجتماعى التى تهتم فى بناء النظام وفى الحفاظ عليه وفى حراسته أثناء عمليات التغير الممتدة ، وقد نحا هذا النحو فى مجرى تاريخ الفكر الانسانى عددمن المفكرين والعلماء، لعل أبرزهم العلامة العربى المسلم عبد الرحمن إبن خلدون .

وإذا جاز لنا تحليل وتفسير آراء ابن خلدون في التطور والتغير الذى يصيب أى مجتمع من المجتمعات ، فان مكونات الطبيعة البشرية هى ركيزة هذا التغير ، وهى أيضا الأساس الذى يمكن أن تفسر مشاكل المجتمع بها ، أو بمعنى اخر أن المشكلات تتفشى نتيجة التخلف أثناء التغير الذى يقوم على الفشل فى التكيف وهو مايفسر بدوره على أساس عوامل نفسية متشابكة . ولنا أن نطالع النص التالى لتتضح لنا جلية الأمر ، يقول

صراع المكونات النفسية للجماعات :

هناك مدرسة فكرية متعددة الجوانب تبنى التحليل الاجتماعي بأكمله على فكرة الصراع ، ولعل أبرز ممثل لهذه المدرسة المفكر الألمانى جمبلو فكز (١) Gumplowicz الذى حـاول أن يضع أساسا للتشبيه بين العملية الطبيعية Natural Process والعملية الاجتماعية Social Process من منطلق منطقى وواقعى مثبت بالبراهين العلمية ، فالعملية الطبيعية - في رأيه - تنطوى على تفاعل متبادل بين عناصر متنوعة لاخراج مركب جديد له صفات واستعمالات مخالفة تماما لعناصره على حده ، فوحدتين مثلا من الأكسجين إذا اتحدتا فى تفاعل معين مع وحدة واحدة من الأيدروجين كان الناتج جزىء من الماء ، فاذا ما قارنا بين خصائص وأهمية كلا الغازين المشار إليهما لوجدناهما مختلفين تماما عن خصائص وأهمية الماء وهو المركب منهما مجتمعين، إلا أن جمبلو فكز يبـنى على ذلك وجهة نظر أخرى مؤداها أن الأشياء المـتماثلة فى النواحى الطبيعية لا يسود بينها تفاعل مثلما يحدث لقطبي المغناطيس المتماثلين سواء كانا موجبين أو سالبين فلا يحدث بينهما تفاعل بينما القطبين المتباينين فانهما يتجاذبان ، وعلى هذا الأساس يضع جمبلو فكز عنصرين أساسيين للعملية الطبيعية يتبين من تعريفه لهـا ، وأول هذين العنصرين تنوع أو تباين العناصر المختلفة كى يخرج مركب جـديد ، والثانى التفاعل المتبادل

---

(١) أنظر

- د . محمد عاطف غيث ، قاموس علم الاجتماع ، مرجع سابق

- House, F N , Development of Sociology , New yor , 1936

بين هذه العناصر حتى تتغير وتتحول مواصفاتها إلى أخرى جديدة ومختلفة عن سابقتها .

أما العملية الإجتماعية فهى مشابهة تماما للعملية الطبيعية من حيث مكوناتها وعناصرها ، وقد خلص جمبلو فكز من دراسته وأبحاثه ، أن تحليل التاريخ أساسه فى واقع الأمر أثر الدوافع النفسية والرغبات والآمال والمطامح فى تشكيل النظام الاجتماعى، وفي تقرير مصير المجتمعات . وان تتحقق هذه الآمال والرغبات من خلال الدوافع النفسية المختلفة إلا بالصراع (١) والمنافسة (٢) ، وفكرة الصراع والمنافسة - باعتبارها نمطا صراعيا لا يتطلب العدوانية - عنده تعنى الاصطدام بين المكونات النفسية للجماعات التى تقوم على مبدأ الإختلاف ، والعامل المؤدى اليها مهما اختلفت

(١) الصراع Conflict نزاع حول القيم ، والسعى من أجل المكانة والقوة والموارد النادرة ، حيث يهدف الأضداد إلى تحييد أعدائهم أو القضاء عليهم .

أنظـــر :

— Coser, L. A., The Functions of Social Conflict , The Free Press , Glencoe , 1956 .

(٢) لاتنطوى المنافسة Competition بالضرورة على اتجاه عدائى حيث لايتوافر الوعى أو الشعور الكامل بين الأشخاص المتنافسين ، ولهذا فوظيفتها الإجتماعية تتمثل فى انعدام التعارض بين الأشخاص .

أنظر :

— Cooley , C. , Sociological Theory and Social Research , Henry Holt, New York 1930 .

تفسيراته يتمثل في اختلاف المصالح بين قطبي الصراع ، فالصراع باعتباره عملية لها عناصرها المتفاعلة تتطلب تباين وتنوع هذه العناصر ، وهذا التباين في الناحية الاجتماعية يعني اختلاف المكونات النفسية للجماعات المتفاعلة حول رغبة أو مطمح واحد وسيلته عند بعضهم ثبات القيم الثقافية التقليدية ، وعند الآخرين التجديد والتغيير ، فيظهر الصراع الذي يعتبره جمبلوفكز أساس الحياة الاجتماعية ، كما تتفاعل العناصر الطبيعية لتكوين مركب واحد ، فذلك بعينه الذي يحدث بين المجتمعات حين تتشابك وتتصارع من واقع اختلاف مكوناتها النفسية نظرا لإختلاف مصالحها .

ولعل في ذلك رؤية جديرة بالدراسة عند المهتمين بالبحث في المشكلات حتي ينظروا بطريقة شمولية إلى الجماعات الاجتماعية كي يتعرفوا ـ من خلال التحليل الاجتماعي لتاريخها ـ على أثر الدوافع النفسية والرغبات والآمال في تصارعها في تشكيل النظم الاجتماعية الماضية والسائدة حاليا حتي يمكن وضع المنحنى البيانى للتنبؤ بما سيصير عليه حال هذه الجماعات ، وبذلك يمكنهم المساهمة في وضع الأسس التي يقابلون بها التوترات أو الانحرافات التي قد تنشأ ، ليس للوقوف في سبيل حدوثها ، ولكن للوقاية من أثارها السلبية على المجتمع ككل .

الرواسب والمشتقات

في كتابه العقل (١) والمجتمع The Mind and Society فسر فلفريدو باريتو Vilfredo Paréto مشاكل المجتمع بل فسر النظام الاجتماعي بأكمله

(1) Pareto , V. , The Mind and Society , Trans. by : Bogiorno, A & Livingston , A. , Harcourt , New York, 1939 :

على أسس نفسية وإن لم يقصد ذلك ارادياء فبين دفتي هذا الكتاب الذى يعتبر أكبر مؤلف فى هذا الميدان درس باريتو الدعامتين اللتين يقوم عليهما النظام الإجتماعي ويصلحان للتحليل والتفسير . مما يدل على ايمانه العميق بمكونات الطبيعة الإنسانية ودورها فى احداث التغير أو فى ظهور مشاكل المجتمع ، وهاتان الدعامتان هما الرواسب والمشتقات اللتين نعرض لأبعادهما باختصار فيما يلى :

١ ـ الرواسب Residues

حاول فلفريدو باريتو تفسير عملية تصرف الأفراد على نحو غير سوى ، فأدخل هذا المصطلح الذى سبق أن أشار اليه علماء الإجتماع بمصطلحي المعايير الإجتماعية والقيم :

أ) فالمعـــايير الاجتماعية Social Norm وهى ببساطة المقاييس أو المستويات العامة Common Standards والأفكار الـتي تحكم استجابات الأفراد فى كل الجماعات القائمة وتوجهها فهى اذن بمثابة قواعد ومستويات سلوكية تحدد التوقعات المشتركة لأفراد الجماعات طبقا لملائمة السلوك من وجهة نظر المجتمع ، بحيث تؤدى فى النهاية إلى غاية يتوسطها تقبل الأفراد لتلك القواعد ونهايتها الامتثال انتقالا من الأفعال البسيطة ووصولا إلى الأحكام الأخلاقية المتشابكة ، فتزداد بذلك وحدة الجماعات وتماسكها .

ب) والقيم Values عناصر بنائية تشتق أساسا من التفاعل الإجتماعي Social Interaction ، وهذه العناصر ماهى إلا مبادىء مجرده وعامة للسلوك الانسانى يشعر أعضاء الجماعة حيالها بالارتباط العاطفى التقبلى الانفعالى

القوى ، كما أنها توفر مستوى حكميا على الأفعال الخاصة ، وتساهم أن لم تصنع كلية كافة المستويات العامة للسلوك التي تعبر عنها بوضوح المعايير الإجتماعية المشار اليها آنفا ، وكذلك المبادىء التنظيمية والضرورية لتكامل الأهداف الفردية والجماعية .

إلا أن الرواسب في معناها العام تشير إلى المشاعر والعواطف والانفعالات والدوافع الاستبطانية المستترة التي تجعل الإنسان يأتى بسلوكيات وأفعال غير عقلانية أو منطقية ، وأنواع أو فئات الرواسب هى :

(١) رواسب التركيب والتكامل ، بمعنى القدرة على الربط بين الأشياء .

(٢) رواسب استمرار التجمعات ودوامها ، وصاحبها ينحو اتجاها محافظا .

(٣) رواسب ظهور العواطف وتجليها فى أفعال خارجية .

(٤) رواسب الألفة الاجتماعية ، ويكون دافعا للاجتماعية فى السلوك وفرض الرأى .

(٥) رواسب التكامل الشخصى ، ويكون دافعا إلى القيام بأفعال تؤدى إلى إستعادة التكامل .

(٦) رواسب جنسية .

ويرى باريتو أن ظهور الرواسب تختلف من مجتمعات لأخرى تبعا لظهورها من جماعة لأخرى ، إلا أنها عامه بالنسبة لكافة المجتمعات والأزمنة ، إلا أنها تتوزع بين الأفراد بصورة غير متساوية ، كما أن تكرارها

النسبي في مختلف المجتمعات والمراحل التاريخية خاضع للتغير ، ويرجع التغير الاجتماعي — بما يحمله من ايجابيات وسلبيات — إلى فئتين أساسيتين من الرواسب ، أولها رواسب التركيب والتكامل ، والثانية رواسب دوام التجمعات واستمراريتها .

٢ ـ المشتقات Derivations

إذا كانت الرواسب عبارة عن مشاعر ودوافع كامنة متصارعة لا تتسم بالعقلانية ، فان المشتقات على العكس من ذلك تماما ، فهي تفسيرات رشيدة للافعال والسلوكيات غير المنطقية ، فنتيجة الرواسب سلوكيات تتسم في أغلبها بأنها غير رشيدة ، إلا أن الإنسان السوى يشعر في ذات الوقت بحاجة أن يبدو أمام الاخرين وأمام ذاته بأنه منطقيا ، والمشتقات تحقق له هذه الرغبة من خلال تبريرات زائفة وغير صادقة وتتميز بالمنطقية . وقد تتساوى المشتقات هنا مع الايدلوجية Ideology التي تقوم بمهمة التبريرات المنطقية والفلسفية لنماذج السلوك والاتجاهات والأهداف وأوضاع الحياة العامة السائدة .

وفئات المشتقات التي تعتبر مظاهر العواطف وتجلياتها وما تشتمل عليه من الاستقلال المنطقي بما يجعلها جميعا نتاج لرغبة الإنسان في فهم وتفسير وتبرير أفعاله الغير منطقية هي :

أ) التوكيد ، إذ تتخذ من الاستدلال حجة منطقية للاقناع بصدق ومغزى السلوكيات غير المنطقية بل وقد ينجح هذا المنهج في نشر مثل هذه السلوكيات

راعتناقها من قبل الآخرين ، مما قد ينشأ عنه بعض التبلبل الفكرى فتنشأ التوترات والسلبيات .

ب) السلطة ، سواء كانت سلطه رسمية تسوس تجمعات انسانية نحو هدف مثالى ، أو سلطة غير رسمية في زمر وجماعات صغيرة توجه الآخرين نحو سلوكيات تدعم من أفكارهم، وقد يتخذ هذا التوجيه السلبية أو الإيجابية في التطبيق ، مما قد يكون دافعا لانحرافات عن مسار المجتمع أو مخالفة التشريعات السائدة .

ج) بعض مصاحبات العواطف .

د) البراهين اللفظيه .

وفى هذا الصدد لابد من الإشارة إلى منطق العواطف Logic of the Sentiments الذى أطلقه باريتو حينما أورى أن أغلب الناس لا يطبقون مبادىء المنطق الصحيح على المواقف التي يكون التحليل المنطقي الموضوعي فيها مدمرا لوجهة نظرهم النفسية ، فيقوم هؤلاء بدلا من ذلك بتصوير صور فكرية تميل إلى التغاضي عن المتناقضات من أجل قيمهم الفاضلة .

وعلى هذا الأساس يمكن أن نخلص من نظرية باريتو فى الرواسب والمشتقات بالنتائج الآتية :

أولا — أن دراسة باريتو للرواسب والمشتقات واعتبـارها الدعامتين اللتين يقوم عليها النظام الإجتماعي ويصلان للتحليل والتفسير ، دليل واضح وبين على ايمانه العميق بمكونات الطبيعة الإنسانيـة ودورها في ظهور مشاكل المجتمع .

ثانيا ــ أن التباين بين الرواسب والمشتقات كمفهومين وكتطبيق لأبعاد نفسية قــد يؤدى إلى طريق سابي يكون مـدعاة لتفشى مشاكل اجتماعية تؤثر تأثيرا مباشرا على مسيرة المجتمع ، فقد تكون المشتقات خادعة فى صدقها ومدى أهميتها ، والصعوبة هنا في الانسياق الاجـتماعى وراءها أن استطاع أو حاول صاحبها نشرها بمـا يتماشى منطقيا ــ ظاهريا ــ مع العقل السائد .

ثالثا ــ أن التكرار النسبي للرواسب بفئاتها المختلفة عبر المراحل التاريخية ودعمها بأساليب المشتقات منطقية التفسيرات ، تؤدى إلى تغيرات قد تكون عميقة ومخالفة لبعض وظائف الأبنية الاجتماعية ، مما يكون مدعاة لظهور مشكلات تترتب عليها أخرى وهكذا .

رابعا ــ أن تواجـــد المشكلات الاجـتماعية وسط فئات الرواسب والمشتقات السائدة في المجتمع قـد تجعل من أصحاب المصالح فى عدم الوصول لحل لها أو الإبقاء على ثقافات غير ملائمة للمجتمع ، معوقين لأية مواجهة ايجابية لهذه المشاكل ، بل قد يعمقون من جذورها بحيث تتفرع عنها ما يدعم منها .

خامسا ــ أن الرواسب والمشتقات كمكونات للطبيعة البشرية تعتبر بعدا عليا للمشكلات الاجتماعية السائدة فى المجتمع يجب ألا يغفله الباحث بحيث يستعين بالمتخصصين فى ايضاح الارتباط العلى المشار إليه ووضع الأسس والوسائل الكفيلة بتجنب آثاره السلبية .

الفعل الاجتماعى والسلوكية (١)

انقسمت المدرسة السلوكية ما بين التطرف والاعتدال فى دراسة الوحدة الرئيسية للبحث فيما يكتنف الفرد والمجتمع من أبعاد ذاتية ، فقد اعتبرت السلوكية المتطرفة وحدة البحث الرئيسية هى السلوك ، وفى هذا الصدد تركز على دراسة السلوك البين الظاهر والملموس لصاحبه أو المحيطين به فى علاقات من نوع أو من آخر ، وعلى هذا الأساس تستبعد من البحث تماما المفاهيم التى تشير بطريق أو بآخر إلى حالات عقلية غير ملموسة بالحواس مثل القيم والاتجاهات والاعتقاد أو المستويات المجردة مثل الثقافة والنظم الاجتماعية .

---

(١) أنظر :

ـ د . أحمد الخشاب ، مرجع سابق .

ـ د . أحمد عزت راجح ، مرجع سابق .

ـ د . جبارة عطية جبارة ، العوامل المسببة المشاكل الاجتماعية ، مرجع سابق.

ـ د . محمد عاطف غيث ، علم الإجتماع . مرجع سابق .

ـ د . محمد عاطف غيث ، قاموس علم الإجتماع ، مرجع سابق .

— Parsons, T , The Social System, New York, 1972.

— Parsons, T. & Shills, E.A., ed Toward a General The ry of Action, Harvard University Press Cambridge, 1959.

— Parsons, T , Essays in Sociological Theory, Free Press, Glencoe, 1949.

— Homans, G., The Human Group, New York, 1950.

وفى مقابل ذلك ظهرت نظرية الفعل الإجتماعى Social Action Theory التى ترفض تماما مبدأ السلوكية المتطرفة ، وتؤكد المعنى الذاتى فى موقف الفاعل . مع الوضع فى الاعتبار ضرورة دراسة هذا المعنى فى ضوء الحالات العقلية المعبرة عن لاماديات فكرية تشكل البنية الثقافية المؤطرة للتفاعل الحادث كالقيم الخاصة عند الفاعل وتوقعاته المحددة لاستجابات الآخرين ، ولابد أن يوجه الباحث فى هذا المجال اهتماماته لدراسة السلوك الإنسانى من خلال التصرفات التى يقوم بها الأفراد الفاعلين فى مواقف محددة ثقافيا وفى أنساق معينة للعلاقات الإجتماعية . وإذا كان الفعل اجتماعيا فان ذلك يتطلب أن يتوافر القصد فى توجيه سلوك الفاعلين ، فالتفاعل على هذا الأساس هو السياق الذى تنمو فيه الشخصية .

ولعل خير ممثل لهذا الإتجاه تالكوت بارسونز Talcott Parsons الذى وضع نظرية متكاملة تحدد أبعاد الفعل الاجتماعى بالمفهوم السابق ايضاحه ، وقد ركز فى هذه النظرية على مكونات وموجهات الفعل ومستويات الانساق المحددة له وموقف الفاعل إذا ما صادف توترا أو حرجا معينا ، وهذا يمكن ايضاحه فيما يلى .

١ — يتطلب الفعل الإجتماعى مكونات أساسية لابد من توافرها مجتمعة لإستكمال المعنى الذاتى فى موقف الفاعل — كما تتطلب النظرية التركيز عليه خلافا لمبدأ السلوكية المتطرفة — حين يستكمل شرط العضو فى توجيه سلوكه ، وأول هذه المكونات العناصر الأساسية لأى فعل اجتماعى حيث يتطلب وجود فاعلين على الأقل إن لم يكن أكثر حتى تستكمل صفة الاجتماعية أبعادها المطلوبة ، ويضع بارسونز الأثر والفعالية كمكون آخر إذ يجب أن يكون

لأطراف الفعل الاجتماعي فعالية يتأثر بها سلوك الفاعل ، أما ثالث المكونات المتشابكة ما يطلق عليه المفاهيم التي تشير إلى حالات عقلية لا مادية إذ يتطلب الأمر ضرورة مساهمة الأطراف أو العناصر أو الفاعلين فى الفعل على أساس من القيم والمعتقدات والإتجاهات والمعايير ، ووضح بارسونز أخيرا كشرط لقيام الفعل تشابه وتوقعات الفاعلين وأطراف الفعل وتأثيراتها المتبادلة في المواقف المكررة بنفس الصيغة أو المشابهة بحيث يمكن التنبؤ بها ، وعلى هذا الأساس يكون للفعل بناء اجتماعي ينشأ من خلال التوحيد المعياري Standardlization والتواتر Ricurpence بما يؤدى إلى تحقيق هدف أو أهداف محددة من خلال التفاعلات المنتظمة داخل النسق المعنى .

٢ — أن « الهدف » المراد الوصول إليه من الفعل — كما وضح من الفقرة السابقة — ينشأ أساسا من تواجد حاجات للفاعل تتطلب الإشباع — أيا كانت هذه الحاجات — فيضع ذلك الهدف في اطار معايير وتقديرات بعض المحددات التي تمثل فى كليتها خصائص وطبيعة وموجهات الفعل الإجتماعي ، وقد يوضع المحدد مفردا أو متشابكا مع غيره بحيث يمكن أن تتجمع الموجهات الادراكية Cognitive والأخلاقيـة Cathectic والتقديرية أو التقييمية Evaluative بحيث تعتبر فى تفردها أو تجمعها دوافع للفعل الاجتماعي . وفى هذا الصدد تجدر الاشارة إلى أن الفاعل فى استخدامه للوسائل المحققة لهدفه يضع فى اعتباره دائما سلوك الآخرين بحيث يمكن التنبؤ — كما وضح من الشرط الأخير لمتطلب الفعل — باستجاباتة تجاه سلوكياتهم ، وذلك حتى يتمكن من تغيير أو تعديل سلوكه كي يتفق مع الآخرين كلما لزم الأمر ، ونفس الشيء

يمكن أن يقال بالنسبة لهؤلاء الآخرين ، وذلك على أساس ما ينطوى عليه الموقف من قواعد ومعايير والتزامات .

٣ ـ تؤكد نظرية الفعل الاجتماعى على ضرورة دراسة السلوك الانسانى من خلال التصرفات التي يقوم بها الأفراد فى مواقف محددة ثقافيا وفى أنساق معينة للعلاقات الإنسانية، وقد حاول تالكوت بارسونز تحديد مستويات الأنساق الاجتماعية Social Systems باعتبارها وحدات متداخلة متفاعلة متكاملة لا يمكن الفصل بينها أو التعرض لاحداها دون الأخرى إذ أن تصرفات الأفراد المشار إليها تتحقق داخلها متشابكة دونما انفصال ، وقد حدد بارسونز هذه المستويات فى ثلاث هى :

أ) مستوى اجتماعى يرتكز على وظيفة البناء الواقعية ويحدده بمستوى الوظائف الاجتماعية المترابطة الفعلية .

ب) مستوى ثقافى يؤكد على التكامل بين الحالات اللامادية الضابطة لسلوك الانسان ، والمتمثل فى مستوى القيم والمعتقدات والرموز المشتركة .

جـ) مستوى سيكولوجى ذاتى لا يغفل المشاعر الفردية التي تحدد تفاعلات السلوك مع الآخرين ، وهو مستوى الدوافع والعواطف والأفكار التي تؤلف الشخصية الذاتية .

ويؤكد بارسونز فى هذا المقام على أن أفعال الأفراد ليست عدوانية أو تحكمها الصدفة البحتة أو المثيرات الانفعالية، بل تسير وفق أنماط منظمة يمكن التنبؤ بأهدافها ، وهنا يثرى بارسونز نظريته باضافة ماأطلق عليه الاطار المرجعى للفعل Action Frame of Reference وهو أداة تصورية

استخدمها لتحليل الأنساق الاجتماعية وأنساق الشخصية بحيث يركز هذا الاطار على الفاعل من وجهة نظر قيمه وأهدافه في مواقف محددة .

٤ - ولم يغفل بارسونز أن يستكمل نظريته في الفعل الاجتماعى بادخال البعد السلبى أو المشكل والتعرض له من نواحيه المختلفة ، وحالة المشكلة فى الفعل تتمثل في المواقف الحرجة التي تعترض الفاعل ويتأرجح حيالها بين طريقين لا ثالث لهما :

الأول : الوجدانية أو الاندفاع العاطفى Affectivity بمعنى الشعور بالانفعال والتعبير عنه ، ويستخدم بصفة خاصة عند اشباع حاجة معينه أو دافع معين بطريق مباشر .

والثانى : الحياد العاطفى أو الكبت الوحدانى Affective Neutrality بمعنى كبح الرغبة في إشباع دافع معين بطريق مباشر وذلك من أجل تحقيق هدف بعيد المدى .

وعلى الفاعل أن يحدد موقفه بين الطريقين من خلال الكليات والعموميات التي تحدد سلوكه إزائها والمتمثلة في زوجيات ثلاثة على الفاعل تحديد اختياراته على أساسها :

أ) المواصفات النوعية Specificity والمواصفات الذائعة Diffuseness

ب) الكلية العالمية Universalism والخصوصية Particularism .

جـ) المصالح الخاصة Self-Orientation والمصالح الجماعية Collectivity Orientation

تذييـــل :

إذا كان العرض السابق قد أوضح أبعاد العلية السيكوسوسيولوجية من

خلال أهم النظريات التى قيلت حولها من خلال مكونات الطبيعة البشرية عند ابن خلدون وصراع المكونات النفسية للجماعات عند جمبلوفكز والرواسب والمشتقات عند فيلفريدو باريتو والفعل الإجتماعى عند تالكوت بارسونز ، فان هناك العديد من النظريات التي تساهم فى نفس المجال وقال بها علماء وباحثون لا يقلون أهمية عن سابقيهم ، مثل سيموند فرويد S. Freud الذى بدأ فهمه للمجتمع الانسانى وأفراده من دراسته لمشاكل المرض والتصدع النفسى نتيجة الظروف المتغيرة لما يطلق عليه الحضارة الغربية ، وانتهى إلى أن تفسير التحولات الكبيرة التي تحدث داخل المجتمع والتى تهبط إلى الأفراد دائما تقبع فى بعض المكونات النفسية سواء ما يأتى عن طريق الوراثة أو ما يتخذ شكلا معينا نتيجة الاحتكاك بالمجتمع . ومن الأمثلة الأقل أهمية ما كتبه موريس جنز برج M Ginsberg فى انجلترا عن « سيكولوجية المجتمع » ، وما كتبه شارلس الوود C.Elwood فى الولايات المتحدة الأمريكية عن « الأسس النفسية التى يعتمد عليها المجتمع الإنسانى »

وأيا ما كان الأمر فانه يبدو من هذا الاتجاه السيكوسوسيولوجى أن نشوء مشاكل المجتمع وتفاقمها إنما يرجع إلى انتشار الاختلافات الفردية فى مجال القدرات والامكانيات والتصورات ، والتي بتفاعلها مع الأوضاع الاجتماعية تؤدى إلى ظهور مشاكل عديدة تبدأ من مشاكل التكيف إلى أن تتحول إلى مشاكل متصلة بأسس النظام الاجتماعى بأكمله . ولذلك فان الحل فى هذه الحالة يدور حول أساليب التربية الاجتماعيه أو التنشئه الاجتماعية والظروف العقلية التى تؤدى إلى وضع قوالب معينه تنصب فيها استجابات الإنسان للاوضاع المتغيره فى المجتمع .

الباب الثانى

التشخيص السوسيولوجى للمشكلات

— التوتر والتفكك الأسرى
(مجالات ومشكلات)

— المدرسة ومشكلاتها

الباب الثاني

التشخيص السوسيولوجي للمشكلات

إن الخطوط العريضة التي إتضحت من خلال العملية الاجتماعية للمشكلات الاجتماعية ، والمتمثلة في الأبعاد الأربع التي إحتواها الباب الأول ، تجعل من الضروري الدخول إلى أعماق هذه المشكلات والتعرف على الأنماط التي تشملها ، فاذا كانت أبعاد العملية قد أشارت في عموميات إلى العوامل المؤدية إلى النوعيات المختلفة للمشكلال الاجتماعية التي تدخل في نطاقها كذلك المشكلات التربوية ، فان المزاوجة الضرورية بينهما داخل المجتمع أو بين أعضاء الجماعات الاجتماعية المختلفة بما يتم بينهم من تفاعل إجتماعي وما يقومون به من أفعال وسلوكيات إجتماعيه . تجعل الأهمية تزداد للتعرف على هذه الأنماط تخصيصا وتركيزا على المشكلات التربوية .

ومما هو جدير بالذكر في هذا الصدد أن التربية التي تنجر عليها السلبيات وتصيبها التوترات ، تصاحب الانسان في مراحل حياته المختلفة ، فهو لها إما فاعل أو بها منفعل ، وتمر مراحل الحياة على الانسان بداية بنشأته داخل أسرته ومروراً بتعليمه داخل المدارس والمعاهد والجامعات وإنتهاءاً بانصهاره داخل المجتمع وجماعاته الاجتماعية المختلفة . والمرحله الأخيرة كانت أكثر وضوحا في مجال العملية الاجتماعية السابق التعرض لها رغم عدم اغفال المراحل الأخيرة حتى ولو بالإشارة ، إلا أن المرحلتين الأوليتين تلتئمان كافة أبعاد التفاعلات ، وبالتالى تكون سلبيات هذه التفاعلات –

والممثلة لأنماط المشكلات داخلها – هي المحك الرئيسي في المشكلات التربوية على وجه الخصوص والمشكلات الاجتماعية على وجه العموم .

ومن هنا فان هذا الباب وهو يحدد التشخيص السوسيولوجي للمشكلات ، سيركز على هاتين المرحلتين لإيضاح ما يعتريها من مشكلات هي في حد ذاتها متغيرات تابعة لأخرى مستقله وضحت وجهات النظر فيها آنفاً ، هذا من جهة ، ومن جهة أخرى تعتبر هذه المشكلات متغيرات مستقلة لأخرى تابعة مندرجة أيضا ضمن السلبيات المعبر عنها بالتوترات أو المشكلات التي تنجر على المجتمع فيما بعد لتراكم سابقتها وتحولها لصورة أخرى أعمق تأثيرا في وظائف البناء بما يستلزم التعرف عليها تشخيصيا من الوجهة السوسيولوجية حتى تستكمل الخريطة الاجتماعية أركانها ويمكن مواجهة كل متغير مستقل سلبي بما يضبط من سلوكيات وأفعال الأفراد تجاهه ويحد من توغله التأثيري لينتج المتغير أو المتغيرات التابعة التي تصعب مواجهتها ، كما يمكن أيضاً وضع الأسس الكفيلة بالإنضباط إزاء الحد من ظهور هذه المتغيرات المستقلة من الأساس .

ويبدأ هذا الباب بفصل يعرض التوتر والتفكك الأسرى كمجالات ومشكلات ، فيبدأ بتوضيح المفاهيم السوسيولوجية للأسرة ، ثم يتعرض لمجالى دراسة الأسرة الداخلي والخارجي ، وينتقل إلى مناقشة مشكلات الزواج منذ التخطيط والاعداد له وحتي داخل عش الزوجية في مراحل الحياة الأسرية المختلفة ، وفي النهاية استعراض أبعاد التفكك الأسرى الذى يتم بحدوث الطلاق ، مع البحث في أسباب الطلاق ، ومشكلات ما بعد الطلاق .

ثم يتطرق الباب فى فصل آخر الى المدرسة ومشكلاتها ، وتبدأ المعالجة بشرح وظيفة المدرسة الأساسية في التربية والتنشئة الاجتماعية من جهة ، ودورها فى بناء الشخصية من جهة ثانية ثم دور المدرسة كوسيلة من وسائل الضبط الاجتماعى والانضباط الاجتماعى ، وينتهي الفصل بعرض شامل للمشكلات المدرسية بكافة أنواعها .

الفصل الخامس

التوتر والتفكك الاسرى
(مجالات ومشكلات)

- تمهيـــد
- مجالات دراسة الأسرة
  - ١ ـ المجال الداخلى
  - ٢ ـ المجال الخارجى
- مشكلات الزواج
- التفكك الأسرى
  - ١ ـ الطلاق
  - ٢ ـ أسباب الطلاق
  - ٣ ـ ما بعد الطلاق



التوتر والتفكك الأسرى

(مجالات ومشكلات)

تمهيـــد :

الأسرة Family جماعة إجتماعية بيولوجية نظامية تتكون من رجـــل وأمرأة بينهما رابطة رسمية وأساسية معترف بها من المجتمع هي رابطة الزواج وكل ما ينتج عن هـذه الرابطـة من نسل يضيف إلى دور الزوج والزوجـة أدوار جديدة كأب وأم ، وتقوم هذه الجماعة أساسا باشباع الحاجات البيولوجية والحياتية الضرورية لكل ذكر وأنثى أو لكل أبناء البشر الأسوياء، إضافة إلى تهيئة المناخ الاجتماعي والثقافي الملائم لرعاية وتنشئة وتوجيه الأبناء . ويختلف بناء الأسرة من مجتمع لآخر ، فهناك الأسرة النواه Nuclear Family التي تمتاز بصغر حجمها وتتكون من الزوج والزوجة والأبناء غير المتزوجين ، وهو النموذج الذى يعتبر الوحدة الأساسية لأى تنظيم أسرى ، فاذا إتحدت أسرتا ن نوويتان أو أكثر عن طريق الزوج المشترك فى حالة تعدد الزوجات يطلق على هذا النموذج إسم الأسرة المركبة Compound Family ، وهناك الأسرة الممتدة Extended Family التي تتكون بنائيا من ثلاثة أجيال على الأقل فتضم الأجـداد وأبنائهم المتزوجين وغـير المتزوجين وكـذلك أحفادهم ، وهنـاك أنماط ونماذج أخرى للأســـرة كأسرة الرفقـة Companionship Family ، والأسرة القرابية Consanguine Family والأسرة العائلية Domestic Family ،والأسرة المتسعه Expanped Family والأسرةالنظامية Institutional Family والأسرةالأولية Primary Family

والأسرة الثانوية Secordary Family وأسرة الوصاية Trusteeship Family وأسرة التوجيه Orientation Family وغيرهـا من أنواع وأنمـاط الأسر التي قد تصنف على أساس البناء الاجتماعى أو على أساس الوظيفة الإجتماعية أو على أساس النسب والسلطة وما إلى ذلك (١) .

وأيا ما كان الأمر فان البعد الذى يهتم به هـذا الفصل القاء الضوء على مشكلات الأسرة من المنظور السوسيو تربوى ، وفى هذا الصدد سنتعرض لمجالات دراسة الأسرة داخليا من حيث البناء والعلاقات والوظائف وخارجيا من حيث التماسك والسلطة وأشباع الحاجات والثقافة وغيرها ، ثم نتطرق إلى الزواج ومشكلاته بداية من أختيـار الزوج ومروراً باجراءات الزواج وصراع الأدوار والمستوى التعليمى والتوافق الزواجي وأنتهاءاً بالتوتر الأسرى ، ونختتم الفصل بالعرض للتفكك الأسرى من خلال الطـلاق ومشكلات ما بعد الطلاق .

---

١) لمزيد من التفاصيل عن الأنماط الاسرية يمكن الرجوع إلى :

ـ د. مصطفى الخشاب ، دراسات فى الاجتماع العائلى ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٨١ .

ـ د. عاطف وصفى ، الأنثروبولوجيا الإجتماعية ، دار المعارف القاهرة ، ١٩٧٥ .

ـ د. محمود حسن ، الأسرة ومشكـلاتها ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٨١ .

ـ د محمد عاطف غيث ، قاموس علم الإجتماع ، مصدر سابق .

مجالات دراسة الأسرة :

يتحدد مجال الدراسة فى أى علم أو أى موضوع علمي من خلال الميدان الاساسى الذى تندرج موضوعات ذلك العلم فى نطاقه العام بغيــة التحديد الموضوعي لهذه الموضوعات وصفا وتفسيراً حتى يمكن التعميم والتنبؤ فى الحالات العامة أو الفرعية المتشابهة داخل الموضوعات المحددة ، وهنا تجدر الأشارة إلى أن دراسة الأسرة تتم من واقع أنها جماعة إجتماعية لها مجالين أساسيين أولهما المجال الداخلى الذى ينشأ من واقع العلاقات المختلفة التي تلتئم هذه الجمــاعة بحيث تتواءم مع بنائها ووظائفها وأبعادها الثقافية المختلفة . وثانيهما مجال خارجى يتحدد من خلال علاقة الجماعة الإجتماعية المعنية بالدراسة بالمجتمع ككل على أعتبار أن كل جماعة هي فى ذاتها خلية من خلايا هذا المجتمع أساسية كانت أو فرعية ، ومدى السلبية والإيجابية فيما تحققه هذه الجماعة تربويا وثقافيا وتوجيهيا وحتى أيديولوجيا المجتمع ، وآثار ذلك فى منظورى التماسك أو التفكك فى الفعل الإجتماعى المتبع .

وفيما يلى عرض لبعدى المجال فى دراسة الأسرة :

١ ـ المجال الداخلى :

تتحدد سوسيولوجية الأسرة أساسا بدراسة العمليات الإجتماعية التى تندرج داخل النطاق العائلى ، وما يترتب عليها من آثار فى كافة قطاعات المجتمع باستخدام المبادىء الأساسية لعــلم الإجتماع ، أو باستخدام المبادىء السوسيولوجية فى دراسة وحدات البناء الإجتماعى للاسرة وما يطرأ عليها من تغيرات وما يرتبط بها من قيم وايديولوجيات ، سواء كان ذلك على

والأسرة الثانوية Secordary Family وأسرة الوصاية Trusteeship Family وأسرة التوجيه Orientation Family وغيرهـا من أنواع وأنمـاط الأسر التي قد تصنف على أساس البناء الاجتماعي أو على أساس الوظيفة الإجتماعية أو على أساس النسب والسلطة وما إلى ذلك (١).

وأيا ما كان الأمر فان البعد الذي يهتم به هـذا الفصل القاء الضوء على مشكلات الأسرة من المنظور السوسيو تربوى ، وفي هذا الصدد سنتعرض لمجالات دراسة الأسرة داخليا من حيث البناء والعلاقات والوظائف وخارجيا من حيث التماسك والسلطة وأشباع الحاجات والثقافة وغيرها ، ثم نتطرق إلى الزواج ومشكلاته بداية من أختيـار الزوج ومروراً باجراءات الزواج وصراع الأدوار والمستوى التعليمي والتوافق الزواجي وأنتهاءاً بالتوتر الأسرى ، ونختتم الفصل بالعرض للتفكك الأسرى من خلال الطـلاق ومشكلات ما بعد الطلاق .

---

١) لمزيد من التفاصيل عن الأنماط الاسرية يمكن الرجوع إلى :

– د. مصطفى الخشاب ، دراسات فى الاجتماع العائلى ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٨١ .

– د. عاطف وصفى ، الأنثروبولوجيا الإجتماعية ، دار المعارف القاهرة ، ١٩٧٥ .

– د. محمود حسن ، الأسرة ومشكـلاتها ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٨١ .

– د محمد عاطف غيث ، قاموس علم الإجتماع ، مصدر سابق .

مجالات دراسة الأسرة :

يتحدد مجال الدراسة فى أى علم أو أى موضوع علمي من خلال الميدان الاساسى الذى تندرج موضوعات ذلك العلم فى نطاقه العام بغيــة التحديد الموضوعي لهذه الموضوعات وصفا وتفسيراً حتي يمكن التعميم والتنبؤ فى الحالات العامة أو الفرعية المتشابهة داخل الموضوعات المحددة ، وهنا تجدر الأشارة إلى أن دراسة الأسرة تتم من واقع أنها جماعة إجتماعية لها مجالين أساسيين أولهما المجال الداخلى الذى ينشأ من واقع العلاقات المختلفة التي تلتئم هذه الجمــاعة بحيث تتواءم مع بنائها ووظائفها وأبعادها الثقافية المختلفة . وثانيهما مجال خارجى يتحدد من خلال علاقة الجماعة الإجتماعية المعنية بالدراسة بالمجتمع ككل على أعتبار أن كل جماعة هي فى ذاتها خلية من خلايا هذا المجتمع أساسية كانت أو فرعية ، ومدى السلبية والإيجابية فيما تحققه هذه الجماعة تربويا وثقافيا وتوجيهيا وحتى أيديولوجيا المجتمع ، وآثار ذلك فى منظورى التماسك أو التفكك فى الفعل الإجتماعى المتبع .

وفيما يلى عرض لبعدى المجال فى دراسة الأسرة :

١ ـ المجال الداخلى :

تتحدد سوسيولوجية الأسرة أساسا بدراسة العمليات الإجتماعية التى تندرج داخل النطاق العائلى ، وما يترتب عليها من آثار فى كافة قطاعات المجتمع باستخدام المبادىء الأساسية لعــلم الإجتماع ، أو باستخدام المبادىء السوسيولوجية فى دراسة وحدات البناء الإجتماعى للاسرة وما يطرأ عليها من تغيرات وما يرتبط بها من قيم وايديولوجيات ، سواء كان ذلك على

تحقيق الفضائل الثلاثة المتمثلة فى المعرفة والشهامة أو المرؤة وقوة العزيمة لا يتم إلا من خلال الواجبات التي تتحقق داخل الأسرة بين الوالد والابن وبين الزوج والزوجة وبين الأخ الاكبر والاخ الاصغر ، فالاسرة فى رأيه هى البيئة الحية التي تنمو فيها هـــذه الفضائل ومن ثم أعتبرت الدعامة الجوهرية لاخلاقية الشعب وخصائصه الموروثة (١) . ومن فلاسفة اليونان تطالعنا آراء أرسطو الذى يرى أن الإجتماع الطبيعى والاول فى كل الازمنة هو العائلة التى تتألف من الزوج والزوجة والبنين والعبيد والارقاء ، باعتبار أن الطبيعة قد عينت المراكز الإجتماعية المختلفة لكل هؤلاء (٢) . ويمكن أن يضاف إلى هؤلاء أغلبية أن لم يكن كل المصلحين والباحثين والعلماء . أضافة إلى الاديان السماوية الثلاثة اليهودية والمسيحية والاسلام التي يهتم كل منها بالوضع البنائى الإجتماعى للعائلة حتى تنظم وتحترم المراكز والاوضاع التى يشغلها أفرادها كل فى مكانته .

ب) ومنهم من يرى ألا جدوى من السرد التاريخي غير المستند على حقائق واقعية ، إذ أن أغلب الكتابات الموجودة يشك فى تعبيرها الصادق عن الواقع ، فهى أما وشائج أصلاحية لتحقيق المجتمع المثالى أو المدينة الفاضلة ، أو هى أرهاصات فكرية أستلهمها أصحابها ودعموها بالمنطقية المجردة دون أن يكون لها أساس أو سند من الواقع . ومن هنا يرى هؤلاء ضرورة الرجوع للاصول أو الجذور الاجتماعية الواقعية للتعرف على حقيقة البعد البنائى

---

١) نفس المرجع ، ص ١٤ .

٢) نفس المرجع ، ص ١٧ .

الموجود حاليا ، ولن يتم ذلك إلا بالتعرف على واقع البناء الإجتماعي العائلي في المجتمعات البدائية التي يصعب الوصول إلى كنهها للفارق الزمني الشاسع الذي يفصل بينهم وبين الحاضر المعاش ، وقد وجد هؤلاء بغيتهم فيما أطلقوا عليه المجتمعات شبه البدائية (١) المتناثرة في أغلب القارات الكونية التي تشملها خريطة العالم الحديث ، مع الوضع في الاعتبار أن القياس هنا يعتبر أن ما وصلت إليه مجتمعات هؤلاء الباحثين والعلماء هي قمة الحضرية الحديثة وهي المجتمعات الاوربية والامريكية ، ومن هنا كانت إهتمامات علم دراسة الإنسان إجتماعيا أو الانثروبولوجيا الإجتماعية Anthropology هي المحك في هذا الصدد على أساس من الدراسة الكلية الشاملة أو المنهج البنائي الوظيفي Functional Structural Method ، ولكي يحدد هؤلاء البعد البنائي الإجتماعي للاسرة فانهم يتناولون البناء الإجتماعي - كمصطلح - بالبحث وصولا لمفهوم عام له يمكن أن يطبق على الجماعات الإجتماعية محل الدراسة ، ففي دراسته عن النوير Neur يقول أيفانز بريتشارد Evans - Pritchard أن البناء الاجتماعي هو الجماعات الإجتماعية الدائمة الوجود لمدة يمكن لها من خلالها أن تحتفظ بوصفها كجماعات دونما نظر إلى التحولات أو التغيرات

---

١) المجتمعات شبه البدائية هي المجتمعات الموجودة ولا تجاري مستوى الحضارة الحديثة الذي يقاس بما وصلت إليه مجتمعات أوربا وأمريكا من تقدم وخاصة في الجانب التكنولوجي .

هناك حصر لهذه المجتمعات في :

- د. عاطف وصفي ، الانثروبولوجيا الثقافية ، مرجع سابق .

التي تحـدث للافراد أو الاعضاء المكونين لهـا [١] . ويرى رادكليف براون Radcliff - Brown في مؤلفه عن البناء والوظيفة في المجتمع البـدائي Structure and Function in Primitive Society أن البنـاء الإجتماعي يشمل الاشكال المورفولوجية للمجتمع من جهة ، وكل العلاقات الإجتماعية بين فردين على الاقل من أعضاء أى مجتمع من جهة أخرى ، أضافة إلى الادوار الإجتماعية التي يقوم بها أفراد وجماعات كل مجتمع من جهة ثالثة [٢] . ويحدد كيسينج Keesing المفهوم بطريقة أكثر شمولية في كتابه عن الانثروبولوجيا الثقافية Cultural Anthropology إذ يرى أن البناء الاجتماعي يتمثل في النظم الاجتماعية التي من خلالها يصل أفراد المجتمع إلى التماسك والتكامل ، أو بقول آخر هو الشرط الضروري واللازم لتكوين أى مجتمع [٣] . وفي النهاية يخلص قاموس الانثروبولوجيا (١٩٦١م) إلى تحديد مفهوم البناء الاجتماعي بأنه نسيج متشابك من العلاقات التي تربط بين أعضاء أى مجتمع ، وقد تتحدد مكونات هذا النسيج من العلاقات القائمة بين الجماعات الاساسية داخل المجتمع المحدد أو المعين [٤] .

ولعل دراسة البناء الاجتماعي للاسرة بأعتبارها أحد أنماط الوحدات

---

(1) Evans - Pritchard, The Neur, Oxford. 1940. p.21.

(2) Radcliff - Brown, A., Structure aud Function in Primitive Society, London, 1952, pp. 190 - 192

(3) Keesing, F., Cultural Anthropology, New York, 1958, p. 32.

(4) Winck, C., Dictionary of Anthropology, Paterson, The United States of America, 1961, p. 5 3.

الإجتماعية التى يتكون منها المجتمع والتى ينتمى إليها المجتمع ذاته ، أو ما يطلق عليه راد كليف براون أحـــد الأشكال المورفولوجية للمجتمع [١] ، تتمثل فى النموذج الذى وصفه ميردوك Murdock فى مؤلفه عن التنظيم الإجتماعى Social Orgnization والذى يحوى ثلاثة أشكال رئيسية للاسرة لكل منها خصائصها وأبعادها الإجتماعية وهى الأسرة النووية أو الزواجية ، والأسرة متعددة الأزواج أو الزوجات ، والأسرة الممتدة [٢] .

جـ) وهناك من ينحون منحى آخر لدراسة هذا البناء ، فالغرض الأساسى لاصحاب هـذا الإتجاه ليس التعرف على التطور التـاريخى للنظم الأسرية ، أو السؤال كيف كانت الأسرة؟ ثم كيف تطورت ؟

---

١) ـ د. عاطف وصفى الأنثروبولوجيا الإجتماعية ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٧٥ ، ص ١٩٠ .

٢) أنظر تفصيل هذه الأشكال :

ـ المرجع السابق ، ص ٩١ ـ ١٠٧ .

ـ د. عاطف وصفى الانثروبولوجيا الثقافية ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ٩٧١ ، ص ص ١٦٥ ـ ٨٨ .

– Murdock, J., Social Organization, New York, 1949, pp. 1 - 35.

– Hoepel, E., Man in the Primitive World, New York, pp. 320 - 329.

وأخيراً كيف أصبحت ؟ ، وليس التعرف على الاصول الاولى لانماط الاسر والعائلات ، ولكن المهم إستخدام الإتجاهين معا والاستفادة بهما عند النزول إلى ميدان البحث الإجتماعى لدراسة الاسرة المعاصرة بغية وضع الخريطة السوسيولوجية لهذه الجماعة الإجتماعية بأختلاف أماكن وجودها والمساهمة فى التخطيط الكفء والفعال لسبر غور ما يحيط بها من سلبيات ورعايتها إجتماعيا بهدف الوصول بالمجتمع ككل إلى مرحلة التكامل التى لن تتحقق وأساس المجتمع المتمثل فى العائلة مجهول الهوية وأبعاده البنائية خافية ومستترة . ومن هنا كان الاهتمام منصبا على الطفولة باعتبارها الباكورة الاولى للبنية الاساسية فى البناء الاسرى (١) . كما لم يغفل أصحاب هـــذا المنحى والاتجاه المركز الاجتماعي بعد الرجل الذى أصبح مركزه واضحا ومقرراً فى الحياة الاجتماعية منذ القدم ، وكيف تطور هذا المركز صعوداً وهبوطا عبر الحقب والاجيال ؟ وما هى الصورة التى يجب أن توضع للمرأة بأعتبارها زوجة وأما وأختا وأبنة ، وكلها أدوار لا تنكر فى البناء الإجتماعى للاسرة (٢) .

ثانيا : العلاقات الداخلية :

أن الاسرة بأعتبارها جماعة إجتماعية تعتبر نسقاً System له بناء معين أتضحت أبعاده خلال عناصره أو مكوناته بحيث يؤدى كل منها وظيفة

---

١) د. مصطفى الخشاب ، نفس المرجع ، ص ص ١٥٠ – ١٧١ .

٢) المرجع السابق ، ص ص ١٣ – ١٤٩ .

معينة فى ضوء الوظيفة الكلية للنسق ، وما العلاقات الداخلية إلا العمليات الاجتماعية Social Processes أو الصور الأساسية للأفعال الاجتماعية من حيث الاغراض التى تتجه إليها والموجات التى تعين مسارها ، ومن الملاحظ أن أعضاء أية جماعة إجتماعية يتجمعون ويتفرقون فى آن واحد ، ومن هنا كان لزاما على علم الاجتماع أو أحد فروعه المهتمة بهذه الجماعة أو تلك أن يتدخل لبحث أسباب التجمع والتفرق باعتبارها الاساس فى الدراسات السوسيولوجية (١) ، ولعل عوامل التجمع والتفرق فى محيط العائلة تعتبر مجالا خصبا لدراسة المشكلات الاسرية وخاصة التربوية منها ، إذ منذ وضع اللبنات الاولى لأى عائلة أو أسرة تطفو مثل هذه العوامل على السطح ، وحتى تكوينها وسير الحياة فى فلكها حتى تنتهى أو تتفكك شاملة فى محتواها هذه العوامل ، وهناك عمليات ثلاثة يمكن أن تلقى الضوء على مثل هذا الامر من خلال العلاقات الداخلية الداخلة فى نطاق الاسرة :

أ) التعاون Co-operation ، وهو العملية الاجتماعية التى تربط بين أعضاء الجماعة الاجتماعية لتحقيق الهدف أو الاهداف المشتركة لها ، وقد يكون

---

١) د. محمد عاطف غيث ، علم الاجتماع ، الجزء الاول : النظرية والمنهج والموضوع ، دار الكتب الجامعية ، الاسكندرية ، ١٩٧٣ ، ص ١٥٠ .

هذا الهدف ماديا كالحصول على شيء معين أو الحفاظ على مورد ما أو ما إلى ذلك . وقد يكون لا ماديا كالدفاع عن هدف أو أيديولوجية معينة أو إنماء فكرة أو عادة ما أو الحفاظ على تقليد أو قيمة تعمل فى نطاقها هذه الجماعة . والتعاون بهذا المعنى يفترض أنه السمة المميزة للأسرة أيا كان نوعها أو نمطها ، ولكن المبدأ السارى والشائع أنه لا توجد جماعة أو مجتمع يكشف فى ثقافته عن « تعاون » كامل (١) ، لذا رؤى أن يدخل فى مجال دراسة الأسرة القياس السوسيولوجي لمدى التعاون داخل عناصر البناء الإجتماعي للاسرة .

ب) التنافس Compellition وهو العملية الإجتماعية التي يستخدمها بعض أعضاء الجماعة الإجتماعية للحصول على مكانة معينة أو التمييز فى معاملة من المعاملات ، وقد يرجع هذا فى المحيط العائلى إلى الإستقلال الإقتصادى للمرأة أو المساواة المطالب بها بين المرأة والرجل ويحدث هذا غالباً فى أوائل زمن تكوين الأسره ، أو يرجع إلى عدم المساواة فى معاملة الأبناء فيظهرون تنافساً يبغي منه المميز الإبقاء على المعامله التي يلقاها ويبغى الآخر الإرتفاع إلى المستوى الذى يعامل به سواه ، بل ويصل به الأمر إلى العمل على النزول بقرينه إلى مستوى أدنى ، وغير ذلك من الأمور التى قد تؤدى إلى الإنحراف والتفكك ، ومن هنا يلزم على الباحث فى مجال الأسرة أن يولى مثل هذه العملية إهتماماته حتى يصل إلى الأهدآف الأولية التي يتنافس من أجلها أعضاء البناء الإجتماعى العائلى وأثر ذلك فى الفعل الاجتماعى داخل هذه الجماعة والأنماط السلوكية الثابتة والمتغيرة لهؤلاء الأعضاء .

---

١) المرجع السابق ، ص ٢١٦ .

جـ) الصراع Conflict ، وهو العملية الاجتماعية التي تختلف عن عملية التنافس في أن الأخيرة تأخذ في العادة مظهراً سلمياً حتى إذا ما تغير الوضع وأخذت مظهراً عدائياً سميت صراعا [١] . ويأخذ الصراع عدة أشكال [٢] ، لعل أهمها الصراع الشخصي الذي يحدث عندما يكره شخصان أحدهما الآخر لسبب ظاهر أو لأسباب خفية مستترة يلزم البحث والتحري عنها ، كما أنه يمكن أن يحل التعاون محل الصراع إذا تم بطريق أو بآخر التغلب على الأنماط المتحجرة والصور الخاطئة التي يحملها البعض للاخرين [٣] ، وفي هذا الصدد يمكن الإشارة إلى أن عوامل التوتر أو الصراع الاسرى قد تعود إلى أسباب شخصية أو اجتماعية ، مع الاخذ في الحسبان أن الصراع — كعملية اجتماعية — لا ينشأ أبداً نتيجة لعامل واحد ، فهو يتخذ الطابع التدريجي الذي تحكمه عمليات متداخلة يصعب فصلها بعضها عن بعض ، ومن هذه العمليات العوامل المزاجية التي ترجع إلى إرتباط مجموعة من الصفات الوراثية التي تحدد ردود الفعل الانفعالية والعاطفية عند الفرد ، ومنها أيضاً الأنماط السلوكية المتعارضة عند الزوجين كمسائل الاخلاق الاجتماعية وطرق التربية وإتخاذ القرارات ومعاملة الآخرين وما إلى ذلك [٤] ... وأخرى

---

١) — د. عبد الحميد لطفي ، مصدر سابق ، ص ١٣٩ .

٢) — المرجع السابق ، ص ص ١٤٠ — ١٤٢ .

٣) — د. محمد عاطف غيث ، علم الاجتماع ، مصدر سابق ، ص ٢٣١ .

٤) أنظر في تفصيل ذلك :

— د. محمد عاطف غيث ، المشاكل الاجتماعية والسلوك الانحرافي ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ، ١٩٨١ ، ص ص ١٥٥ — ١٥٩ .

غيرها تجعل الصراع مستمراً في نطاق الاسرة قد تؤدى في النهاية إلى تفكك أو انهيار الكيان العائلي .

ثالثا : وظائف الاسرة :

يتضمن المجال الداخلي في دراسة أى نظام أو علاقة أو جماعه اجتماعية الوظائف التي يمكن أن يؤديها أو الواجب المفروض القيام به ومدى القيام بهذا الاداء سلبا أو إيجابا ، وأثر ذلك على المجتمع الذى يدخل في نطاقه هذا النظام أو تلك العلاقة أو الجماعة ، ويمكن إجمال وظائف الاسرة باعتبارها جماعة إجتماعية في عدة أبعاد يتولى الباحث إحداها أوفرع عن إحداها ليدرسها في الواقع ، ثم يقرر في وصفه التفسير السوسيولوجي لها مساهمة في استكمال الخريطة السوسيولوجية للاسرة في المجتمع والزمن المعينين .

وفيما يلي عرض مختصر لهذه الوظائف (١) :

---

١) يحلو لبعض الباحثين والعلماء أن يعرض وظائف الاسرة في تطورها التاريخي ما بين الماضي والحاضر ، ويرى البعض الآخر الاكتفاء بعرض وظائف الاسرة الحديثة . وفي كل الاحوال يمكن الرجوع إلى :

— د. على عبد الواحد وافي ، الاسرة والمجتمع ، دار نهضة مصر للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٦٣ .

— د. محمد عبد المنعم نور ، المجتمع الإنساني ، مكتبة القاهرة الحديثة ، القاهرة .

— محمود حسن ، الاسرة ومشكلاتها ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٨١ .

أ) يعمل الإنسان بطريقة طبيعية أو غريزية على حفظ النوع الإنسانى على مر العصور والاجيال . وانطلاقا من مقولة الإنسان كحيوان عاقل أو مفكر وضع الضوابط الخاصة بمثل هذه العملية ، أو بمعنى آخر قنن للحفاظ على النوع البشرى بما يتحاشى مع السنن الفرعية وما أتت به الأديان السماوية والأبعاد الاخلاقية التى تحكم معاملاته الاجتماعية ، ومن هنا كانت القواعد القانونية المرعية فى كل أرجاء المعمورة تقريبا على اختلاف الايديولوجيات والمذاهب التى تنظم شئون الجنس والزواج ، وبالتالى أعطيت الاسرة وظيفة طبيعية لم تسلب منها عبر الحقب التاريخية المتعاقبة تتمثل فى تنظيم السلوك الجنسى والانجاب ، وإذا تم ممارسة هذا السلوك خارج نطاقها وقفت الاعراف والعادات والتقاليد وغيرها من الابعاد الثقافية التى تنظم المعاملات والعلاقات داخل المجتمع لمعاقبة الخارج عن نطاق هذا التحديد . مع الوضع فى الاعتبار تلك المجتمعات التى أباحت مثل هذا السلوك خارج المجال الاسرى فانها لم تخرجه من نطاقها . بل ظلت تلزم الاسرة بتلك الوظيفة محافظة على التوازن الحياتى والأبعاد الطبيعية للانسان .

ب) أن توازن أية جماعة اجتماعية مع المجتمع ينبع من التحديات

= – منير المرسى ، فى إجتماعيات التربية ، الطبعة الثانية ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٧٨ .

– د. محمد عاطف غيث ، المشاكل الاجتماعية والسلوك الانحرافى ، مرجع سابق .

– د. مصطفى الخشاب ، مرجع سابق .

الأفراد والتي عن طريقها يهيأون الانخراط فى سلك المجتمـــع والمساهمة فى نشاطاته المختلفة ، أو بقول آخر إدماجهم ومساعدتهم فى وضع كل منهم فى المراكز المختلفة التى تحكم تفاعلهم مع الآخرين ، ومن البديهى أن لكل دور أو مركز واجبات محددة بدقة فى الفعل الاجتماعى داخل البناءات الاجتماعية المختلفة ، وتعتبر الأسرة الأساس فى تحديد أبعاد هذا الفعل من خلال الاستدماج المشار إليه .

ز) تقوم الأسرة بالمحافظة على أعضاء المجتمع وتعدهم للعمل والتفاعل الاجتماعى من خلال التأكيد على الشعور بالانتماء وتوفير الاستجابات المتبادلة الضرورية بما يعمل على إنماء روح المشاركة الاجتماعية .

ح) إن الاسرة من خلال وظائفها المختلفة تعتبر أهم أدوات الضبط الاجتماعى في المجتمع بهدف تحقيق التجانس المطلوب ، وهى تبعا لذالك تضع المعايير الضابطة ثقافيا لأى إنحلال أو حياد ولو بمؤشر بسيط عن أبعاد التجانس .

٢ ـ المجال الخارجى :

إذا كان التركيزفي مجال دراسة الأسرة يقتضى أن يتابع الباحث التكوين البنائى للاسرة والعلاقات القائمة بين أعضائها وما يقومون به من وظائف فى تشابك تفاعلى تأثيرى ، فان المجال الخارجي أو العلاقة التى تربط بين الأسره والمجتمع تأثيراً وتأثراً لا بد أن يتشابك هو الآخر فى كلية إجتماعية من خلال أن الأسرة هى الخلية الأولى للمجتمع ، وهى المنبع الذى يخرج للمجتمع عناصره الفعالة والمتفاعلة إيجابا أو سلبا . وإذا إقتصر على المجال الخارجى فى

دراسة الاسرة فان بعض الباحثين والعلماء يفضلون الخوض فى غمار أثر وتأثير المجتمع المحلى بالأسرة ، ويفصلون بينها وبين العلاقة بين الاسرة والمجتمع العام فى أثر كل منهما فى الآخر . ولكنا نرى أن نعرض فيما يلى للأبعاد التى تحكم العلاقة بين الأسرة والمجتمع سواء كان محليا أو عاما (١) ، من منطاق

---

١) أنظر :

– د. محمد الجوهرى ود. علياء شكرى ، علم الاجتماع الريفى والحضرى الطبعة الاولى ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٨٠ .

– باركر وآخرون ، علم الاجتماع الصناعى ، ترجمة د. محمد على محمد وآخرون ، مراجعة وتقديم د. محمد عاطف غيث ، منشأة المعارف الاسكندرية ١٩١٢ .

– د. عبد الباسط محمد حسن ، علم الاجتماع الصناعى ، مكتبة غريب ، القاهرة ، ١٩٧٨ .

– د. جباره عطية جباره ، سوسيولوجية العلاقات الإنسانية ، دراسة ميدانية عن العلاقات الانسانية فى الصناعة بين القطاعين العام والخاص بالاسكندرية ، كلية الآداب جامعة الاسكندرية ، ١٩٧١ .

– محمود حسن ، مقدمة الخدمة الاجتماعية ، مكتبة العارف الحديثة ، الاسكندرية ، ١٩٧٩ .

– د. على عبد الواحد وافى ، مصدر سابق .

– د. مصطفى الخشاب ، مصدر سابق .

– Goleski, B., Basic Concepts of Rural Sociology. Manchester University Press, London. 1972.

– Burgess, E & Locke, H., The Family, New York 1950.

أن كليهما يصب فى الآخر ، ولا يمكن للباحث السوسيولوجى فى المجال الخارجى لدراسة الأسرة فى أحدها أن يفصل بحال من الأحوال الاخر :

أ) يعتبر التماسك هو المعيار السوسيولوجي للتفرقة بين الأسرة التقليدية القديمة والأسرة الحديثة ، وتدلنا كثير من الدراسات الأنثربولوجية عن المجتمعات شبه البدائية المنتشرة فى بعض مناطق العالم فى العصر الحديث أن الشعور الجمعى فى هذه المجتمعات ينبع من الانتماء الثقافى الكامل لها ، بحيث تعمل الأسرة داخل أبنيتها ووظائفها على التمسك بما يمليه المجتمع العام ، حتى أنه يمكن القول أن الأسرة هي التعبير الحقيقى عن المجتمع العام بما يطبق فى داخلها من قيم واتجاهات ومعايير لايحيد عنها أحد أفرادها ، فالسلطة مثلا داخل الأسرة تقع على كاهل الموكلة اليه شئونها سواء كان أبا فى الأسرة الأبوية أو أما فى الأسرة الأموية ، ونفس الشيء يندرج على المجتمع العام سواء كان عشيرة أو قبيلة اذ يتولى السلطة فيها شيخها أو كبيرها بحيث لا يعصى له حكم أو أمر مهما كان تقييمه من الفرد أو الأفراد المكونين للهيكل أو البناء الإجتماعى للمجتمع . ويمكن أن يندرج نفس المبدأ على الأسرة الحديثة فى المجتمع القروى الذى تتميز الوظائف التي تقوم بها بالشمولية المميزة لارتباط الفرد بالأسرة ارتباطا قويا ، بما يمكن معه القول أنها تتميز بما أطلق عليه « التضامن الالى » ، كما أن السيادة فى هذه الاسرة تشملها الروح الابوية والتمييز الواضح للكبير من أعضائها . مع عدم اغفال الارتباط القوى بالارض ، مما يمكن معه — من ناحية تقويمية — أن تكون هذه السمة ايجابية بعكس المجتمعات التي لا تتميز بها ، الا أن ذلك قد يكون مثارا للعديد من المشاكل لعل أوضحها الزيادة المضطردة فى عدد السكان نتيجة الرغبة فى زيادة النسل فى

الوقت الذى تكون فيه موارد الارض محدودة فتنشأ مشكلة اقتصادية تودى بالوضع المجتمعي وتخلق المشكلة التي تعم من المجتمع المحلى المعنى إلى المجتمع العام ، وتدخل التفاعلات ازاء ذلك فى الرغبة فى التغيير ومقاومته وما يستتبع ذلك من أمور هى — من ناحية تقويمية أيضا — سلبا فى السمة ، رغم أن هذا لا يمكن أن يقف حجر عثرة فيما تتميز به الأسرة القروية من التماسك والعمل دوما على مقاومة كل عوامل التفكك .

ب) أن قيام الأسرة بوظيفة انماء الروح الأسرية يؤثر تأثيرا ملحوظا على التضامن الاجتماعى فى المجتمع ككل، ولعل عمل الأسرة القروية فى الاطار الزراعي وما يرتبط بها من شئون ولد مثل الروح بحيث تعتبر الأسرة القرويه فريقا انتاجيا بمعنى الكلمة ،فيتولى الرجل-صاحب السلطة والسيطرة ومثال الروح الأبوية المطبقة فى هذا النوع من العائلات بدقة — المهام الرئيسية ، بينما تقف المرأة — الزوجة — لمساندته وشد أزره حتي لو أدى الأمر للمساهمة معه بالأعمال الثانوية اضافة إلى أعبائها الأساسية فى المنزل،زد على ذلك أن الأطفال — الأبناء — هم بدورهم عناصر منتجة ، ويعتبر من عنده كثرة منهم — وخاصة الذكور — على جانب كبير من التوفيق ، إذ يحملون عنه أعباء أعمال كثيرة يساعدون فى القيام بها ،وقد يكون هذا مدعاة أن يعمل أرباب الاسر على زيادة أنسالهم ، مع الوضع فى الاعتبار المكانة الدنيا للانثى رغم دورها الذى لا ينكر والمشار اليه. . . كل ذلك له تأثيره في الإبعاد الثقافية للمجتمع ،الا أن هنالك أحد العوامل الحديثة التي تدخلت بحيث يمكنها أن تجعل من هذا البعد المجالى سلبية تدعو إلى التغيير أو التعديل ،ونعنى به دخول وسائل الاعلام الحديثة وخاصة الاذاعيتين المرئية والمسموعة إلى أعماق هـذا المجتمع ، ممـــا يجعل الباحث

ملزما بوضع مثل الامور نصب عينيه ليضع الاطر الوصفية المجال موضوع الدراسة وأثر العوامل الخارجية في تعديل الاتجاهات أزاءه، وبالتالى دور المجال في اضفاء التفاعلات الايجابية أو السلبية على المجتمع موضوع الدراسة والمجتمع العام ككل،

جـ) فى مواجهة سيادة الروح الابوية في المجتمعات التقليدية وشبه البدائية والقروية المتمسكة بالقيم القديمة ، يسود مجتمع المدينة نزعة تربوية يعمل الآباء على غرسها فى الصغار حتى أصبحت سمة من سمات هذا المجتمع ، وتتمثل فى تعويد الابناء على التحرر بأفكارهم وآراهم لخلق شخصياتهم المستقلة ، ويتضح ذلك على سبيل المثال من أخذ رأيهم فى نوعية الطعام الذى يفضلونه ليطهى لهم ، وعند انتقالهم من مراحل تعليمية الزامية أو ثانوية إلى أخرى تخصصية أو جامعة تترك لهم حرية إختيار ما يناسبهم من تخصصات دون ارغام على نوعية معينة، وغير ذلك من الامور التي لايمكن أن يقال أنها نزعة تعميمية فالقديم مازالت له آثار ، الا أن هذا التحرر — من كافة جوانبه — يدخل ضمن الاطار المجالى فى دراسة الاسرة ، لان تطبيقه من عدمه يؤتى بنتائج متباينة تنعكس على المجتمع وسير النواحى الاجتماعية فيه ، ولنا أن نعرض مثالا لاحد المناط بهم بعض الأعمال الادارية أوما شابهها : كيف سيكون تصرفه عند اتخاذ قرار معين وهو المعتمد على غيره — أب أو أخ أكبر مثلا — فى كل ما يعترضه من شئون ، بينما كيف ستكون استجابة آخر لمثل هذا الأمر وأسرته تنحو تجاه النزعة التحررية في التربية المشار اليها .... ويمكن أن تقاس على ذلك كافة السلوكيات والتفاعلات داخل المجتمع .

د) وثمة نزعة تحررية أخرى قد تكون أثرا للحضرية الحديثة ، تتمثل في تحرر الزوجين من الضوابط غير الرسمية التى يفرضها الأقارب، وتمتعها بقدر

كبير من الحرية في اختيار قواعد السلوك التي يرونها ملائمة لمعيشتها وتربية أطفالها . وهذا المجال في حد ذاته ليس أثرا فقط من آثار المدينة والتصنيع ، بل يؤثر بدوره — بعد تطبيقه والأخذ بمقتضى أبعاده — في مجالات الحياة داخل المجتمع ، ويدفع إلى تغيرات — قد تكون جذرية — في بعض القيم السائده والثقافات المرعية ، رغم ما يواجه ذلك من صعوبات أهمها وقوف البعض وخاصة كبار السن والمستفيدين من القيم القديمة في معارضتها .

ه) تعمل الجماعة الاجتماعية على اشباع حاجات الأعضاء المكونين لبنائها مهما كان نوعها ، وكانت الأسرة تتميز بالإستقلالية في هذه الناحية ، وما زالت الأسرة في بعض المجتمعات الحديثة تتميز بهذه الخاصة كالأسرة القروية والبدوية والأسرة في المجتمعات شبه البدائية الواقعه في أكثر من بقعة من بقاع العالم ، الا أن الاسرة في المجتمعات الصناعية أو الاكثر حضرية — حسب المعيار السابق الاشارة اليه — تغير وضعها من هذه الناحية فأصبحت ترتبط بالجماعات الاجتماعية الاخرى وتعتمد على المجتمع اعتمادا شبه كلى في إشباع حاجاتها ، فلم يعد الطعام والمأوى والعمل — مثلا — من الامور الداخلية التي تتولاها الاسرة كاملة ، حتى تكوين أو انشاء الأسرة ذاتها عن طريق الزواج لم يعد داخليا بل ترك لحرية مريدى الارتباط من الجنسين ، مع الاخذ في الاعتبار أن الاسرة استقلت من حيث الامتداد ، ولكنها فقدت هذه السمة في الامور الاخرى لاشباع الحاجات التى تلزم حياتها ، وعلى دارس الاسرة أن يشمل هذه الجزئية من المجال الخارجى بعنايته دونما أغفال للاثار البنائية الوظيفية المتغيرة في هذه الناحية من حيث الميكانيزمات السوسيولوجية التي تحكم الثقافة في تحولها وتغيرها وأثرها في المجتمع وأثر المجتمع فيها . وخاصة استقلال الزوجين بشئونها الخاصة دونما تدخل

من آخرين أيا كانوا، وما يستتبع ذلك من قيامهما معا بحل الخلافات والمنازعات التي تنشأ بينهما داخل نطاق الأسرة وأثر ذلك في الأبعاد الاجتماعية الأخرى التي تحكم أعضاء الأسرة ككل – ومن بينهم الزوجين – في المجتمع الذي يندرجون في بنائه كأعضاء متفاعلين تتشابك تفاعلاته الدخلية والخارجية في كلية ديالكتيكية متعددة العوامل والعمليات .

و) لقد جد على المجتمع الحديث بعد جديد لم يكن موجودا في المجتمعات القديمة بدائية كانت أو تقليدية أو ما شابهها في المجتمعات المعاصرة ، وهو خروج المرأة للعمل انطلاق من النزعة المطالبة بالمساواة بين المرأة والرجل ، وغير خاف أن المرأة في المجتمعات غير الحديثة كانت تعمل وتشارك زوجها في الحقل الزراعي أو الصناعة العائلية، الا أن ذلك كان محكوما بسيادة وسيطرة الرجل ، ولكن استقلاليتها الحديثة أحدثت تغييرا في مركزها الاجتماعي ودورها داخلي البناء الاجتماعي الأسرى أو المجتمعي. وقد أدى ذلك إلى عديد من المشاكل التي أمكن التعرف على بعضها وما زال البعض الآخر مستترا يبغي البحث والتنقيب، الا أنه من الناحية الآخرى أدى إلى سيادة الروح الديمقراطية في المعاملة بين أفراد الأسرة، كما أدى إلى المشاركة الفعالة لكل أعضاء المجتمع رجالا كانوا أو نساءا في تكوين الابعاد والتفاعلات الاجتماعية التي تحكم المجتمع ككل ، وأصبحت هذه الأمور في تركيبها مجالا خصبا لعلم الاجتماع وخاصة في مجال دراسة الأسرة يؤرخ له وصفا وتفسيرا ، ويعمم فرعياته المستكملة لكل أبعادها السببية، ومن ثم يمكن المساهمة في تحقيق الهدف الاساسى من العلم بصفة عامة والمتمثل في التنبوء من خلال منهج امبريقي محدد يستفيد من كل مشتملات الخريطة السوسيولوجية لهذا المجال .

ز) يهتم الباحث في علم الاجتماع بالايديولوجية السائدة في المجتمع أيا كان اتجاهها دينية أو سياسية أو اقتصادية أو غير ذلك وأثرها في العمليات الاجتماعية التي يمارسها أعضاء المجتمع ، ويعتبر هذا البعد مجالا أساسيا في دراسة الاسرة إذا ما أخذ في الاعتبار الثقافات المتراكمة عن طريق الاجيال السابقة وتربية النشيء عليها من جهة ، وانتشار وسائل الاعلام الجماهيرى Mass Media الحديثة واتاحة وصولها إلى كل فرد من أعضاء المجتمع ومسايرتها لأيديولوجية الجهة النابعة منها اضافة لجديد أو تدعيما لاتجاهات موجودة أو تغييرا لها أو ما إلى ذلك من جهة أخرى . وقد يكون هذا مجالا خصبا في دراسة الاسرة ، وعلى سبيل المثال لا الحصر فان الدين كايديولوجية روحية تشريعية لاينكر أثره في الجماعات الاجتماعية المنتشرة في سائر أرجاء المعمورة ، وفي المجتمعات الاسلامية والعربية يعتبر الدين عاملا عليا يؤثر في كل مجريات الحياة . فالزواج مثلا أو الأقبال عليه يعود أساسا إلى التدين والرغبة في استكمال أحد أركانه عند الرجل والمرأة على حد سواء ، وتعدد الزوجات – كمثال ثانى – كاستخدام لأحد الحقوق الدينية المطبقة في المجال الاسرى الاسلامى يندرج بدوره فيما يؤثر بة وفيه على المجتمع بنائيا ووظيفيا ، والطلاق – كمثال ثالث – وما ينتج عنه من مشاكل اجتماعية قد يستعصى حلها دون النظر في المبدأ الدينى الذى أباحه وتأطيره أيديلوجيا ومجتمعيا ... وغير ذلك من الامور التي تعود إلى عقيدة أو ايديولوجية دينية يوليها دارسو الاسرة من الناحية السوسيولوجية عنايتهم في المجال المطبقة فيه ، وأثر المجتمع بتنظيماته المختلفة سياسية واجتماعية ودينية واعلامية وغيرها في تعديل اتجاهات الجماعات الاجتماعية إذا كانت تحيد شيئا ما عن أهداف المجتمع في تطبيق

الأيديولوجية المرعية، أو في تغييرها كلية إذا كانت تحيد عنها تماما ،ومدى تقبل هذه الجماعات لما يرسل إليها سلبا أو إيجابا ، ليس فى الناحية الدينية المشار إليها فى المثال السالف الذكر وحسب ، ولكن في كل النواحي الأيديولوجية المختلفة الأركان والأبعاد

ح) لقد ساعدت الثقافة المتقدمة الحديثة بعنصريها المادى واللامادى على رفع كثير من الاعباء التى كانت تواجه الأسرة في غابر عهدها ، فنمو عاطفة الحب القائم على الاخلاص والتفاهم بين الزوجين والتي تكونت عن قناعة تامة قبل الزواج ، يعتبر أثراً إيجابيا من عنصر لا مادى ، وتقليل أعباء المنزل التي كانت تشغل القائمين به فترات طويلة من اليوم عن طريق إستخدام الآلات المنزلية الحديثة ، هو أثر إيجابى من عنصر مادى . ولكن دارس الأسرة فى دراسته لهذا البعد المجالى لا يقف عند هذا الحد ، بل يولى إهتمامه أيضا للمشاكل التي قد تنشأ عن هذا المظهر الحضارى ، كمشكلة وقت الفراغ مثلا التيأصبحت تهدد أعضاء الجماعات الإجتماعية بالأنحراف والضياع فى متاهات اللاأخلاقيات التي وجدت لها مجالا خصبا فى بعض المجتمعات وتحاول الانتشار إلى بقية المجتمعات ، والمشكلات النفسية النابعة عن كبت داخلى لأمور لا يجب أن تظهر إلا أحدثت التفكك ، ناهيك عن الآفات الإجتماعية التى واكبت الثقافة المتقدمة وتنتقل من وإلى الاسرة والمجتمع تأثيراً وتأثراً ، بما يجب ألا يغفله الباحث فى دراسة الأسرة حتي يمكن وضع الضوابط الإجتماعية للسلوك المرعى لمقاومة الأنحرافات ومنع حدوث التفكك والمشكلات أو الحد منها بقدر الامكان .

مشكلات الزواج [1] :

يتضح من مجالى دراسة الأسرة الداخلى والخارجى مدى التشابك والتعقد في الأبعاد السوسيولوجية التى تحكم الأسرة ، ولو تخصص الباحث فى أحد المجالين فانه سيكون مضطراً وبالضرورة للتعرض – ولو هامشيا – للجانب الآخر ، ولعل أهم علاقة تربط وشائج العرى فى هذه الجماعة الإجتماعية هى الزواج Marriage الذى يعتبر أساس تكوين الأسرة والرابطة التي تبنى عليها كافة العلاقات الاسرية والقرابية الاخرى ، فالزواج كعلاقة هو رابطة طبيعية مقررة إجتماعيا بين شخصين مختلفى الجنس ، والنية فى تكوين هذه الرابطة الديمومة أو الاستمرار بحيث تشتمل فى داخلها عملية حمل وإنجاب الاطفال ، وديمومة الزواج أو ثباته سمة تتميز بها كافـــة الثقافات شريطة أستبعاد علاقات البغى والزنا وأى نوع عارض من العلاقات الغير متمشية مع الدين والعرف والنظم المعمول بها . والزواج كنظام مركب من المعايير

---

١) أنظر :

– د محمد عاطف غيث ، المشاكل الإجتماعية والسلوك الانحرافى ، مرجع سابق .

– د. مصطفى الخشاب . دراسات فى الإجتماع العائلى ، مرجع سابق .

– د. محمد الجوهرى ود. علياء شكرى ، علم الإجتماع الريفى والحضرى ، مرجع سابق .

– محمود حسن ، الاسرة ومشكلاتها ، مرجع سابق .

– د. محمد عاطف غيث ، قاموس علم الاجتماع ، مرجع سابق .

الاجتماعية السائدة فى المجتمع يحدد العلاقة بين شخصين من جنسين مختلفين بحيث يفرض عليهما التزامات وحقوق ضرورية متبادلة لضمان أستمرارية الحياة الاسرية بحيث تؤدى وظائفها المنوطة بها ، أو بمعنى آخرى هو نظام يدعم قيام روابط شرعية وأخلاقية وإجتماعية وإقتصادية بين الجماعات القرابية التي ينتمى إليها الزوجان .

وبالتركيز على النواحي المرضية أو المشاكل المتعلقة بالزواج ، فاننا نتعرض إليه من منشئها قبل الزواج ثم أثنـــاء الترابط المفترض ديمومته بالزواج ، ونترك مشاكل ما بعد إنضمام الرابطة أو الطلاق لموضع آخر من هذا الفصل ، وفيما يلى أيضاح لابعاد أهم المشاكل العامة والخاصة التى تعترى الزواج قبل وأثناء وقوعه :

١ ـ تبدأ إجراءات الزواج عادة باختيار شريك الحياة ، وتختلف المجتمعات بعرض مساحاتها المكانية أفقيا ، أو المجتمع الواحد بعرض مساحته الزمنية رأسيا فيما يكتنف هذا الاجراء من محددات يتبعها الافراد عند الاختيار ، كما تتباين المشاكل التي تعترض هذا الاجراء عمقا وتأثيراً بعد إتمام الزواج . فعلى سبيل المثال يترك أختيار شريك الزواج إلى أسرة الابن وأهله فيحددون زوجه المستقبل لابنهم بناء على شروط معينة كأن تكون عائلة ذات حسب ونسب وأن تتمتع بمستوى معين من الجمال ، وإن كان هذا الابن على درجة من التعليم يضعون فى شروطهم أن تكون الفتاة هى الاخرى على درجة معينة من التعليم ، وفى هذا الصدد قد يكون المحك الاختيار الداخلى أى من بين الاقارب ويتدرجون من بنات العم أو العمة إلى بنات الخال أو الخالة إلى من سواهن ، وقد يلجأون إلى وسائط فى ذلك كنظام الخاطبة التي

تتعرف على الشروط المطلوبة وتبحث حتى تجد من تتوفر فيها هذه الشروط وتعرضها ، أو قد يلجأون إلى الاتصالات الشخصية وخاصة من جانب الأم والاخوات الاناث اللائى يزرن العائلات المختلفة ويعاين الفتيات فيها ثم يخترن أصلحها . وقد يرى البعض أن مثل هذه الطرق قد بدأت فى الانقراض من المجتمعات الحديثة ، إلا أن الواقع قد أثبت أنها مازالت موجودة ، وعلية فان بعض النواحى المرضية قد تكتنف أبعاد هذا الاختيار بتلك الصورة كعدم التوافق الذى يحدث مستقبلا بين الزوجين أو إنعدام العاطفة أو الاختلاف فى السمات المحددة لشخصية كل منها أو التقدير المخالف لمجريات الحياة أو غير ذلك من الامور التى قد تقف عقبة فى سبيل السعادة الزوجية أو الابقاء على الرابطة الاسرية ، ناهيك عن إكتشاف أحدهما لعيوب الآخر وتندرج من سلبيات القلق الدائم فى الحياة الزوجية كالاستهتار أو إدمان المخدرات أو الخمور أو المجون الزائد عن الحد أو عن إتباع تقاليد المجتمع وما إلى ذلك .
وإذا كان ذلك كذلك فان هناك نمطا آخر من محددات أختيار الزواج هو الشائع فى المجتمعات الحديثة والذى تترك فيه الحرية كاملة للجنسين لاختيار شريك الحياة ، ويستتبع ذلك أن يتعرف كلاهما على الآخر قبل الشروع فى إجراءات الزواج كي يتفهم كل منهما الآخر ويتفقان على كل أمور مجريات حياتهما سويا ، فاذا ما تم الاتفاق أتخذت الاجراءات العادية لاتمام الزواج ، وقد يتحدد قبل التعارف من كلا الطرفين الابعـــاد والشروط المطلوبة فى الطرف الآخر ، وقد تتدخل بعض الرواسب القديمة متشابكة مع النزعة الحديثة فى الاختيار ، إلا أن الثابت أن هذه الطريقة قد قلصت من وقوع التوترات الاسرية بسبب شعور طرفى الزواج والعضوين المؤسين للاسرة أن هذا أختيارهما ولابد من الرضاء به ، ولكن مشكلات ما قبل الزواج هى التى قد

الاجتماعية السائدة فى المجتمع يحدد العلاقة بين شخصين من جنسين مختلفين بحيث يفرض عليهما التزامات وحقوق ضرورية متبادلة لضمان أستمرارية الحياة الاسرية بحيث تؤدى وظائفها المنوطة بها ، أو بمعنى آخرى هو نظام يدعم قيام روابط شرعية وأخلاقية وإجتماعية وإقتصادية بين الجماعات القرابية التي ينتمى إليها الزوجان .

وبالتركيز على النواحي المرضية أو المشاكل المتعلقة بالزواج ، فاننا نتعرض إليه من منشئها قبل الزواج ثم أثنـــاء الترابط المفترض ديمومته بالزواج ، ونترك مشاكل ما بعد إنضمام الرابطة أو الطلاق لموضع آخر من هذا الفصل ، وفيما يلى أيضاح لابعاد أهم المشاكل العامة والخاصة التي تعترى الزواج قبل وأثناء وقوعه :

١ – تبدأ إجراءات الزواج عادة باختيار شريك الحياة ، وتختلف المجتمعات بعرض مساحاتها المكانية أفقيا ، أو المجتمع الواحد بعرض مساحته الزمنية رأسيا فيما يكتنف هذا الاجراء من محددات يتبعها الافراد عند الاختيار ، كما تتباين المشاكل التي تعترض هذا الاجراء عمقا وتأثيراً بعد إتمام الزواج . فعلى سبيل المثال يترك أختيار شريك الزواج إلى أسرة الابن وأهله فيحددون زوجه المستقبل لابنهم بناء على شروط معينة كأن تكون عائلة ذات حسب ونسب وأن تتمتع بمستوى معين من الجمال ، وإن كان هذا الابن على درجة من التعليم يضعون فى شروطهم أن تكون الفتاة هى الاخرى على درجة معينة من التعليم ، وفى هذا الصدد قد يكون المحك الاختيار الداخلى أى من بين الاقارب ويتدرجون من بنات العم أو العمة إلى بنات الخال أو الخالة إلى من سواهن ، وقد يلجأون إلى وسائط فى ذلك كنظام الخاطبة التي

تتعرف على الشروط المطلوبة وتبحث حتى تجد من تتوفر فيها هذه الشروط وتعرضها ، أو قد يلجأون إلى الاتصالات الشخصية وخاصة من جانب الأم والاخوات الاناث اللائى يزرن العائلات المختلفة ويعاين الفتيات فيها ثم يخترن أصلحها . وقد يرى البعض أن مثل هذه الطرق قد بدأت فى الانقراض من المجتمعات الحديثة ، إلا أن الواقع قد أثبت أنها مازالت موجودة ، وعلية فان بعض النواحى المرضية قد تكتنف أبعاد هذا الاختيار بتلك الصورة كعدم التوافق الذى يحدث مستقبلا بين الزوجين أو إنعدام العاطفة أو الاختلاف فى السمات المحددة لشخصية كل منهما أو التقدير المخالف لمجريات الحياة أو غير ذلك من الامور التى قد تقف عقبة فى سبيل السعادة الزوجية - أو الابقاء على الرابطة الاسرية ، ناهيك عن إكتشاف أحدهما لعيوب الآخر وتندرج من سلبيات القلق الدائم فى الحياة الزوجية كالاستهتار أو إدمان المخدرات أو الخمور أو المجون الزائد عن الحد أو عن إتباع تقاليد المجتمع وما إلى ذلك .
وإذا كان ذلك كذلك فان هناك نمطا آخر من محددات أختيار الزواج هو الشائع فى المجتمعات الحديثة والذى تترك فيه الحرية كاملة للجنسين لاختيار شريك الحياة ، ويستتبع ذلك أن يتعرف كلاهما على الآخر قبل الشروع فى إجراءات الزواج كي يتفهم كل منهما الآخر ويتفقان على كل أمور مجريات حياتهما سويا ، فاذا ما تم الاتفاق أتخذت الاجراءات العادية لاتمام الزواج ، وقد يتحدد قبل التعارف من كلا الطرفين الابعـــاد والشروط المطلوبة فى الطرف الآخر ، وقد تتدخل بعض الرواسب القديمة متشابكة مع النزعة الحديثة فى الاختيار ، إلا أن الثابت أن هذه الطريقة قد قلصت من وقوع التوترات الاسرية بسبب شعور طرفى الزواج والمضوين المؤسين للاسرة أن هذا أختيارهما ولابد من الرضاء به ، ولكن مشكلات ما قبل الزواج هى التى قد

تكون عائقا أو سلبية من سلبيات هذه الطريقة ، إذ قد ينزلق الطرفان في متاهات الطيش ويحدث ما لا يحمد عقباه ، وهذا تتدخل التعديلات التى تفرضها بعض المجتمعات بضرورة الرقابة من قبل الاهل على التعارف والاختيار الحر حتى يأمن الجميع شرور ومنزلقات إجتماع رجل وأمرأة .

٢ — عادة ما تبدأ إجراءات الزواج بالاتفاق على الامور المادية التى يتحقق بموجبها الزواج كالمهر والشبكة والهدايا وأعداد وتجهيز منزل الزوجية ، وهنا يقع الشباب فريسة العادات السائدة والتى تغالى فى المهور وتزن أمور الشبكة بميزان ثقيل من الذهب ، ولعل أحجام كثير من الشباب عن الزواج يعود إلى هـــذا السبب ، فالشباب مازال فى بداية حياته العملية والمفروض أن يقوم هو بكافة تكاليف زواجه ، فأنى له بهذه المبالغ التى يقف عاجزاً عن توفيرها ، وإذا إتخذ طرفا العلاقة قراراً باتمام الزواج بمهر رمزى قوبل من المجتمع بالاستهجان وقد تتم مقاطعة عائلية لهما وخاصة من أسرة الفتاة . ولو أضفنا إلى ذلك مشكلة السكن المتفشية فى أغلب بلدان العالم حاليا مما يتطلب من طالب السكن مبالغ كبيرة كي يحصل عليه ، أضافة إلى بعض المجتمعات تشترط أن يبنى للزوجية منزلا جديداً في الوقت الذى لا يملك فيه تكاليف هذا المسكن إيجارا أو بناءاً ، فيكون هذا وذاك مدعاة للعزوف عن الزواج والوقوع أما فريسة الكبت الذى يولد مشاكل وتوترات نفسية تندرج على المجتمع الذى لا يستفيد بطاقة شبابه ، أو السقوط فى متاهات الرذيلة والعمليات التويضية الغير مشروعة بما يصيب المجتمع بآفات إجتماعية هو فى غنى عنها .

٣ — لقد أثرت المدينة الحديثة والتقدم التكنولوجي وخاصة فى مجال

الاعلام على الأسرة أيما تأثير ، ويتضح ذلك من تأثير ماتبثه وسائل الاعلام الجماهيرى من مسلسلات وتمثيليات وأفلام وأغانى عاطفية تمس وجدان الشباب فيتفاعلون معها ويعملون على تحقيقها ، خاصة فى مرحلة ما قبل الزواج فى حالات الحب الرومانتيكى التى تجرف الجنسين إلى متاهاتها ، فيعتبر كلاهما الآخر مثلا أعلى فى العاطفة والود والحب ، ما تلبث حقيقة كل منهما تتضح بعد أن يستقرا فى بيت واحد فيكشف عن وجهه الحقيقى للاخر ، فليست الحياة كلها حب أو كلمات عذبة أو تغازل ، بل فيها النفور والملل والمشاكل العادية التى تحدث فى كل بيت ، حينئذ ينهار المثل الاعلى ويهوى بالرومانتيكية إلى الحضيض ، ويشعر كلاهما بعدم التوفيق فى الاختيار ، وقد تنهار جدران الاسرة الجديدة ، أو يتحمل كلاهما على مضض أختياره فتهبط مؤشرات السعادة ويتصاعد مؤشر الضجر مما ينعكس بالتالى على النشىء الذى يخرج فى حالة غير سوية إجتماعيا .

٤ — تحـدد سمات الشخصية لـكل من الزوج والزوجة درجه التوافق الزواجى إيجابا وسلبا ، إذ يتمتع كل منهما بشخصية تحمل ثقافات المجتمع أو الجماعة التى ربى فيها على أساس من القيم والمعايير الإجتماعية المحددة لسمات هذه الشخصية ، ولا يخفى أن مثل هذه المحددات تتكون تلقائيا من المواقف التى يسلك إزاءها كبار المربين — فى هذه الجماعة — سلوكياتهم وأفعالهم داخل التفاعل السائد ، فيتأقلم مع هذه المحددات وتؤثر فيه بحيث تنعكس على أغلب أن لم يكن كل سلوكياته مع الاخرين فيما بعد ، وإذا أمكن التظاهر بغير ذلك أثناء الإنخراط فى جماعات مؤقتة كالصحبة أو الصداقة أو جماعة العمل أو ما شابهها ، إلا أن ذلك لا يستمر طويلا فى الحياة الزوجية ، فالمعيشة والمعاشرة

كاملة والبقاء داخل جماعة الزواج أو الأسرة طول الوقت ، وبالتالى تصبح الأفعال والسلوكيات طبيعية دون تصنع ، فيضفى كل منها سمات شخصيته على أفعاله الموجهه في الموقف المعين ، وغالبا ما يسود العلاقة عدم توافق زواجى نظراً للاستعدادات والقدرات المتباينة فى سمات شخصيتهما والتى تنعكس فى معالجتهما للامور الحياتية . وعلى سبيل المثال فان البديهية الشائعة أن الاسرة بلا خلافات أو منازعات داخلية تتخذ صفة الاستمرار ما بين وقت لآخر وعلى أمور قد تكون تافهة أو أعلى فى درجاتها ولكن غالبا ما تستمر الحياة رغم هذه الخلافات والمنازعات ، إلا أن هناك حالات من واقع التربية السابقة لأحد طرفى العلاقة الزوجية تجعله منساقا وراء الشكوى والخروج بالخلافات عن حيز الزوجين إلى آخرين كالآباء والأمهات والأهل والجيران ومن سواهم بحيث تتسع هوة الخلاف وتتدخل آراء خارجية تعمل على زعزعة الكيان القائم وتعمق من المنازعات وتزيد من حدتها وقد تصل إلى حد التفكك . وثمة مثال آخر يربط بين سمات شخصية الزوجين والتوافق أو عدم التوافق الزواجى فغالباً ما يقف أختلاف الآراء حول موقف أو سلوك معين حائلا فى الوصول إلى تفاهم بين الزوجين، وعند ذلك قد يتدخل التحدى بينهما إلى مدى يشتد الخلاف فيه ويصل إلى ذروة لم تكن متوقعة من قبل وهذا بالطبع سلبا فى تقدير التوافق الزواجى ، إذ يتطلب الأمر تبادل الاستعداد الشخصى للتخلى عن موقف التحدى فى الأمور التي تحدث فيها خلافات من نوع أو من آخر حتى لا تتشعب وتهوى بالأسرة ومكوناتها إلى هاوية المشكلات التى لا نهاية لها . وقد يكون من الملائم كأمثلة أخرى أن نحدد أبعاداً أخرى لسمات الشخصية تكون عائقا في سبيل التوافق الزواجي كعدم الصبر والأناة عند الاستشارة بحيث تعتبر رأيا جافا وجامداً ولا راد له ، وكالتنازل في

بعض الأحيان عن أمور بسيطة وعدم التشبث بها لأن في ذلك مدعاة للتصلب والخلاف ، وكعدم القدرة على تجنب قهر وإذلال العضو الآخر أو من منطلق السيطرة ودعوى الرجولة أو درجة التعليم العالية من طرف دون الآخر أو من سيطرة مالية إقتصادية من جانب أغنى من الآخر أو ما إلى ذلك مما يجعل التوافق الزواجي مذبذبا في تأشيراته بحيث يمكن أن يهبط مع التوترات والخلافات حتى درجة التفكك التي تقضي عليه تماما .

٥ — يعتبر التقدير بين كلا الزوجين — داخل الحياة الأسرية — لمسائل الدين المرتبطة بالقيم الرفيعة والأهداف السامية النبيلة من أهم أسس نجاح الحياة الزوجية ، وعندما يحيد أحدهما أو كلاهما عن هذا التقدير يكون مدعاة للتوترات وعوائق تتشابك في تعقدها وتعقيدها بحيث تقف في وجه تحقيق السعادة المبتغاة ، فمن جهة يعتبر مبدأ حسن التفاهم والمعاملة بالمعروف من أهم الاسس الدينية للتفاعل داخل الاسرة ، فان شاب العلاقة خلاف أو شد أو إستئثار ديكتاتوري بالرأي يدعو للمناقشة بصوت عال وتتدخل التراهات اللفظية والحدة القاسية من أحد الزوجين أو الشدة قولا وفعلا ، يمكن الحكم على مثل هذه الحياة بعدم التوفيق وقد تستمر ولكن ليس في المناخ المهيأ لجماعة إجتماعية هي أساس المجتمع ، ولنا أن نتخيل أو نتصور الانطباع السلوكي للابناء وهم يعايشون مثل هذه المعاملة ونستنتج المشكلات المركبة التي تولدها وقد تصل بالاسرة كلها إلى حد التفكك ومن جهة ثانية يدعو الدين إلى سرية الحياة الزوجية والنصح بعدم أفشاء سلبياتها ، فمن الامور المسلم بها أن للبيوت أسراراً ، وأن كل أسرة في داخلها خلافات من

النمط العادى تكاد تنشأ وتتكرر يوميا أو على مدى الحياة دون أن يكون ذلك مدعاة للتوتر أو المرض الإجتماعى شديد القوة الذى يخشى من نتيجته التفككية ، كما أن هناك من الأمور بين الزوج والزوجة ما يجب أن يكون حبيس عشها الزوجى ، إلا أن هناك زوجات وأزواج يحلو لهم الحديث فى أسرار حياتهم والشكوى الدائمة أما إلى الأهل المقربين وخاصة الأم أو إلى أشخاص آخرين قد يرتبطون بالأسرة في علاقات صداقة أو تعارف أو ما إلى ذلك ، وتلوك الالسن هذه القصص وقد تتدخل النفوس الضعيفة بقصد أو بغير قصد مع جانب دون الآخر وتسوء الاحوال وتصبح نظرة الجميع لمثل هذه الاسرة غير التي يجب أن تكون بما يجعل التوتر يزداد والمشكلات تتعقد . ومن جهات أخرى يمكن قياس أمور أخرى يدعو إليها الدين وتتجنبها الاسرة في تفاعلها ، على هذين المثلين كالحث على الإلتقاء الدائم لإهتمام كل من الزوجين وتبادل الإحترام والمساواة فى تقرير الامور ، وغيرها من الامور والمسائل الدينية التي توصل إلى السعادة المرجوة بين الزوجين بما ينعكس بالتالى على الابناء ، فمن المبادىء المعروفة أن الآباء السعداء يخرجون أطفالا سعداء عندما يساهمون فى تكوين أسر جديدة ترفرف عليها بالتالى السعادة .

٦ — يركز علماء الإجتماع حين دراستهم لمشاكل الاسرة على المستوى التعليمي لكلا الزوجين وأثر التباين فيه رأسيا وأفقيا فى نجاح الزواج والسعادة الزوجية ، ويرى هؤلاء أن التباين الرأسى للمستوى التعليمى يتمثل فى حصول أحدهما على شهادات علمية أعلى من الآخر بما يمكن أن يكون سببا فى نوع من التعالى الواضح فى المعاملة والذى تندرج آثاره بالتالى على

التفاعلات داخل الاسرة ومن ثم على كيان الاسرة ككل بالتوتر والخلافات المستمرة ، أما التباين الافقي للمستوى التعليمي والمتمثل في إختلاف نوعية التعليم بين الزوجين والفكرة التي ظلت راسخة في الاذهان منذ العصور القديمة والتي تفضل نوعيات تخصصات معينة عما سواها ، يجعل عقلية الزوجين متباعدة في التفاهم لشعور أحدهما بالقصور فيما حصل عليه من تعليم ، أو شعور الآخر بمكانة نوعية تعليمه العالية ـ قيميا ـ عن نوعية شريكه في الحياة ، وفي كلا الحالين تصاب الحياة الزوجية بنوع من الفتور أو الضعف التفاعلي السلبي مما قد يصل بها إلى التفكك والإنفصال ·

٧ ـ هناك أمور أخرى يمكن أن تكون أسبابا للتعاسة الزوجية وزيادة حالات التوتر داخل الاسرة وقد تصل بها أيضاً إلى التفكك ، ويجب على الباحث في ميدان المشكلات الاجتماعية ألا يغفلها وهي :

أ) المستوى الإقتصادي بين الزوج والزوجة من خلال معيشتهما السابقة كل في أسرته ووقوع أحدهما ضمن عائلة غنية والآخر من أسرة كادحة فقيرة ، وأثر ذلك على التفاعل الإجتماعي في الحياة الجديدة داخل الاسرة التي يكونا عنصريها الأساسيين ، وكمية وكيفية ما يسببه هذا الفارق من توترات والمدى الذي يمكن أن يصل إليه ·

ب) إن الإنجاب كعملية طبيعية تسود المجتمع فتنجب أسر إنسانية أبناءاً من الذكور والإناث ، وأسر أخرى ذكوراً فقط ، وأسر إناثاً فقط ، ويمنع عن أسر الاطفال لسبب أو لآخر ، جعلت علماء الاجتماع يولون وجوههم شطر هذه الموضوعات وأثرها في السعادة الزوجيه ، فما هي المشاكل التي تتولد من كثرة الولدان (ذكوراً أو إناثاً) داخل الاسرة تربوية كانت

أو إقتصادية أو إجتماعية ؟ ثم ما هو التوتر الذى يسببه وجود نوعية واحدة من الاطفال ذكوراً أو إناثاً ؟ ثم – وهذا المهم – هل يؤدى عدم وجود الاطفال إلى تعاسة زواجية ؟ ويركزون فى هذا الصدد على الصراعات الداخلية إذا عرف أن عقما أصاب أحدهما ، والعوامل التوترية إذا لم يكن هناك سبب ظاهر يؤدى إلى العقم ومدى رضا الزوج والزوجة بالحياة وأثر ذلك فيها .

جـ) يعتبر الإشباع العاطفى والحب بين الزوج والزوجة أساسا جوهريا في الصلات التي تربطهما وتوثق هذا الرباط ، ويركز باحثوا المشكلات الاجتماعية على القدرة على الاخذ والعطاء في المسائل العاطفية والسعادة الزوجية ، وإذا إنحدرت هذه القدرة إلى مؤشر سلبي معين فان المتوقع أن تطفو المشاعر الكامنة وتتحول إلى توترات ظاهرة يؤدى تراكمها إلى فتور في العلاقة قد يتطور إلى خلافات ثم إلى توترات أكثر حـــدة يخشى من وصولها لمرحلة التفكك .

د) تتحدد الواجبات المناطة بكل من الزوج والزوجة إزاء مناشط الحياة المختلفة إلزاما ، ويجد كل منهما نفسه بطريقة تلقائية مدفوعا للقيام بها ، إلا أن ذلك يتطلب تقديراً من كليهما للاخر حتي تستقيم الحياه الزوجية ويتحقق التوافق الزواجي ، وهذا التقدير لا يطلب ولا يعبر عنه بألفاظ محفوظة ، بل يحس من خلال السلوكيات الحياتية داخل علاقتهما ، فاذا كان إحساس الزوج – على سبيل المثال – عدم تقدير من الزوجة له إزاء واجباته في توفير الإستقرار والانفاق والامن الاقتصادى ، أو إذا كان إحساس الزوجة عدم تقدير من الزوج لها إزاء واجباتها فى تربية الأبناء والأعباء المنزلية المختلفة ،

فان الملل والنفور والرسمية في الأداء تكون السمة المميزة لهذه العلاقة وقد تنشأ عنها مشكلات اللامبالاة والهروب من المنزل وعدم الوضوح في المعاملة وإنتظار الفرصة المواتية للتشاجر لأتفه الأسباب بما يجعل السعادة الزواجية والتوافق الزواجي بمنأى عن هذه الأسرة .

هـ) هناك أمور تتعلق بالمرأة وقد تنتج عنها مشكلات ينعكس أثرها على المجتمع كعدم توافق المطلقات فى الزواج الثانى ، وسلبيات خروج المرأة للعمل وأثره في الحياة الاسرية ، والتنافس بين الزوجات فى نظام تعدد الزوجات وأثره في السعادة الزواجية ، وغيرها مما يوليه الباحث فى المشكلات إهتمامه كمشكلات تهدد الاسرة في المجتمع ويحاول أن يضع لهـا الضوابط لعلاجها والوقاية من حدوثها .

التفكك الاسرى :

يحدث التفكك العائلي إذا وصل توتر ما إلى أقصى مدى ممكن ان يصل إليه ، وقد يتسبب فى هذا التفكك عامل أو عدة عوامل متشابكة تتساند فيما بينها لوقوع التفكك ، وقد يكون التفكك الاسرى غير كامل بمعنى حدوث صدع فى بنائها حيث ينشطر منها أحد عناصرها كحالات عقوق أحد أو بعض الابناء وفشل كل الطرق الممكنه في إصلاحه ، أو وقوع أحد أعضائها فريسة الضياع عن طريق الجريمة ويقع تحت طائلة العقاب ، أو موت أحد مؤسسى الاسرة مع بقاء البناء دون مساس ، وغيرها من الحالات التي لاتؤدى إلى هدم البناء تماما وتشرد أعضائها

إلا أن هناك تفككا أسريا كاملا حين تصل مرحلة العلاقة بين الزوج

والزوجة إلى حالة اللاعودة ووجوب الإنفصال فيقع الطلاق، وفي حالة التفكك الكامل يشترط إما أن تكون الاسرة خالية من الاطفال فيكون التفكك كاملا ونهائياً ، وإما أن يكون للأسرة أبناء صغارلم تكتمل تربيتهم ، وهنا يخلف الطلاق مشاكل تتعلق بهؤلاء الصغار وتشردهم إذا ما تزوج الاب من أخرى غير أمهم وتزوجت الام من آخر غير أبيهم .

وأيا ما كان الامر ، فان إهتمامنا فيما يلي سيكون منصباً على أبعاد التفكك الاسرى ، والطلاق أبرز علاماته ، وما يحدثه في المجتمع من سلبيات قد تؤثر في إعاقة الوظيفة الإجتماعية لأحد أهم أبنية المجتمع :

١ ـ الطلاق [١] Divorce هو إنفصام رابطة الزواج عن طريق ترتيبات نظامية يضعها المجتمع في الغالب إستناداً إلى أسس دينية سائدة ؛ ويعتبر الإسلام الطلاق أبغض الحلال عند الله لأنه يتسبب في تفكك أسره وما ينجر عن ذلك من مشكلات تقف حجر عثرة في التساند والتماسك الاجتماعي للمجتمع ،

---

١) أنظر :

– د محمد عاطف غيث ، قاموس علم الإجتماع ؛ مرجع سابق .

– د. محمد عاطف غيث ، المشاكل الإجتماعية والسلوك الإنحرافي ، مرجع سابق .

– د. مصطفى الخشاب ، دراسات في الإجتماع العائلي مرجع سابق

— Barnes, J. A., Measures of Divorce Frequency in Simple Societies, Journal of the Royal Anthropological Institute; Vol. LXXIX; 1951.

ولكن مشروعيته تنبع من كون الحياة أصبحت مستحيلة بين الزوجين ، فاذا إستمرت بطريقة أو بأخرى تعمقت المشكلات وإزدادت حدتها وكان تأثيرها من السلبية بمكان بحيث لا يمكن الوقوف أمام تيارات أبعادها المرضية على كل أعضاء الاسرة وبالتالي على المجتمع ككل . . وإنطلاقا من مبادىء الإسلام السمحة التي تعمل في تفردها أو في مجملها على التماسك الإجتماعي داخل الجماعات الإجتماعية والمجتمعات وبين الأفراد ، أباح في فترة محددة عودة المطلقة إلى طليقها ، ليس مرة واحدة بل مرتين ، فاذا كانت الثالثة حرم ذلك إلا بعد أن تتزوج الزوجة بأخر بنفس نية الزواج الاساسية (الابدية) ، فاذا حدث وطلقت من هذا الآخر جاز لها أن تعود لزوجها الاول بحيث يعد زواجاً جديداً ، والحكمة المجتمعية في ذلك ألا يتخذ أفراد المجتمع من أحكام الدين ملهاة يلهون بها يفرقون ويجمعون ، هذا من جهة ، ومن جهة أخرى وضع الدين الإسلامي ضوابط معينة لإتمام الطلاق إطالة للتفكير وبعداً بالعصبية والتوتر النفسي الذى يصاحب الخلافات عن مؤشرها العالى ؛ فقد يعود الرشد بعد الهدوء ويبقى الكيان متماسكا ، ومن جهة ثالثة ضمن الإسلام في أحكامه حقوق الزوجة المطلقة وأنساب ما في الارحام ونفقة الاولاد . ورغم كل ذلك إعتبره أبغض الحلال حتي يلحظ ذلك المسلمون ولا يستخدمونه إلا في أضيق الحدود حفاظا على التماسك المشار إليه .

٢ ـ أسباب الطلاق : يولد الطلاق نتيجة توترات من نوع أو من آخر داخل الاسرة ، ويمكن أن نجمل ذلك باختصار فيما يلى :

أ) إن أهم الأسباب التي يشرع فيها الطلاق ويباح وقوع الخيانة الزوجية ، والخيانة لاتندرج كما هو شائع على المرأة فقط ، بل تقع على

الرجل . والخيانة الزوجية فى حد ذاتها مشكلة من مشكلات المجتمع إذ تعبر عن عدم إتزان القاعدة الأخلاقية المستمدة من ثقافة وعقيدة أعضاء المجتمع ، وربما تعود فى جذورها الأولى إلى التربية التى لا تركز على تلقين مثل هذه القاعدة بالقوة المطلوبة ، أو قد تعود إلى إنتشار ثقافى من نوع أو من آخر تقبله بعض أعضاء المجتمع ووافقوا عليه إما لتجريب محتواه ومضمونه أو لإيمان بأبعاده أو الإعتراض على أمور مهوشة أبعادها الثقافية فى أذهانهم .

ب) قد يتدخل عامل طبيعى كعقم أحد الزوجين كسبب مشروع لإنهاء الحياة الزوجية ، وفى الغالب لا ينجر عن هذا العامل أية مشاكل سوى الناحية النفسية للعقيم بعد وقوع الطلاق وشعوره بالضياع وإنعدام أهميته .

جـ) لا تستمر الحياة الزوجية إذا شعر أحد الزوجين إما بترفعه وعلو مستواه فى أحد جوانب الحياة التعليمية أو الإقتصادية ، وإما بقصوره عن مجاراه شريكه فيما يتمتع به من هذا الترفع والعلو ، فالتعاون المفترض أن الحياة الزوجية قائمة عليه ، لا يتم تبادله وسط هذه الفوارق فى المستوى .

د) إذا كان أساس التخطيط الزواج غير سليم بعد النزعة الحديثة والتى تتطلب قيام رابطة حب أو تعارف بين الشاب والفتاة قبل الزواج فانه على المدى القصير أو الطويل ستنفصم علاقتهما بعد الزواج ، إذ سينهار المثل الموضوع لكليهما عن الآخر بعد أن يكشفا عن حقيقتهما داخل الحياة الدائمة .

هـ) هناك من الزوجات من تعتقد أنها لو جعلت زوجها خاليا من المال

بصفة مستمرة فسيكون فراغه معها ولن يفكر في غيرها مادام لا يملك استثماراً يعينه على ذلك ، وتعتقد أخريات أن زيادة عدد الأولاد تقيد الزوج ببيته فيكون مولعاً بأداء واجباته تجاه أبنائه ، إلا أن الدراسات الحديثة أثبتت عكس هذا الإعتقاد ، فان هذا وذاك وغيره مما شابهه من أمور قد يكون سبباً في هجر الزوج لزوجته التي لا هم لها إلا إستنزاف أمـواله أو إنجاب الأطفال ، وقد يصل الأمر إلى حد الإنفصال والطلاق .

٣ ــ ما بعد الطلاق : إذا كان هذا هو حال الطلاق وأسبابه كانتهاء لرابطة الزواج ، فان الباحثين في علم الإجتماع يولون وجوههم شطر إعتبار الطلاق عاملا أو متغيراً مستقلا لمتغيرات تابعة هي في حد ذاتها تصدعات في جدار التوافق والتوازن الإجتماعى ، وتنجر هذه التصدعات على الزوجين وأبنائهما كل في مرحلته وحالاته كما سيتضح ذلك من العرض الموجز التالى :

أولا : قد تتأثر حالة المطلق النفسية من واقع تجربته السابقة ، وطرف النزاع دائما ــ في داخله ــ على حق ، فيعتبر أن كل النساء يتميزن بسلبية مطلقة ، مما يؤثر عليه بحالة من الإحباط تجعـله لا يجرؤ على الدخول مرة أخرى تجربة الزواج ، ويبتعد عن المجتمع فيما يشبه الإنطواء ، بل ينعكس ذلك على تقييمه لكل الأمور الحياتية من منظار أسود متشائم ، كما يجعله ذلك عصبيا في تصرفاته مع الآخرين ومع النظم الأخرى التي ينضوى تحت لوائها ، وإذا زادت شدة الحالة عليه دون مواجهة علاجية تحول إلى عضو عاق في المجتمع يتسبب ــ مع المشابهين لحالته ــ في خلق حالة من التوتر الدائم تؤدى داخل الروابط والعلاقات الإجتماعية إلى مشكلات تؤثر على مسيرة المجتمع وتوازنه من خلال توافق أو عدم توافق أعضائه .

ثانياً : وبالنسبة للمطلقة فان الأمر يكون أعمق في تأثيره السلبي الذى تتضح أبعاده من :

أ) المرحلة الأولى عقب الطلاق مباشرة تؤدى تماماً بنفسية المطلقة التي ينظر إليها أقرب المقربين لها نظرة الجرم والخطأ ، مع عدم الإفصاح عن ذلك ، أو قد تفسر نظرتهم العادية لها بهذا التفسير ، زد إلى ذلك إعتبار كل خطواتها محسوبة عليها من المجتمع ، حتي الخطوات السوية تفسر تفسيرات غير سوية ، مما يؤدى إلى أحد أمرين إما إلى انطواء المطلقة وتحديد نفسها في دائرتها الخاصة وهذا فى حد ذاته مشكلة . أو لا تلقي أى لما يدور حولها وتنفتح على المجتمع بطريقة عادية قد تؤدى بها إلى الزلل وهذا فى حد ذاته مشكلة أخطر .

ب) وجود أولاد فى سن الحضانة ترعاهم أمهم المطلقة ، ومن الأمور البديهية أن أعباء التنشئة الإجتماعية أو التربية تقع على كاهـــل الزوجين بالتساوى ، فاذا تحمله عضو واحد منهما زاد من أعبائه ، وتغلب على المرأة النزعة العاطفية ، فيفتقد الأبناء في هذه الحالة النزعة المتعلقة من رجل يسيطر على مجريات تربيتهم ، ولذا قد يفلت الزمام من الأم ويصيب الأبناء مايصيبهم من التوترات والمشكلات مما سنعرض له فيما بعد .

جـ) زواج المطلقة من رجل آخر قد يخلق مشكلة مزدوجة الأبعاد ، فمن جهة يعاملها الزوج الجديد على أنها إمرأة من الدرجة الثانية فشلت فى حياتها الأولى، وقد يجعل من حياتها جحيما دون أن يدرى إذا ماوجهها إزاء بعض الأمور بما يتلاءم مع وجهة نظره ويذكر لها بين الحين والحين حياتها السابقة حتى لا تكرر سلوكياتها فى حياتها الحالية ، ومن جهة أخرى تقع المرأة فريسة

المقارنة بين زوج قديم وآخر جديد ، وقد دلت الأبحاث أن الزوج الأول مهما كانت مساوئه فهو في نظر المرأة مثلا أعلى للرجال بحلوه ومره ، فمها كانت إيجابيات الثانى فسرت من ناحيتها على على أنها سلبيات ، ويكون إستمرار حياتها مع الزوج الآخر إضطراراً حتى لا تتكرر مأساة الزواج الأول ، ويخشى في هذه الحاله وسابقتها من اللامبالاة التي تصيب المرأة وقد تجرها إلى أمور لا تحمد عقباها مستقبلا .

ثالثاً : يفرد كثير من الباحثين تحليلاتهم لمشاكل ما بعد الطلاق على ما يصيب الابناء وخاصة الاحداث منهم من توترات إنحرافية واجرامية ، ولعل الإهتمام بالابناء ينبع من كونهم عدة المستقبل الذين سيحملون ثقافة المجتمع ويحفظون تراثه ويعملون على أساس معاييره وقيمه ، فهم كأسوياء امتداداً لتاريخ المجتمع ذى الطابع المحدد ، ولا بد من الحفاظ على توازن هذا المجتمع عن طريق بث روح التوافق بينهم ، وأبناء المطلقة من الصغار يفقدون بعضاً من هذا الحفاظ وقد يدخلون في دائرة الشواذ أو اللا أسوياء ، وأبعاد ذلك هى :

أ) تكون حضانة الاطفال لامهم بعد الطلاق — كما هو معمول به فى أغلب شرائع المجتمعات — وبذلك يفقد هؤلاء أسلوب التعقل في تربيتهم ويكتفون بأسلوب العاطفة أو القلب كما تمثله المرأة ، وأسلوب العاطفة يغفل كثيراً من الامور كالتوجيه الرشيد والإعداد الواعي والمواجهة الصريحة خاصة في مرحلة المراهقة بالنسبة للذكور — مما يدفع الاطفال فى هذه المرحلة وما دونها الى البحث عن بديل ، وقد يكون هذا البديل الارتماء في أحضان الرذيلة واتباع السلوك الاجرامى ، مما يجب مواجهته والعمل على الوقاية منه في مثل هذه الحالات .

ب) تفاقم المشاكل التي تحدث أثناء حضانة المطلقة لأبنائها وهي محدودة بقدر الإمكان ، اذا ما اختارت المرأة لمسيرتها حياة زواجية جديدة وارتبطت بآخر ، فيكون الآبناء في حيرة البقاء هنا أو هناك ، مع افتراض اختيار الرجل حياه زواجية جديدة هو الآخر وارتبط بأخرى ، حتى اذا وجدوا المأوى لهم سيواجهون بسلوكيات زوجة الاب أو زوج الام ، وكلاهما — مهما كانت مثاليته — عامل معوق في التربية أو التنشئة الإجتماعية من الإحساس الداخلي أن هؤلاء ليسوا أبنائه أو من ناحية الابناء أنفسهم أن هذا ليس أبيهم أو هذه ليست أمهم ، وقد يصاب الابناء بحالة من التشرد تدفعهم الى السلوك الشاذ المشكل الناشيء عن سوء التكيف والتوافق والمرضى النفسي الذى يتعرض له الاطفال في تفاعلهم مع زوج أمهم أو زوجة أبيهم .

جـ) هناك مبدأ وصل اليه بعض علماء الاجتماع مفاده أن الآباء السعداء يخرجون أطفالا سعداء عندما يتزوجون ويندرجون ضمن أسرهم أربابها ، ما بالنا وهؤلاء الأبناء قد بدأو حياتهم وهم يعاصرون مرحلة تفكك أسرة هم بعض أعضائها ، لا بد اذن أن يندرج هذا التفكك على حياتهم الاسرية المقبلة اذا نجحوا ومروا من مرحلة الطفولة بسلام ، فسيدخلون كأعضاء مؤسسين لهذه الاسر وهم يحملون على أكتافهم سلبيات الماضي بحيث يخشى أن تنطبع سلوكياتهم برواسبها ، فتؤثر في التوافق الزواجي ويحدث التوتر الاسرى الذى قد ينتهي نفس النهاية وتدور الدائرة .

الفصل السادس

المدرسة ومشكلاتها

- تمهيـــد
- المدرسة والتنشئة الاجتماعية .
- المدرسة والشخصية.
- دور المدرسة فى الانضباط .
- المشكلات المدرسية .

المدرسة ومشكلاتها

تمهيد

تقف المدرسة فى مجال التربية أو التنشئة الإجتماعية فى مفترق طريق بين الأسرة والمجتمع ، فمنذ ولادة الطفل يقبع فى رعاية أسرته التى تتولى تلقينه مبادىء الحياة الأولية وكيفية إشباع حاجاته المختلفة الأنواع والأنماط وكيفية التعامل من واقع الثقافة المرعية . فإذا وصل إلى سن معينة أصبح لزاما عليه أن يضيف عن طريق نسق آخر مزيداً من المعلومات والتراث المنظم إلى ما سبق وتلقاه من أسرته ، وتقوم المدرسة بهذا الدور من خلال إنخراط الطفل فى مجتمع جديد يكافىء بين فرص أعضائه ويملك وسيلة الثواب والعقاب ويراقب عملية التحصيل عن طريق التلقين ، كل هذا يتم بازدواجية فى الإنتماء بالنسبة للطفل الذى يظل أيضاً عضواً فى أسرته تلقنه المزيد من أبعاد الثقافة المرعية مشاركة مع المدرسة . وبعد أن يتم الإنسان تعليمه ينزل إلى معترك الحياة مسلحاً بكل ما تلقاه من معلومات ومعارف وثقافة لكى يمارس ويزاول الدور أو الأدوار المناطة به .

وعلى هذا فان المدرسة تساهم فى إثارة دافعية الطفل نحو المزيد من التحصيل ، كما تنمى شخصيته المستقلة وتدعم من أهداب ثقافة المجتمع ، كما تؤهله للاستقلال والتعرف على أسلوب العلم وتدربه عليه وتعوده الثقة بالنفس والقيام بشتى الأدوار التي يمكن أن تسند إليه . . إلا أن هذه العملية تقابل بعده مشاكل كعدم تكيف الطفل مع المدرسة مما يؤدى به إلى نزعات سلبية كالهروب أو التمارض أو إستهداف الفشل الدراسى أو الإنحراف أو كصراع

النظم بين المدرسة والأسرة ، أو مشاكل تتعلق بعلاقة الأطفـــال ببعضهم أو علاقتهم بمدرسيهم أو مشاكل تتعلق بالدور التعليمى المناط بهم خاصة ما يرتبط بحياتهم خارج المدرسة .. هذه الأمور وغيرها هي موضوع هذا الفصل الذى يبدأ بإيضاح وظيفة المدرسة كنسق إجتماعى فى التنشئة الإجتماعية ، ثم دورها فى تكوين الشخصية ، ويعرج على دور المدرسة فى برامج التأهيل والتوعية ، ويختتم الفصل بإيضاح أبعاد المشكلات المدرسية .

المدرسة والتنشئة الاجتماعية [1]

تعتبر التنشئة الاجتماعية الوظيفـــة الاساسية المدرسة أو المعهد التعليمى باعتباره نسق تعليمى Teachinq System له من الرسمية ما يتطلب أن يعتمد فى تطبيقاته النمطية على نظام مقنن ومدون ومعرف من أعضاء المجتمع لا لبس فيه ولا غموض ، ويحدد هذه النظام أهداف النسق الاساسية ويوزع الادور على أعضاء البناء الاجتماعي فى داخله ويحدد المناهج العلمية الدراسية وحتى ما يتعلق منها بالنشاطات الاساسية والفرعية ويحدد السلطات ومضمون التعليم فى المرحلة التي يقع فيها وأساليب تطبيقه وصولا للاهداف الموضوعة مسبقا . فالمدرسة على هذا الاساس نسق مستقل ومتغير العلاقات الاجتماعية ، وبذلك يمكن النظر اليها من بؤرة التنظيم الاجتماعى Social Organization التي تركز فى مضمونها على تحديد الاهداف ووسائل تحقيق هذه الاهداف من واقع تخطيط سليم ومبرمج ومقصود ومتفق عليه من أعضاء المجتمع ، حتى يمكن أن تقوم بدورها المناط

---

(١) أنظر :

ـ د محمد عاطف غيث ، قاموس علم الاجتماع ، مرجع سابق

ـ محمود حسن ، مقدمة الخدمة الاجتماعية ، مكتبة المعارف الحديثة ، الاسكندرية ، ٩٨٠

ـ لويد والين كوك ، المشكلات المـــدرسية فى العلاقات الانسانية ، ترجمة عفاف محمد فؤاد دار الفكر العربى ، القاهرة ،

ـ مصطفى الخشاب ، علم الاجتماع ومدارسه ، مرجع سابق .

بها والمتمثل أساساً فى التربية أو التنشئة الاجتماعية ، ولمزيد من ايضاح هذه الوظيفة تنظيميا وانتقائيا وسيكولوجيا نعرض للابعاد المحددة المدرسة أو المعهد فى التنشئة الاجتماعية فيما يلى :

١ — تهتم المدرسة بتربية النشىء باعتبارها تنظيماً اجتماعيا ، فهى وسيلة لتحقيق هذا الهدف بحيث تتطور بداخلها وخلال مراحلها المختلفة — بداية بالمرحلة الأولية حين دخول الطفل فيها وحتى تخرجه منها — أنماط من الولاءات الطوعية والصداقة وعادت تلقى الدروس وممارسة الأنشطة وسبل الاتصال بالمعلمين والقائمين بالأدوار الإدارية منها ، ولا يقوم التنظيم بهذه الصورة الا من خلال مستويات تخطيطية تبرمج من واقع البيئة التى تعتبر المدرسة احد تنظيمتها ، ويستمد التخطيط تطبقاته من واقع القيم والمتواضعات الاجتماعية والمظاهر الكيفية (١) Qualitative aspects أكثر من إتصاله بالمسائل المادية وذلك من خلال الاهتمام بقومات التراث الاجتماعي والقوى الاجتماعية الكامنة فى طبيعة الجماعة الاجتماعية أو المجتمع والاستفادة من المؤسسة المخطط لها (المدرسة) فى تنظيم مظاهر سلوك الأفراد المنضوين تحت لوائها ، والتعرف على مشاكلهم والصعوبات التي تواجههم أو يمكن أن تواجههم فى حياتهم الاجتماعية ووضع الأسس الحقيقية بالقضاء عليها . مع العمل الدائم على وصولهم لمرحلة التكيف مع البيئة والارتقاء بمظاهر التراث الجمعى من عادات وعرف وتقاليد وما اليها . فاذا تم التخطيط على هذا النحو أمكن التوصل إلى تكامل

---

(١) حسب ما أوراه أودم Odum فى نظريته عن التخطيط وخاصة بما يتعلق فيها بنموذج التخطيط الوظيفى Functional planning فى فرعيته عن التخطيط الثقافي Cultural planning

نظام المدرسة أو المعهد التعليمي الاجتماعي ، وتحقق مبدأ تكافؤ الفرص في الحصول على الخدمات التربوية والتعليمية المناطة بهامع تقييم سليم وموضوعي لمدى تحصيل المعارف والعلوم ، وإذا شاب الاعداد أو التطبيق أية سلبيات اندرج ذلك على العملية التربوية والعملية التعليميه بما يؤثر في تفشيه على التنظيم ككل ويكون مدعاة لتواترات ومشكلات تبغي التدخل من جديد لاصلاحها ووضع الضوابط اللازمة للوقاية منها مستقبلا .

٢ ـ يتطلب الهدف السيكوتربوى الذى تؤديه المدرسة التركيز على عمليه التعلم Learning التى تعمل على أن تتكيف فيها نماذج استجابة سابقة لكل دوافع ومشتملات الأسرة التى استقر فيها الطفل مرحلة رضاعته وطفولته الأولى وتأتى من خلالها الطرق الأولى المحددة لثقافة المجتمع من خلال ما تعتقد به الأسرة المحيطة به وتعمل من خلاله ، مع تغييرات بيئية جديدة داخل مجتمع المدرسة الغريب عنه فى بناءاته ونمط تفاعلاته ، بحيث يلمس الطفل لأول وهلة الخلاف بين المعيشة داخل أسرته حيث يلقن وينشأ عشوائيا وكيفما سمحت الظروف ، وبين المعيشة داخل المدرسة وسط جماعات وأفراد مخالفين لأفراد عائلته وطبقا لنظام معين يعطى للدرس وقتا وللراحة وقتا آخر وللنشاط وقتا غيرها ، ويجد التلقين محددا ومقننا مع ضرورة التذكر لكل ما يلقيه من معارف لأن هذا هو مقياس التحصيل وهكذا ينطوى التعلم عد تعديل سلوك الطفل أو متلقى التعليم واعادة تنظيم هذا السلوك بما يشمل فى طياته اعادة تعديل ادراكاته وصورته الذاتية وغير ذلك ، بحيث تكون محصلة التكرار فى الأفعال والتنظيمات وممارستها على هذه الصورة المرتبة عدة تغييرات دائمة ولو نسبيا تطرأ على السلوك المستجيب . فالتعلم

على هذا الاساس هو العملية التي تحدث عن طريقها الاستجابات الشرطية (١)، أو ما يطلق عليه علماء النفس – كمرادف للتعلم – عملية التشريط Condtioning Process التي يحدث من خلالها تحقيق الترابط بين المنبة والاستجابة ، على أن يكون هذا المنبه غير قائم من قبل ومن هنا يواجه الباحث المشكلات التي تنشأ فى هذا المجال وتكون مدعاه لعدم تحقيق الهدف السيكو تربوى المشار اليه . ويبدأ يبحث الاسباب التى أدت إلى عدم التحصيل مثلا ، أو إلى السلوك المشكل غير المستجيب للتلقينات الثقافية داخل المدرسة من منطلق أن منبها حدث (التعليم) ولم تحدث استجابته المتوقعة (التعلم) .

٣ – تواجة العملية التعليمية حاجات المجتمع ومتطلباته المزدوجه الاهداف تجريدا والمتشابك كليهما مع الآخر تطبيقاً ، فمن جهة لابد أن تنقل المدرسة أو المعهد العلمى القائم بالعملية التعليمية الطفل أو الانسان الجديد من أسرته عبر هذه المدرسة أو المعهد إلى معترك الحياة والمجتمع الكبير مسلحاً بالتربية الاخلاقية والثقافية الاساسية ، بحيث لا يخرج فى تفاعلاته المقبلة عن قيم ومعايير المجتمع ، ليس هذا فقط بل ويعمل على تدعيمها وسط الجماعات التى سينضم اليها أو من خلال التربية – كسنة للحياة فى الدورة الطبيعية – لابنائه بعد أن يكون أسرة ، فاذا لم يحدث هذا اعتبر ذلك توترا أو انحرافا عن

---

(١) الاستجابة الشرطية Conditioned Response مصطلح مرادف لمصطلح الفعل المنعكس Reflex الذى يعبر عن علاقة بين منبه واستجابه ، أى رد فعل بسيط لمثير خارجي ، والارتباط بين المنبه والاستجابه يعنى أن تكرار المثير أو الفعل أيا كان نوعه يؤدى بالضرورة إلى تكرار الاستثارة أو رد الفعل .

المسار الصحيح للمدرسة ودور العلم ومن خلال الحالات المرضية فى هذا الصدد يمكن التعرف على الثغرات الوظيفية أو التنظيمية أو غيرها التي جعلت المدرسة تخرج مثل هؤلاء المشكلين ومن جهة أخرى يواجه التعليم حاجة المجتمع ومتطلباته في العلوم والمعارف ويحد أدنى معـــرفة القراءة والكتابة لمن لايستجيب لظرف أو لآخر لتلقي أبعاد أعمق من المعارف ، وقد يصل بهذه الخاصية إلى ضرورة مواجهة حاجات المجتمع لكفاءات متدربة ومتخصصة فنيا وإكسابهم المهارات التى تجعلهم يسهمون فى النهوض بالمجتمع ، وأكثر من ذلك حاجة المجتمع لكوادر علمية وباحثين بل وعلماء إذا لزم الأمر ... وكل ذلك يناط بالعملية التعليمية من خلال المدارس والجامعات ودور العلم بشتي أنواعها ، ومما هو معروف أن تقدم الأمم يقاس بما لديها من علماء ، وان يكون هؤلاء علماءاً من مجــــرد التحصيل المكثف للمعارف ، بل وأيضا فى مجاراة المجتمع ثقافياً حتى نرقى الإبتكارات بما يتلاءم مع ظروف المجتمع .

٤ ـ تتحدد المحددات الإجتماعية لقدرة أى تنظـــيم من خلال وظيفته الأساسية ، على أساس العلاقة التي تربط هذا التنظيم بالبناء الإجتماعي ككل ، والمدرسة كتنظيم إجتماعى جزء من البناء الإجتماعى للمجتمع ترتبط مع كل النظم الأخرى فى علاقات تتساند ليحقق هذا التنظيم أهـدافه فى العملية التعليمية ، وعلى سبيل المثال يمكن الربط بين المدرسة والأسرة من واقع إشتراكهما فى وظيفة واحـــدة داخل بناءاتها الإجتماعية تتمثل فى التربية والتنشئة الاجتماعية ، فكلاهما يعتبر الطفل موضع إهتمامه لذا ينبغى التفاهم الكامل بين التنظيمين حتى تتحقق وظيفتها من خلال مسار واحد لايعيقه أيها من واقع تفهم الطفل وأبعاد شخصيته وإتجاهاته وطموحاته ورغباته

وإمكانياته وقدراته ودوافعه ومدى إستجاباته وغيرها من أمور تتساند في تكوين المواطن في النهاية وتحدد سلوكياته وتفاعلاته ، فاذا شاب أى من التنظيمين أو كليهما أية شائبة عادت بالسلب على الطفل ، ولنا أن نعلم فقط في هذا المجال كيف أن سلوك الطفل المنحرف إنما هو تأثير العلاقات مطربة فى الأسرة أو فى المدرسة على حد سواء . ولذلك يجب توفير كافة الإمكانيات والفرص لتعاون المدرسة والأسرة في توجيه الأطفال من واقع خبرة أعضاء التنظيمين آباءاً كانوا أو معلمين أو غيرهم مع الطبيعة والبيئة المحيطة ومع الكتب وأدوات الكتابة والقراءة ومع المجتمع والأفراد المكونين للجماعات الاجتماعية المختلفة ، وتوجيههم نحو خبرات الحياة وإعتبار كل المسائل هامة وضرورية مهما كانت تفاهتها حتى يسترشد الطفل ويوجه نحو كل المؤثرات الحاسمة في تحديد نجاح وظيفة التنشئة الإجتماعية والتربية كتكوين الإتجاهات والميول والنظرة إلى الحياة من واقع الكفاءة الشخصية والثقافة الخلقية وإتساع الخبرة لكل من أعضاء البناء الإجتماعى في المدرسة والاسرة المتكاتفين والمتعاونين نحو هدف واحد ، فيجب أن تتشابك وتتوحد وتتكامل وسائلهم أيضاً لتحقيق هذا الهدف ، ومما هو جدير بالذكر فى هذا الصدد أن الحياة تتكون عن طريق التفاعل المستمر بين الكائن والبيئة ، لذا يجب أن تتعاون المدرسة والأسرة فى خلق بيئة تربوية يصبح فى مقدور أعضائها معا وعلى تباعد أماكن تجمعهم التأثير فى الطفل كعضو مشترك في كليهما بوسائل متعددة فى النواحي الإيجابية الطيبة وتدعيمها وأيضاً فى النواحي السلبية السيئة وتغييرها أو تعديلها للأحسن ، إذ أن نمو الطفل عملية تكيف للمؤثرات القائمة داخل كل من تنظيمي المدرسة والأسرة وغيرها من

الجماعات التي ينتمى إليها وتكون محدداتها تابعة لمحددات التنظيمين الاساسيين . وهناك أمور أخرى تتحدد من هذا التعاون المبتغي بين الأسرة والمدرسة كاكتشاف حاجات وميول الطفل ، والتخطيط لرعايته صحيا ونفسيا وإجتماعيا ، والمساهمة فى خلق الوسائل المناسبة لقضاء وقت الفراغ والترويح بما لا يخرج بالطفل عن الخط الثقافى والأخلاقى السائد ، وبناء الإتزان والثبات الإنفعالى عند الأطفال ومن هم فى سن التعليم ، وغير ذلك من الأمور التي تحدد العلاقة الإيجابية التعاونية بين تنظيم المدرسة وبناء الأسرة الإجتماعى ، وفى هذه الحالة تعبر المحددات الإجتماعية عن خط إيجابى سليم للقدرة التعليمية ، بعكس الحال لو سارت العلاقة فى خط سلبي مما يكون سببا وعاملا أساسيا فى التوترات والمشكلات التي تصيب الأطفال وتطفو على السطح أكثر سلبية عندما ترسخ فى طفل اليوم وشاب الغد عندما يكون مشكلا فى سلوكياته الاجتماعية العامة فيكون التفكك الذى يصيب المجتمع بتوتراته التي تقف حجر عثرة فى سبيل مسيرته نحو التماسك والتكامل ...

وإذا كان هذا هو حال العلاقة بين المدرسة والأسرة ، فان الوظيفة الانتقائية للتعليم والتربية يتكامل إيضاحها من خلال تنظيم المدرسة وعلاقته بالبناء الاجتماعى ككل ، والاسرة أحد مكونات هذا البناء ، إضافة إلى القرابة والجوار والمجتمع المحلى والمجتمع العام ، والتي يمكن أن يقال عنها وعلاقتها بتنظيم المدرسة نفس ما قيل عن الأسرة وعلاقتها الموضحة ، والمحددة فى مجملها للمحددات الاجتماعية للقدرة التعليمية .

المدرسة والشخصية (١)

تتحدد الوظيفة الاساسية للمدرسة فى التربية والتعليم ، وإذا كانت التربية تعنى التنشئة الاجتماعية ، فان التنشئ تساهم إيجابيا بتكوين شخصية الطفل من واقع التأثيرات التى يضيفها المناط بهم وظيفة التربية من خلال ممارساتهم الثقافية المحدده بمعايير وقيم المجتمع التابعين له ، ومن جهة أخرى يتم تلقين الطفل المعارف والعلوم عن طريق عملية التعلم التي لا تتوقف عند حد تلقين هذه المعارف والعلوم ، بل وتشارك فى صنع شخصية الطفل بما يتواءم مع الثقافة المرعية . وهكذا تكون الشخصية كأساس لنجاح الاطفال في حياتهم الاجتماعية المقبلة من المحددات الأساسية لعمليتي التعليم والتربية التي توليها المدرسة جل إهتمامها ، ولإيضاح أبعاد الشخصية تعريفاً وتحليلياً إلى عناصرها الاولية وكيفية قيام البناء الاجتماعي لمجتمع المدرسة بتكوينها لدى أعضاء المجتمع الجدد وسلبية أداء هذا الدور وآثاره فى المجتمع ، نعرض باختصار لهذه الأمور فيما يلى :

---

١) أنظر :

- د. محمد عاطف غيث ، قاموس علم الاجتماع ، مرجع سابق .
- لويد وألين كوك ، مرجع سابق

— Pork & Burgess, Introduction to the Science of Sociology, Chicago; 1924.

— Young, K., Social Psychology, New York, 1944

١ – تقع الشخصية Personality فى دائرة إهتمامات أكثر من علم إجتماعى (١) ، إلا أن إهتمام علم الإجتماع بموضوع سوسيولوجية الشخصية Sociology of Personality يشمل كل الفرعيات التى تركز عليها العلوم الاخرى مادية كانت أو لا ماديه ، فردية كانت أو جمعية ، خاصة كانت أو عامة ، من منطلق تأثيرها الضرورى على العلاقات والتنظيمات التى تشمل كافة أنواع الجماعات والمجتمعات تأثيراً وتأثراً ، ولذا فان علم الاجتماع فى إهتمامه بالشخصية يحاول تحليل نسق الشخصية إلى وحدات فرعية أوسمات وصولا إلى أبعاد تكامل الشخصية من واقع تدعيم خصائصها الايجابية ومحاولة القضاء على السلبي منها حتى يمكن قياس التوترات الشخصية المرتبطة بالمجتمع ، ويتحدد البعد التعريفى — كمدخل لمثل هذه الامور — على النحو التالى :

---

١) من أكثر العلوم الإجتماعية إهتماما بالشخصية بجانب علم الاجتماع ، علم النفس Psychology الذى يهتم بدراسة السلوك الفردى وعلاقته بالمنبهات البيئية ، أو — كما يطلقون عليه — علم العقل والعمليات النفسية ، ويهتم علم النفس بالشخصية فى أكثر من فرع من فروعه كعلم نفس الشواذ Abnormal Psychology وعلم النفس الاكلينيكى Clinical Psychology وعلم النفس التركيبي Constitutional Psychology وعلم نفس النمو Development Psychology وعلم النفس الفارق Differential Psychology ، وغيرها من فروع علم النفس الذى يعتبر الشخصية تنظيم سيكولوجى يرتب كل جوانب سلوك الفرد وما ينجر عنه من نتائج ، أو بمعنى آخر تعنى الشخصية فى علم النفس التنظيم الدينامى للانساق النفسية الفيزيقية داخل الفرد التى تحدد أسلوب تكيفه مع البيئة .

أ) تحدد الشخصية من خلال التراكمات الاخلاقية التى يتعامل بموجبها الفرد فى كل التفاعلات الاجتماعية التى يشارك فيها ، والتى تمثل في مجموع كل نوعية منها على حدة محصلة مجموعة الخبرات الفردية التى يكتسبها الفرد داخل البيئة الثقافية المحددة ومن خلال تفاعل إجتماعى متميز . ومجموع هـــذه المحصلات إذا ما حللت سلبيا أو إيجابيا تمثل صيغة منظمة ولو بطريقة نسبية لنماذج مختلفة مما يأتى به من سلوك أو يتحدد به من إتجاهات أو يثق فيه من قيم ، تميز كلها ذات الشخص وقد تختلف عن غيره فى نفس المجتمع والظروف إذا تدخلت عوامل خارجية تربوية أو تعليمية أو بنائية أخرى تختلف عن العوامل التى تعرض لها . وتتحدد الشخصيه منهجيا باتباع أسوب الملاحظة بدون المشاركة أو بالمشاركة أن أمكن [١] لنموذج السلوك العام للفرد المعنى والتعرف خلال المقاييس المتاحة على طريقة تفكيره ومشاعره وأفعاله وتحليل كافة مدركاته وتعلمه وذاته وسماته وأفكاره وإتجاهاته وإستعداداته وغيرها

---

١) للتعرف على أنواع الملاحظة وكافة الوسائل والطرق والادوات المنهجية فى علم الاجتماع يمكن الرجوع إلى :

— د. غريب محمد سيد أحمد ، تصميم وتنفيذ البحوث الاجتماعية ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ، ١٩٨٠ .

— د. عبد الباسط محمد حسن ، أصول البحث الاجتماعى ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، ٩٨٢ .

— د. محمد على محمد ، علم الاجتماع والمنهج العلمى : دراسة فى طرائق البحث وأساليبه ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية . ١٩٨٣ .

مما يتضح خلال تفاعله مع الآخرين من أفراد وجماعات ومجتمعات ينتمى إليها تعاونا أو صراعا أو ما إلى ذلك .

ب) يطلق على المكونات المحددة للشخصية فى مجموعها نسق الشخصية Personality System الذى يشير إلى مجموعة العادات والاتجاهات والسمات والأفكار التي توجد لدى الفرد وتخضع لتنظيم خارجي يجمعها ويرتبها فتتحول إلى أدوار ومراكز عامة ، أو بمعنى آخر يشير نسق الشخصية إلى أنساق الحاجات والاتجاهات التى تحدد أختيارات الفرد للبدائل المتاحة أمامه في المواقف الاجتماعية ، مما يؤدى بدوره إلى صياغة الأهداف التى يسعى إلى تحقيقها ، إذ أن الانسان مهما كان وضعه يكتسبها من المجتمع عن طريق التنشئة الاجتماعية وتعلم الثقافة بمكوناتها المختلفة ، وقد يستجيب لها أو لا يستجيب ، وفي كلا الحالين يضع لنفسه حداً لا شباع حاجاته وموجهات ناحية معتقداته للافكار والمعايشين له ، وأساس ذلك ما إكتسبه من ثقافة إيجابيا معها أو سلبيا ضدها ، فتجرى عملية التنظيم الممثلة لنسق الشخصية والمرتبة للاتجاهات التى توجه السلوك إتجاها معينا وباستمرار مما يؤدى إلى تطويرها أو تعديلها بما يتماشى مع متطلبات تفاعله مع الآخرين من واقع مجموعة الادوار الرسمية وغير الرسمية التى يشغلها .

ج) فى داخل نسق الشخصية نموذج معين ينشأ من أنساق المكونات المحددة للشخصية ما ينطبع بطابع معين بحيث يظهر فى سلوكيات الفرد وأفعاله داخل التفاعلات الاجتماعية ، ويعتبر تمييزاً له عن غيره من أقرانه داخل البناء الاجتماعى ، هذا النموذج يمثل سمة الشخصية Personality Trait ويختص بجانب من جوانب شخصية الفرد يتصف بالاتساق والاستمرار أو الدوام

النسبي ، بما يميز صاحبه عن غيره من الاشخاص ، فعلى سبيل المثال يوجد الشخص الضعيف الذى تبدو من العلامات المميزة لافعاله بين أعضاء الجماعات المنتمى إليها بما يوصف دائما بالضعف سواء فى حضوره فى الجماعة أو غيابه عنها ، ومن بين الامثلة أيضا الشخص الانطوائى الذى ربى على أبعاد ثقافية معينة أصابته — بالتشابك مع متطلبات الحياة — بما يوصف به ويحدد سمته الشخصية بالانطواء ، وقس على ذلك كل النماذج التى تميز الشخصيات وتطفو بجانب من جوانب الشخصية الواحدة وتعتبر ميزة يمكن أن تؤدى إلى نجاح الشخص وإعتلائه أدوار الصفوة ، أو تكون عائقا يوتر من سلوكيات الشخص ويصل به إلى حد المشكلة .

د) يسعى علماء النفس والاجتماع إلى الوصول بالوحدات الاولية للشخصية كالاتجاهات والمعتقدات والقيم والمشاعر وطريقة التفكير والافعال الاجتماعية وغيرها إلى التنسيق المنسجم أو التساند الوظيفى بهذا بحيث يصل الشخص إلى مرحلة تكامل الشخصية Personality Integration ، وهذا التكامل الذى يسعى إليه هؤلاء العلماء يبذلون كافة إمكانياتهم العلمية كي يكون تكاملا إيجابيا أى بما يتناسب مع متطلبات ثقافة المجتمع وأهدافه ، وإلا فانها إذا تكاملت سلبيا كان ذلك مدعاة لظهور السمات التي تصيب في مجموعها المجتمع بحالات التوتر والامراض الاجتماعية كالانطواء والعدوانية والانانية والحقد وغيرها .

٢ — تقوم المدرسة من واقع وظيفتها الاساسية فى التربية والتنشئة الاجتماعية بتكوين صيغة منظمة لنماذج سلوك التلاميذ الجدد أو تدعيم السلوكيات المنظمة قبلا على أسس سليمة للتلاميذ القدامى أو تعديل وتنظيم

سلوكيات من شابتهم سلبيات معينة ، بحيث يكون هذا التنظيم في الصيغة المرجوة لنماذج السلوك من الإتجاهات الإيجابية نحو المجتمع وأعضائه ونحو إيجابيات الثقافة من معتقدات راسخة وطيدة الأركان وقيم مثالية تساهم في تماسك المجتمع وتوازنه . أو بمعنى آخر تقوم المدرسة بدور إيجابي وفعال في تكوين ونمو شخصية أعضاء بنائها الإجتماعي من التلاميذ ، وذلك من خلال تدعيم الخصائص الأصلية ، وتعديل الخصائص المصطنعة بما يجعلها تتماشى مع أهداف المجتمع ، وإعادة النظر عن طريق التوجيه والتوعيه في الخصائص الدخيلة لتغييرها والوصول بالتلميذ إلى الثقة في عدم جدواها .

ونرى أننا – ونحن في محاولة رأب صدع التوترات التي تصيب المجتمع من خلال التعرف على مشاكله التي تعتبر سلبيا تكوين الشخصية أحد جذورها الأساسية – يجب أن نشير إلى الخصائص السلبية وتحليل عواملها سوسيولوجيا حتى نستكمل خريطة المشكلات التربوية في المعاهد العلمية .

أ) أن صراع المصالح والقيم الذى يعتبره بعض علماء الإجتماع السبب الرئيسي في ظهور الأمراض الإجتماعية ، إنما يرجع إلى التكوين الأولى للشخصية ، ففي الأسرة حين ينشأ الطفل يبدأ في الشكوى فتسمع شكواه أو يتودد بحركة تعجب أهله فيجاب لمطالبه أو غير ذلك مما يجعله يدعم سلوكياته هذه حتى تكون مفضلا عن أخوته في الاستحواذ على الأشياء بمساعدة الأب والأم أو الكبار من العائلة ، وحين يواجه بمجتمع المدرسة يكيف سلوكياته بنفس الطريقة وقد يجد التشجيع من بعض المدرسين كي يتسلق على أكتاف زملائه بطرق تتنافى مع تكافؤ الفرص ، ومما يزيد الأمر تعقيداً أن يوجد أكثر من شخص واحد في مجتمع واحد يتميز بهذه السمة ، وحين خروجهم إلى المجتمع وخاصة داخل جماعة العمل تكون قد رسخت فيه هذه المكونات فينتهز الفرص كي ينافق ويداهن

ويستخدم الرياء حتى يتسلق دون وجه حق على أقرانه، إلا أن حالة شخص واحد لا تؤثر إنما لو تفشى الأمر وواجه المجتمع بآفات صراع المصالح وتعارض القيم في التطبيق، مع الأخذ في الأعتبار وجود آخرين يسمون فوق هذا ولا يتبعون نفس الاسلوب للاختلاف في تكوين الشخصية، إلا أنهم أمام طوفان هذه الآفات قد يفقدون الولاء وتضيع معاييرهم أو يغيبون في حضورهم عن المساهمة في تماسك المجتمع وتوازنه . . والاصل في تفشى مثل هذه الاصراض يعود إلى التكوين المدرسى وعدم جدوى الدور التربوى المحدد في محاربة الانتهازية والتسلق والنفاق وما إليها من الخصائص السلبية لشخصية الطفل وقتلها في مهدها .

ب) إن الجشع والطمع والانانية والحقد وما إليها من السمات السلبية للشخصية التى تنمو نتيجة فقدان المثل الاعلى وإعتماد المربى أبا كان أو معلما على أن يترك الامور تسير حسب هواها دون أن يضع فى حسبانه أى تخطيط من واقع ملاحظاته على جزئيات سلوك الفرد ليحررها من نطاقها المرضى هذا، أو يعامله إزاء بعض الاخطاء بالشدة والقسوة التى تؤتى ثماراً عكسية فى بعض الحالات ،ومن هنا قد يستمر فى سلوكه أو يجعلة يكمن حتى يظهر عندما تطلق يده في جماعته الإجتماعية وفي مجتمعه بعد أن يتحمل المسئولية ، فتكون أنانيته أو حقده أو طمعه سببا فى مشاكل تصيب المجتمع كالقتل والجريمة والإنحراف وغيرها .

ج) من السمات السلبية للشخصية أيضا اللامبالاة واللامعيارية والحزن والتواكل وما إليها من الخصائص التى إن لم تقابل فى بداية ظهورها بعوامل وقائية مضادة كالايضاح العملى والتجريبى بعدم جدواها أو الوضع فى مواقف يتضرر منها الفرد بسببها، فانها قد تكون عاملا جذريا في أمور مرضية كالانتحار

والادمان بأنواعه والطلاق،وغير ذلك من الامور التى لايحسب الفرد لها أى حساب وهو يفعلها ولا يضع نواتج أفعاله فى ميزان التقويم بالنسبة للمجتمع .

د) من الامور المسلم بها أن فاقد الشيء لا يعطيه ، فما بالنا بالمعلم الذى تميز شخصيته سمة أو خاصية سلبية ، فقد الإيجابية وبالتالى لن يستطيع تكوينها فى النشيء ، وعلى ذلك تنشأ مشكلة تتسبب فى عدد من مشاكل وتوترات المجتمع فى المستقبل ، ولذا يجب التركيز على أختيار المعلم وإنتقائه من واقع دراسته التربوية وأستجاباته المعملية إزاء الدوافع المختلفة ، والتعرف على مدى سلوكياته الناشئة من ثقافته التى أنشيء هو عليها ، أما الاكتفاء بشهاداته العلمية ووقوع الدور عليه فى التعيين مثلا او تدخل آفات أخرى كالمحسوبية والقرابة فى مثل هذه الامور قد يصل بالمجتمع إلى الحد الادنى من إيجابياته وإرتفاع مؤشر سلبياته إلى مدى يصعب معه المواجهه .

ه) إذا أخذ صراع النظم Institutions Conflict مداه وخاصة بين المدرسة والاسرة فان حيرة الطفل أو التلميذ بين المحددات الثقافية المختلفة والمتصارعة والتى يتعامل مع كلا نوعيها ، قد تدفع به إلى سمة سلبية من سمات الشخصية تكون بمثابة المميز له فى أفعاله وسلوكياته كالشكلية فى التعامل أرضاءاً لـكلا الجانبين أو الانطواء حتى لا يحتك بأيها او الحزن المستمر والخوف الدائم وما إلى ذلك .

٣ ـ تنشأ الخصائص السلبية للشخصية من تشابك عدد من العوامل المتفرقة التى تتعلق اما بأعضاء البناء الإجتماعى القائمين بالتنشئة الإجتماعية فى تفردهم أو تجمعهم ، واما بأعضاء نفس البناء المتلقين لتلك التنشئة ، او من واقع

العلاقات والقيم السائدة والمتصارعة أو غير المحددة أو التي دخلت عليها دخائل جعلت من قوتها ضعفاً ومن الامتثال لها تفرقا حولها . . وحتى يمكن التعرف على كافة أبعاد المشكلات التربوية المدرسية ، نعرض فيما يلى اجمالا لعوامل مثل هذه المشكلات من خلال البعدين الثقافى والاقتصادى .

أ) تركز التربية والتنشئة الإجتماعية على تلقين الجيل الجديد الثقافة التي يعمل من خلالها وعلي أساسها كافة أفرد وجماعات المجتمع ، ويعتبرونها الأساس في كل تفاعلاتهم الإجتماعية ، ويقوى مدى هـذا التلقين إذا كانت الثقافة محل إتفاق وموافقة أعضاء المجتمع ، مع الوضع فى الأعتبار أن تكون مكونات الثقافة أصلية ونابعة من ذات المجتمع وغـــير مصطنعة تحقيقا لأهداف خاصة ، أو وصولا لأيديولوجية مخالفة لما هو سائد فى المجتمع ، وأن تكون ايضا غير دخيلة كما يحدث في عمليات الانتشارالثقافى عن طريق وسائل الأعلام أو الاستعمار أو ما يسمى بالمبشرين أو سواهم . وهنا يمكن أن يكون الملقن أو القائم بالعملية التربوية راسخ العقيدة فيما يقوم به ، ويمكنه أن يساهم فى قتل خصائص الشخصية السلبية في الطفل أو التلميذ ، من خلال التصدى لها إذا ظهرت ، والعمل على عدم ظهورها من الأساس . وما دون ذلك يمكن أن يصل بالشخصية إلى اتسامها بالخصائص السلبية التي تؤدى بدورها إلى الأمراض والآفات الاجتماعية . فـــلو علمنا مثلا أن ثقافة معينة استطاعت أن تتغلغل وتنتشر فى مجتمع له ثقافة مغايرة تماما ، واخذ بالثقافة الدخيلة بعض أعضاء المجتمع تصادف أن يكون منهم من هو مناط به مسئولية تربوية – فى هذا المجتمع – من نوع أو من آخر ، نجح بدوره فى ان يتجمع إلى صفه عدداً من النشيء الجديد الذين انطبعت سمة السخرية على شخصيا تهم

من أولئك الذين يدعونهم بالتقليديين أو اصحاب الأفكار القديمة ووصفها بألفاظ تهكمية مختلفة ، واثر ذلك في المجتمع الذى تتصارع جماعاته وأفراده حول مبادىء راسخة في وظائف بنيان المجتمع وأخرى دخيلة تبغى القضاء على ما ثبت في الأذهان من ثقافة ، ونتيجة ذلك بطبيعة الحال التوتر فالتفكك ثم الوصول إلى حد المشكلة التي تقف حجر عثرة في سبيل مواصلة مسيرة المجتمع نحو غايته في التوازن والتماسك . وقس على ذلك ما يمكن أن تؤدى اليه مكونات الثقافة في تجمعها أو تفردها سواء كانت دخيلة أو مصطنعة

ب) تتدخل العوامل الاقتصادية التي تغير من وضع المجتمع إزدهاراً أو تخلفا في التحكم في السمات التي تميز الاشخاص ، خاصة إذا تحول طفرة اما إلى الترف الكبير أو الى الفقر بخطوات حتى المدقع منه ،وهذا التغير أو التحول يجعل النظر إلى بعض الامور السائدة في المجتمع نظرة إزدراء لو كان التحول إلى السفل من الاوضاع ، او نظرة تهكم وسخرية واستهتار بها إذا كان التحول إرتفاعا بالمستوى . وهكذا يسبب التغير الإقتصادى التام من مكونات الشخصية ويدفع بالقائمين بالعملية التربوية إلى تغيير أسلوبهم بما يلائم التغير الحادث ، ويؤدى بدوره الى تكوين سمات تتضارب مع الخصائص الأصلية النابعة من ثقافة المجتمع المتعارف عليها ، وهذا التضارب يؤدى اما إلى وصول السمة الى حد السلبية كالرياء والسخرية ولانتهازية . او الى حد اللامبالاة ، او الى حد الحزن أو التواكل أو غير ذلك ، مما يتسبب في تخلخل وظائف البنـــاء وتفشي التوترات الإجتماعية النابعة اساسا من تغيير اسلوب التنشئة والتعليم في المدرسة وقت التغير الى الافضل او إلى الاسوأ .

دور المدرسة فى الانضباط

تعتبر المدرسة أداة أساسية من أدوات الضبط الإجتماعى ، لما تقوم به من دور فعال فى تكوين شخصية الفرد ، وبث نزعة الجمعية فيه ، ومحاولة إخراج كل سلبيات يمكن أن تعلق به قبل أن يستفحل أمرها ، مع تلقينه للقيم والمعايير الإجتماعية الأصيله في المجتمع والتى تخدم هدف التماسك الإجتماعى ، إضافة إلى إعطائه الجرعات المقررة من المعارف والعلوم بما يخدم مسيرة المجتمع نحو التقدم والوقاية من السلبيات التى قد تنشأ نتيجة الجهل أو عدم مسايرة هذه المعارف التى تعتبر أساساً جوهرياً من أسس الحضارة فى كل الازمنة والأمكنة التى شملتها .. من هنا تؤدى المدرسة دوراً لاينكر فى السيطرة على البناء الإجتماعى فيها من النشىء ، وبالتالى على البناء الإجتماعى للجماعات الإجتماعية المختلفة والمجتمع ككل بعد ذلك من خلال وظيفتها المشار إليها ، فهى بهذا المعنى تؤدى دوراً إنضباطياً لكل السلوكيات من واقع الثواب والعقاب الذى يتضح ظاهريا في التقويم العلمى ، وله مظهر مستتر أيضاً فى تشجيع كل من يأتى بسلوك يدعم من قيم ومعايير المجتمع ونبذ كل من يخالف ذلك .

ويمكن أن تترجم هذه الأمور فى تعويد المدرسة النشىء على الاسلوب العلمى المخطط والمنظم فى مناشط الحياه المختلفة ، وتعويدهم على التفكير المستقل وإبداء الرأى الحر مع الثقة بالنفس ، يضاف إلى كل هذا التدريب المستمر على الادوار المناسبة لكل منهم طبقاً لقدراتهم ، وما الى ذلك من الواجبات المحددة لدور المدرسة فى الإنضباط والتى يمكن تبيان أبعادها فيما يلى :

١ ـ تقوم المدرسة أساساً بدور توجيهي أساسي يهدف الى الوصول بمجتمع المدرسة الى التماسك من جهة ، ومن جهة أخرى للوصول بالتلاميذ الى المرحلة السوية مع التركيز على أى من الشواذ للتخلص من العوائق التى جعلتهم هكذا ، وقد تكون هناك حالات تؤثر في هذين الهدفين ، كالطفل وحيد والديه مثلا والمتوقع أنه مدلل أكثر من اللازم ومتعود في أسرته على اجابة طلباته وأكثر منها دون معارضة ، وعندما يواجه بمجتمع المدرسة يجد الامر مختلف تماما وأن الكل سواء في تحقيق أو عدم تحقيق المطالب ، والمعيار الوحيد المطبق هو الجد والإجتهاد ، وخشية أن يؤدى مثل هذا المجتمع بعضوه ذى الظروف الخاصة تتدخل المدرسة من خلال بنائها التنظيمى كي توجهه بطرق تربوية لا تأتى بآثار سلبية . وثمة مثال آخر الطفل الذى يعتمد فى كل شيء على الآخرين حتى في حاجياته الخاصة لا يعطى فيها رأيا ، وقد يعود ذلك الى السيطرة الكاملة من والديه وعدم اتاحة الفرصة له فى ابداء الرأى ... وأمثلة أخرى كثيرة غير هذا وذاك تقوم المدرسة بدورها التوجيهي ازاءها حتى لا يقع الانسان فى الزلل مستقبلا ويكون عرضة لتوترات قد تؤثر فى المجتمع ككل ، فالطفل الوحيد الذى عرضنا حالته لو وقع فى أزمة معينة ووجد أن جل مطالبه عسيرة التحقيق ولو لفترة محددة فكيف ستكون استجابته ؟ وهل سيتأنى كي يخرج من أزمته ؟ أم انه سيلجأ لعملية الهروب ؟ والهروب هنا انواع اما الهروب من المشكلة ذاتها وتركها قائمة ، او الهروب من المجتمع او الجماعة المسئول عنها والمشكلة ايضاً قائمة ، او الهروب من الحياة كلها والمشكلة هنا تتفاقم .. ونفس الشيء يمكن ان يقال عن الذى لم يتعود الإعتماد على نفسه سيكون دائما فى احتياج للاخرين كي يتخذوا له القرار ، وغيرها من الحالات الأخرى التى تقــع على عاتق المدرسة اعباء

مواجهتها من بدايتها حتى لا تتراكم السلوكيات الشاذة وتؤتى ثمارها على المجتمع ككل من هؤلاء الأعضاء . وفى هذا يرى التربويون أن المدرسة توجه التلاميذ بصفة مستمرة حتى يتعودوا الاستقلال فى كل شىء ، الإستقلال فى إتخاذ القرارات حتى لو كانت نتائجها غير مضمونة ، فمن خلال الثقافة وخاصة المتعلق منها بالعقيدة يبنون فيهم عادة التأكد من إرضاء الضمير والثقة بالنفس وتحمل كافة النتائج بعد ذلك ، وبهذا يتكون جيل مستقل فى تفكيره على أساس من المعايير والقيم المتفق عليها والتى تدخل فى نطاق وظيفة المدرسة أيضاً وتلقن على أنها التراث والثقافة التى يعمل فيها المجتمع وتحدد كافة سلوكيات أعضائه وتضبط كل أفعالهم ، وقد تكون الوسيلة لذلك المشاركة الاجتماعية (١) .

٢ — ومن الابعاد السيكوسوسيولوجية التى تركز عليها المدرسة انطلاقا من مبدأ الثقة بالنفس كهدف لعمليتى التربية والتعليم ، ذلك البعد المتعلق بالتعرض من واقع جماعة المدرسة وبنائها الاجتماعى — كجماعة إجتماعية — إلى كافة القدرات والمميزات سلبية كانت أو إيجابية التى تظهر فى بعض أعضاء هذه الجماعة ، وتكون سبباً مباشراً فى القصور فى عملية التحصيل العلمى ،

---

١) المشاركة الإجتماعية Social Participation تعنى إشتراك أفراد المجتمع من خلال الفرصة المتكافئة لتقرير أمور حياتهم دون ضغط أو تسلط ، أو بقول آخر هى الإشتراك الطوعى فى الجماعات المختلفة رسمية كانت أو غير رسمية وخاصة ما يندرج دورها الاساسى على النشاط المجتمعى المحلى المحدود أو المشروعات المحلية أو ما إلى ذلك .

ومن ثم الشعور بالنقص تجاه الآخرين المتفوقين علميا أو فى الأنشطة المختلفة رياضية أو فنية أو أدبية أو ما اليها ، وتتدخل المدرسة لتعمل من خلال البرامج السيكولوجية المترابطة مع البرامج الاجتماعية ـ بمعنى العمل من الفرد من ناحية ، ومن خلاله داخل الجماعة من ناحية أخرى ـ على التعرف على قدرات النشيء المختلفة علمية ومدى استجاباتهم للانشطة المختلفة والعمل على نمو هذه القدرات لمن تبدو منهم بادرة طيبة ايجابيه أزاءها ، والعمل كذلك على تشجيع الآخرين كي تبدو قدراتهم التي قد تكون مستترة أو مشوهة التوجيه ، والتأني في اكتشاف مدى الاستعداد لمثل هذه الأمور . وفى هذا الصدد أيضا لا تغفل المدرسة ـ سواء للفرد أو للجماعة ـ اختلاف النشيء فى الذكاء ، والعمل على انمائه من خلال مجتمع المدرسة وعدم اشعار من هو دون أقرانه بسمته تلك ، ومحاولة الوصول به إلى المرحلة التى يجاريهم فيها .. وتقوم أيضا بتدريب النشيء على عدم استعمال السمات الذكائية فيما لا يفيد أو فيما يعتبر توترا أو مرضا أو آفة اجتماعية فيما بعد ، كما تواجه التسلط بالتدريب المستمر على المرونة فى أداء الأدوار وخاصة الأدوار القيادية سواء فى الفرق العلمية فى المعامل والمكتبات أو فى برامج أوئل الطلبة ، أو فى فرق الانشطة الرياضية والاجتماعية ، مع التركيز فى هذا المجال على اللامركزية في التنفيذ حتى لا يعمق الجيل الجديد من المشاكل المصاحبة للنظام البيروقراطي فيما بعد ، وهذا يعود النشيء على التعاون ونبذ الصراعات سواء فى المراكز أو الادوار التى تسبب توترات فى الوظائف الإجتماعية لمختلف البناءات بما يعود بأثاره على المجتمع ككل وتماسكه وتوازنه وتوافق أفراده .

٣ ـ من أهم المبادىء التي تنادى بها المجتمعات الحديثة بعد التخصص

المشكلات المدرسية

تقوم المدرسة – كما سبق وأوضحنا – بدور أساسي وفعال في عملية التربية أو التنشئة الاجتماعية بما ينمي من شخصية الطفل أو التلميذ تجاه الايجابيات من الخصائص دون السلبيات التي تقتل ويتم القضاء عليها قبل أن تولد ، وبما يجعله منضبطا اجتماعيا ازاء متزاماته بالثقافة السائده ووقوفه أمام التوترات التي تحد من تماسك المجتمع .. إلا أن هناك أمورا تتشابك وتتساند بما يؤدي إلى نتيجة تعكس الهدف الذي تسعى إليه المدرسة من قيامها بعملية التربية ، وقبل أن يستفحل الامر وتصل الحالة بتوترها إلى المجتمع وتصبح السيطرة عليها صعبة ومجهدة ، لابد أن نتعمق داخل أغوار مجتمع المدرسة نفسه كي نتعرف على ما به من أمراض اجتماعية ومشكلات تصيب أعضاء البناء الاجتماعي وتؤثر في وظائفه ، ولعل أوضح شقين يتكون منهما هذا البناء هما المنشيء والمنشأ ، أي المعلم والتلميذ ، وكلاهما عضو في المجتمع الكبير يتأثر به ويحمل ثقافته – ايجابية أو سلبية – إلى داخل المجتمع الصغير (المدرسة) ، وسنهتم هنا بالتلميذ ومشكلاته كتلميذ مبتديء بالمدرسة أو كتلميذ منحرف أو مستهدف للانحراف أو جماعات التلاميذ وعلاقاتهم ببعضهم . ثم نتطرق إلى المدرس أو المعلم وعلاقته بالتلاميذ ومشاكل المدرسين أما من حيث كون المدرس حديث العهد بالتدريس أو من خلال حياته خارج المدرسه أو من واقع علاقة جماعة التدريس بعضهم ببعض ، ثم نتعرض لعلاقة التلميذ بالمدرس تأثيرا وتأثرا ، ونعقد مقارنة بين الأسرة والمدرسة لنتعرف على أبعاد مشكلة الصراع النظم فيما بينهما ، ثم نعرج على مشاكل طرق التدريس والمشكلات المتعلقة

بالأنشطة والهوايات وما إليها ، بما يستبين أمره وتنجلى أبعاده الإجتماعية من خلال العرض التالى :

١ - إن أول وأهم المشكلات المدرسية مشكلة التلميذ المبتدىء أو الطفل الذى يدخل المدرسة لأول مرة ، فقد يتأقلم من أول وهلة وتسير الأمور طبيعية إلا أن الاغلب أن الطفل يبذل مقاومة أمام تغيير روتين حياته الذى تعوده خلال سنوات حياته الأولى منذ مولده وحتى وصوله لسن دخول المدرسة ، خاصة وقد بدأ نظاما جديدا أن يستيقظ في موعد محدد وأن يذهب إلى مكان آخر غير منزله فيه أشخاص آخرون غير أبيه وأمه وأخوته ، ومبعث مقاومته أنه سيبقى لفترة عدة ساعات بعيداً عن من تعود أن يبقى معهم طوال الوقت ، ثم إنه يجلس مع مجموعـــة ممن هم فى سنه أمام شخص غريب يتولى توجيه معلومات يطلب منهم التعرف عليها وتكرارها وتحصيلها لأنها ستكون موضع مساءلة فى يوم من الأيام .. وإذا لم يجد الطفل فى معلمه القدرة التى تغنيه عن أبيه وأمه قد يلجأ إلى وسائل معينة حتى يعود إلى حياته السابقة ، يتمارض أو يأتى بسلوكيات لا تليق أو تحدث له حالات سيكولوجية لاإرادية كالتبول اللا إرادى ، أو يدخل فى دور المشاكسة مع زملائه أو غير ذلك مما يسبب توتراً إذا لم يواجه بقى معه ورسخ فى شخصيته كأسلوب حياة .

٢ - لا يخلو مجتمع من أفراد يحيدون عن متطلبات ثقافته وأخلاقياته ، وينحرفون بأفعالهم عن الطريق السوى الذى يلتزم به أفراده ، ومجتمع المدرسة - كأحد هـــذه المجتمعات - يجمع في بنائه الاجتماعى من مروا من المرحلة الأولى لدخول هذا المجتمع ولكنهم يقفون بسلوكياتهم بما لا يتواءم مع أهدافه ، وقد يكون لانحراف التلاميذ داخل المدرسة أسباب مباشرة أو غير

مباشرة، من داخل المدرسة أو من خارجها ، فى المدارس الإلزامية مثلا التى تتبع الطريقة الشمولية الأولى فى التعليم قد يجد الطفل نفسه أمام مسئولية هو غير أهل لها ، ومن يحملونه هذه المسئولية ـ المتمثلة فى التحصيل والمذاكرة وأداء الإختبارات بنجاح ـ يخرجون عن الخط التربوى السليم فيسيئون المعاملة أو يعتمدون على الصفوة من التلاميذ الذين يتمتعون بدرجة عالية نسبية من الذكاء ويفهمون من أول مرة فيستمرون في الشرح والدرس دون مبالاة بالآخرين . أو يعطون المعلومات بسطحية معينة دون إيضاح ويتركون باقي المهمة على المنزل الذى تقف أعباء أهله أودرجة تعليمهم حجر عثرة في سبيل القيام بهذه المهمة . . وقد يعود السبب لوجود أطفال آخرين أصابهم الانحراف وينجحون في جر الآخرين إلى نفس سلوكياتهم . أما فى المدارس التى يتعدد فيها التخصص كالمرحلة التعليمية المتوسطة من مدارس ثانوية عامة ومدارس ثانوية فنية تجارية أو صناعية أو زراعية أو غيرها أو معاهد متوسطة من نوع أو من آخر ، فان العقبة ـ إضافة إلى العقبات الموضحة ـ تتمثل فى التوجيه الخطأ نحو نوعية التعليم والإجبار على إدخال التلميذ تخصص دون آخر لعوامل معينة كالتقليد أو المكانة أو رغبه الاهل أو ما إلى ذلك ، فى الوقت الذى تكون فيه النوعية أو التخصص غير ملاءم إطلاقا لتكوين التلميذ الذهنى أو الجسدى ، فيقع إزاء ذلك فريسة الضياع وعدم الإمتثال لعملية التعلم وبالتالى لعملية التربية أو التنشئة ككل ، ممـا يمكن أن يكون من الاسباب التي تجعل الطفل أو التلميذ يولى وجهه شطر بدائل عن العملية التعليميه فيهرب مرة ويتصنع المرض مرة أخرى ويتشاجر أو يسرق أو يأتى بأفعال منافية للأخلاقيات مع زملائه ومربيه مرات ومرات ، وإذا إستمر قد يفشل ويكون مصيره الجهل والضياع بين أعضاء

المجتمع .. وقد تعود أسباب الانحراف عن الهدف التربوى والتعليمى الى عوامل خارج المدرسة كالخلافات المستمرة فى نطاق أسرته خاصة بين الاب والام والشجار الدائم بينهما وأمام أولادهما مما يؤدى إلى إنطواء الطفل أو تكوينه فكرة عن الحياة الممثل لها ذلك الاب وتلك الام على أنها هكذا فيفقد الهدف الطموحى لاتمام مسيرتها ، أو قد تعود إلى ضيق مساحة المسكن وكثرة عدد أفراد الاسرة من الاخوة والاخوات وعدم وجود المكان المناسب للاستذكار ، او قد تعود الى المعاملة القاسية التسلطية التي يلقاها من الاب او من الام حين يأمره احدهما بالمذاكرة فيتصنع ذلك دون ان يقوم به ، وغير ذلك مما يحدث في نطاق الاسرة ويكون عاملا قويا فى فشل الطفل علميا والتجائه إلى اساليب تعوضه عما يجده داخل جدران الاقامة فى اسرته حيث يقع الانحراف ... وقد يعود انحراف الطفل إلى اسباب غير مباشرة كالمرض المزمن او الذكاء المحدود أو العقاب على الفشل لأول مرة او الامراض النفسية المتدرجة من البسيط الى المركب او اللفظ من الجماعة والتهكم والاستهجان منه لسبب او لآخر او غير ذلك .. وانحراف الطفل فى كل هذه الحالات يتمثل فى عصيانه عن التعلم وسيره في طريق الفشل والتعلق بأمور ترفيهية او لهو ولعب ، ثم تندرج الى بعض التوترات كمحاولات النصب والسرقة وقد تصل الى القتل وصولا الى ما ينافى الاخلاق العامة والثقافة السائدة .

٣ ــ تتحدد ابعاد التفاعل الاجتماعى داخل مجتمع المدرسة من واقع العلاقات الايجابية والسلبية القائمة بين اعضاء البناء الاجتماعى المدرسى وخاصة من التلاميذ ، واذا كانت مؤشرات العلاقة فى ايه جماعة اجتماعية او مجتمع تختلف ما بين الرابطة القوية المعبر عنها بالعلاقة الممتازة ، والرابطة العادية

التى يجارى فيها اطراف العلاقة الرسميات المحددة لوظائف البناء ، والرابطة السيئة التى تهبط بالعلاقة الى حد الصراع ومحاولة التباعد الإجتماعى بما يؤثر سلباً فى البناء ووظائفه ، فان مجتمع المدرسة يجمع فى داخله براعم هى مجمل مكونات البناء الاجتماعى للمجتمع العام فى المستقبل ، وتنشأ داخل هذا المجتمع علاقات متعددة قد تكون نشأتها لاول مرة ، ومن هنا يكون الجانب السلبي فى مثل هذه العلاقات راجع إلى عدم التوجيه السليم لتكوين العلاقات غير الرسمية كجماعات اللعب والصداقة والمذاكرة وما اليها ، وقد يحمل التلميذ معه رواسب اسرته التي يعيش افرادها في شقاق ، او يحاول ان يكون كأبيه متسلطا مثلا ، فيندرج ذلك بالتالى على العلاقات المشار اليها وتقوم المناوشات والمشاكسات وتشتد اما لتنافس حول امر معين او التعاون ضد مسئولى المدرسة ومدرسيها ، وقد تقوم العلاقة لهدف غير ايجابي كالهروب او الوقوف ضد مدرس معين او التخريب حتى يتحقق هدف او آخر .. واكثر ما تواجه المدرسة من علاقات سلبية سواء فى واقعها التفككى اوفى تعاونها بغية توتر معين ، ما يحدث في مرحلة المراهقة التي تتميز بطاقة جديدة قوية تبغى الاشباع ، فاذا لم تواجه بالتوجيه والارشاد ادت مثل هذه العلاقات الى امراض اجتماعية خطيرة .

٤ – اذا كانت مشكلة التلميذ المبتدىء يمكن السيطرة على أبعادها من واقع ما كان يعيش فيه الطفل بين أسرته ، وما جد عليه لزاما واجباراً من العيش بين نظامى المدرسة والاسرة ، فان مشكلة المدرس المبتدىء يمكن أن تغلغل داخل مجتمع المدرسة مع الصعوبة الواضحة فى عـــدم السيطرة على أبعادها ، فللمرة الاولى فى حياته يقف ليؤدى دوراً تعليميا تربويا فى آن

واحد ، ومهما كانت مؤهلاته ودوراته التدريبية فانه يحمل معه ثقافة معينة جبل عليها من واقع الجماعات الإجتماعية التي ينتمى إليها أصلا ، وقد تكون هذة الثقافة أضافة إلى سمة الشخصية التي تميزه عن غيره تجعله غير مرن المعاملة مع من هم أصغر منه شدة أو ضعفا ، وفي كلا الحالين يسبب مشكلات تندرج على النشيء الذين يقوم بتعليمهم وتندرج عليه هو أيضا ، فاذا كانت معاملته تتسم بالشدة والقسوة كان هذا مدعاة لخوف التلاميذ منه وهروبهم من حصته وأضعاف درجة انتمائهم للمدرسة كدار للعلم ، أضافة الى الصعوبة في الوصول إلى المباديء التربوية التي يساهم في غرسها فيهم لغلظته واطاعته خوفا وليس أقناعا ، ونفس الشيء يمكن أن يقال إذا كانت شخصيته تتسم بالضعف زيادة على اللامبالاة في علاقتهم به والتهاون في حصته ومعلوماته والفرصة المتاحة للاطفال المشاكسين أو المستهدفين اياها أن يأتوا معه بأفعال تهكمية تؤتى ثماراً سلبية على البناء ككل . فاذا أضيف إلى ذلك المؤثرات الخارجية التي تجعل مثل هذا المدرس غير مؤمن بالثقافة السائدة أو ببعض فرعياتها ، وعـــدم اقتناعه بالدور المسند اليه كمعلم ومربى ، والتكوين التربوى غير السليم لمثل هذا المعلم ، والأمراض العضوية والنفسية التي لا تتلاءم مع دوره المناط به ، يمكن التعرف على مشكلات المدرس المبتديء ومدى تأثيرها في مجتمع المدرسة .

٥ ــ تقوم العمليتان العلمية والتربوية على كاهل أعضاء البناء الاجتماعى لمجتمع المدرسة من الإدارة المدرسية والمدرسين ، بأعتبارهم الموجهين والملقنين لكليهما ، وتعتبر العلاقة بين المدرسين من الأسس الهامة التى تقع في منزلة المثل الأعلى بالنسبة للشق الثانى من أعضاء البناء الإجتماعي لهـــذا المجتمع وهم التلاميذ ، فالتفاعل المتبادل بين المدرسين يكون محل ملاحظة التلاميذ بحيث

يمكنهم من وضع عدة توقعات إجتماعية ثابتة قد تتسم بالإيجابية إذا وجدوا في هذا التفاعل ما يحدد المثل المرتجى ، إلا أن هذا التفاعل قد يكون مشوبا ببعض السلبيات مما يجعل التوقعات المشار اليها تتحدد على هذا الأساس وترسخ السلبيات بين التلاميذ وقد يتعاملون على هديها ، ومن هنا تتكون المشكلات الناجمة عن هذا التفاعل أو العلاقة بين المدرسين مؤدية بدورها إلى ذات المشكلات أو أعمق منها في علاقات النشىء مع كل من يتبادلون معهم تفاعلات من نوع أو آخر . ولعل أهم سلبيات هذا التفاعل المتبادل بين المدرسين تتمثل في :

أ) محاولة المدرسين القدامى السيطرة على المدرسين المبتدئين وأشعارهم بالقصور وأنهم أفضل منهم ، مما يجعل التفاعل مشوبا بالتعالى الذى يصل الى حد التهكم والاستهزاء والاستهتار بمن هم دونهم فى الخبرة والعمل ، وقد يصل الأمر الى حد أن يظهر هذا في حوار هؤلاء القدامى مع تلاميذهم تأكيداً على أنهم هم الأقدر على توصيل المادة العلمية والأصول التربوية ، ويؤدى ذلك الى تنافر بين المدرسين قديمهم وحديثهم يؤدى بدوره الى مشكلات يخشى من اندلاعها بين التلاميذ .

ب) تختلف أدوار المدرسين حسب مؤهلاتهم وخبراتهم وأوضاعهم الوظيفية ، وبالتالى فان المتقاربين منهم فى هذه التحديدات ينشأ بينهم صراع لتولى الأدوار القيادية فى التدريس كمدرسين أوائل أو موجهين أو ما الى ذلك ، وتكون مظاهر هذا الصراع التشابك بالألفاظ حول أمور قد تكون تافهة في مظاهرها ولكنها عميقة التأثير في جوهرها أو النفاق للمسئولين ونقل صورة سيئة عن الزملاء وسلوكياتهم بما يؤدى حالة معرفة الطرف أو

الأطراف الأخرى به الى توترات تسود جماعة المدرسين ، أو ما الى ذلك من السلوكيات المحددة بطريقة مباشرة أو غير مباشرة للتفاعل السالبي المتبادل أو العلاقة السيئة التى تحدد هذا التفاعل .

جـ) قد يكون منشأ التوترات والمشكلات فى العلاقة بين المدرسين من واقع الثقافة المختلفة لهم ودخولهم فى صراع يدعم كل منهم وجهة نظره ازاءها، وخاصة لو شمل الأمر ايديولوجية معينية يؤدى الاختلاف حول الإيمان بها الى العلاقة السيئة المحددة ـ فى هذا الصدد ـ للتفاعل المتبادل بينهم .

د) تظهر أبعاد العلاقة السيئة داخل مجتمع المدرسة بين المدرسين اذا كان هناك هدف معين يحاولون الوصول اليه وهم يعلمون أن تحقيقه لبعضهم وليس للكل كمنصب معين أو ترقية أو مكسب مالى معين كمكافأة أو علاوة أو غير ذلك ، مما يجعل التنافس بين الأفراد الذين يمكن لهم تحقيق ذلك الهدف ، وقد يصل التنافس الى أوجه سلبيا اذا تدخلت المهاترات والتشهير ومحاولة ايقاع الاخرين فى مآزق مهنية حتى لا يحقق الهدف ويصلون هم اليه، فتنشأ المشكلة .

٦ ـ قد لا يكون السبب فى المدرس المشكل نابعا من داخل مجتمع المدرسة ، وانما مظاهر التوتر والمشكلة يحملها معه الى ذلك المجتمع ، وجذور ذلك تكون خارج المدرسة من واقع الجماعات الإجتماعية الأخرى التى ينتمى اليها ، فقد تكون المشكلة عائلية كالخلافات بين الزوجين والتوتر الدائم بينهما، أو يكون الأبناء هم سبب الانشغال فتندرج المشكلة على العمل ، أو يكون فى ضائقة مالية مثلا أو واقعا تحت نير مشكلة عامة كالاسكان أو المواصلات

أو ما اليها ، أو يكون حاملا فى لا شعوره بعض العقد السيكولوجية فتنتقل الى مشكلات شعورية في مجتمع المدرسة ، وعموما تكون حياته أو أحـــد جوانبها هو البسب في جعله مشكلا غير صافي الذهن مع تلاميذه وغير حسن النية مع زملائه وبالتالى غير أمين على العملية العلمية والتربوية المناط به القيام بها ، فيتسبب في أمور تكون مدعاة لخلخلة وظائف بناء مجتمع المدرسة .

٧ - أن حصر العلاقات السيئة الناجمة عن التفاعل السلبي بين أعضاء البناء الإجتماعي فى مجتمع المدرسة لا يقف عند حد تلك العلاقة السلبية القائمة بين التلاميذ بعضهم وبعض ، والأخرى القائمة بين المدرسين ، بل يمكن استكماله بالعلاقة بين التلميذ والمدرس والتي تقف فيها الثقافة ومحددات الشخصية كأبعاد أساسية لوصولها لمثل هذه الدرجة المتوترة ، وعلى أى الأحوال فانه يمكن ايضاح تلك الأبعاد من واقـــع مشكلات هذا النوع من العلاقات فيما يلى :

أ) أن المنطلق الأساسى فى بحث الأمور الإجتماعية في مجتمع المدرسة يتحدد من قيام المدرس بدورى المعلم والمربى، الا أن عوامل معينة قد تتدخل فيهمل المدرس بعض أعضاء الجماعة من التلاميذ الموجودين أمامه في الفصل المدرسى ، كذلك التلميذ الهادىء المنطوى الذى لا يشارك فى آية مناقشات ويفضل الجلوس وحيداً أو نهاية الصفوف ، ولا يلاحظه المدرس بل يكون شبه مجهول له ومع مرور الوقت تثبت تلك السمة فى التلميذ فتنتقل معه الى حياته العامة ممـا يسبب توترات من نوع أو آخر فى مسيرة المجتمـع نحو التوازن والتماسك ، ويكون عضواً سلبيا فى المشاركة أو فى إتخاذ القرارات التي تؤثر فى وظائف البناء كـكل .

ب) وعلى النقيض من ذلك تماما التلميذ المشاكس الشرس الذى لا يجد المدرس بدأً من ردعه إلا بالطرد أو بالاهمال والتجاهل ، وكلها عوامل تؤدى إلى الأمراض الإجتماعية التي تتفشى نتيجة الفشل الذى قد يصيب مثل هـذا التلميذ، أو لجوئه إلى أظهار سمته في أماكن أخرى غير المدرسة فتكون السرقة والنشل والبغاء وما إليها من مشكلات تتطلب العمل على قتل أسبابها فى مهدها وقاية للمجتمع من الشرور والآثام التي تندرج عنها .

جـ) قد يقف المدرس سلبيا أمام الشكاوى التي توجه إليه من التلاميذ من بعضهم البعض ، وقد يحابى دائما وعلى طولى الخط جانبا دون الآخر ، وفى هذا أيضا مدعاة لتعميق الهوة بين التلاميذ وتأهب كل منهم بالآخر ، فاذا انتقل هذا البناء وتوزع على مناشط المجتمع المختلفة كان مشكلة لشعوره أما بعدم جدوى سلطة الضبط أو بالمحسوبية فى أدائه ، وفى هـــذه الحالة غالبا ما تقع الاختلاسات أو المؤامرات بين أعضاء البناء الواحد او عـــدم الثقة بالمسئولين وبالتالى اللامبالاة فى تنفيذ قراراتهم ، ممـا يعيق حركة وخطط المجتمع نحو التنمية والتقدم .

د) من المدرسين من يعتبر نفسه فى كل مكان شرفي لا يتطلب منه سوى الحضور بضع ساعات والقاء بعض العبارات التي تغطى منهجه ، دونما نظر الى العملية التربوية كـكل ، فلا يبالى بأية مسئولية عليه تجاه التلاميذ ومشكلاتهم وتكوينهم وانشطتهم وتعويدهم على الإنتماء وما إلى ذلك ، مما يكون عقبة فى سبيل التكوين الثقافى الذى يخشى أن يتلقاه التلميذ من خارج مجتمع المدرسة بما لا يتماشى مع اهداف المجتمع فتحدث المشاكل وتزداد التوترات .

هـ) والمدرس الشرير أيضا هو فى حد ذاته مشكل داخل مجتمع المدرسة،

ذ يستخدم الإرهاب بصفة مستمرة و يمسك عصاة جيئة وذهابا ، ولا مانع عنده من استخدامها كلما حانت له الفرصة لذلك ، اذا حادث تلميذ زميله ، أو اذا أخطأ آخر في اجابة سؤال ، أو غـــير ذلك مما يولد الرعب فى صفوف التلاميذ ويختلقون البدائل للاعتراض علي مثل هذا المسلك كالتبول اللارادى أو التمارض أو استهداف الفشل، وغيرها من المشاكل التى تهدد بصفة مستمرة مجتمع المدرسة .

و) قد يغفل المدرس الجانب التوجيهى فى حياة التلميذ وخاصة أوقات فراغه داخـل العام الدراسى أو أثناء العطـلات ، مما يجعل التـلاميذ عرضة للتسكع والتسول وأصدار سلوكيات منافية للاداب ، أو التجمع حول موبقات أو آثام محرمة ، أو الذهاب الى اماكن مشبوهة ، أو غير ذلك مما يكون في حد ذاته توتراً اذا تفشى أصاب المجتمع كله بالتفكك والاختلال.

ز) كذلك قد لا يشجع المدرس تلاميذه على الإنتماء اليه والثقة فيه ، فلا يلجأون اليه حتى في أمورهم التعليمية ، مع الوضع فى الأعتبار أن لكل منهم أموره ومشاكله الخاصة التي لا يجرؤ أن يبوح بها الا لمن يتمتع بدرجة عالية من ثقته ، فاذا لم يجد الاطمئنان لمدرسه ومعلمه ومربيه ، قد يلجأ الى صحبة السوء الذين يرشدونه الى الحلول الشاذة والمسببة لمشاكل قد يصعب بعد ذلك مواجهتها .

٨ـان العلاقة السلبية بين الاسرة والمدرسة تسبب ـ كما سبق وأوضحنا ـ صراعا في النظم يؤثر فى عضو النظامين (التلميذ) بحيث يجعله اما محابيا للاسرة أكثر من المدرسة وفي هذه الحالة يعامل وظيفة المدرسة التعليمية والتربوية

بالرفض والفشل ، أو يتخذ جانب المدرسة فيكون عاقا في أسرته التي نشأ فيها وغير باق على أسرته التى سينشئها مستقبلا ، أو يقع فريسة التخبط بين النظامين فتصيبه اللامعيارية . . وفى كل الحالات يتأثر المجتمع وتعتريه التوترات ويصاب تماسكه بالتصدع وتوازنه بالانفلات .

٩ ــ من المشكلات المدرسية الهامة مشكلة طرق التدريس ، فمن المعلوم أن العصر الحديث شهد تقدما ملحوظا في الوسائل التعليمية وطرق التديس سواء باللوحات الايضاحية أو التليفزيون أو الفانوس السحرى او ما إليها من الطرق التي قد يجد المدرس فيها اجهاداً او يعتبر نفسه مثالا لم يتلق علمه بهذه الطرق ونجح فيحجم عن استخدامها ، او تستخدم بطرق خاطئة ، او تكون الأمكانية في توفيرها شبه معدومة . . هذا من جهة ، ومن جهة اخرى قد يستخدمها البعض ويعودن عليها تلاميذهم ، ولا يستخدمها البعض الآخر كلية او بنفس الدرجة من الكفاءة . . وسواء كان هـذا او ذلك فان مثل هـذه المشكلة يمكن إدراجها ضمن المشكلات التربوية التي تواجه مجتمع المدرسة ، وقد تؤدى إلى عواقب لاتجعل التلميذ يلم بتحصيل مادته كما يجب ان يكون، وتقل كفاءته العلمية ، فتكون الكوادر المتخرجة ضعيفة المستوى ولا تساهم في تقدم المجتمع .

١٠ ــ لا تقف المدرسة عند حد التعليم والتربية بل تتعدى ذلك إلى تنمية قدارات التلميذ الذهنية والعملية عن طريق الأنشطة الأدبية والفنية والرياضية والإجتماعية ، واى قصور في هذه الأنشطة يجعل التلميذ يلجأ إلى وسائل اخرى لاخراج طاقته الكامنة وراء قدرات معينة غير مكتشفة ، وإذا كانت المشكلة فى نوعية الوسيلة المستخدمة ، فانها ايضا تتفاقم بفقد عنصر قد يكون مبتكراً ونابغة فى مجال من مجالات المجتمع المختلفة بما يساهم مع

الباب الثالث

علاج المشكلات والوقاية منها

إذا كان المنهج الذى سار عليه هذا الكتاب قد بدأ بعرض العامة الإجتماعية للمشكلات من خلال أهم النظريات والآراء المستمد أغلبها من واقع المجتمع - أيا كان نمطه - ومركزاً على الزوايا والأركان التي تنطلق منها العوامل العليــــة فى المشكلات الإجتماعية ، ثم تطرق لتشخيص نوعيات هذه المشكلات من واقع حصر الأسباب التي تؤدى إلى كل منهـا بالتركيز عموما على المشكلات الإجتماعية وبصفة الخصوص على المشكلات التربوية داخل أهم المجتمعات والجماعات الاجتماعية التي تدخل الوظيفة الاجتماعية التربوية فى أساسيات أدوارها . إذا كان ذلك كذلك ، فان إستعراض الأبعاد السوسيولوجية للمشكلات الاجتماعية والتربوية - وهى لب هذا الكتاب - يتطلب الإستكمال بوضع الأسس الكفيلة بالقضاء على هذه المشكلات فى حال وجودها ، ومحاولة الحد من تفشى ظهور العوامل المؤدية إليها حتى لا تظهر فى حال إنعدامها أو كمونها ، ومن هنا كان هذا الباب متمما للغرض الأساسى من كتاب « المشكلات الاجتماعية والتربوية » الراهن ، إذ يهتم فى جوهره بجانبي الوقاية والعلاج شريطة إستكمال الخريطة السوسيولوجية للمجتمع - أيا كان بالدراسات المعتمدة على الاسلوبين التصورى والامبريقى وصفـــا وتحليلا وتفسيراً ومقـارنة حتى يمكن الالمـام بشتى المتغيرات المستقلة

التي يمكن أن تؤدى إلى متغير تابع يقع في مجال المشكلات إجتماعية كانت أو تربوية .

وقد يكون من المناسب في هذا الصدد أن يترجم هذان الجانبان من خلال الضبط الاجتماعي حيال أية سلبيات قد تقع ، والإنضباط الإجتماعى حيال السلوكيات والأفعال في حال خروجها عن الخط السوى ، وهذا أول ما يهتم بإيضاحه هذا الباب في فصل كامل يبدأ بتوضيح أهداب البعد التعريفى للضبط والإنضباط الإجتماعيين ، ثم بربط سوسيولوجيا بين الضبط الإجتماعي من جهة وبين الثقافة كضروريات لإشباع كافة الحاجات المادية واللامادية من خلال كل من النمط الثقافى والتنوع الثقافى من جهة أخرى . ثم نقوم بمحاولة حصر مصادر الضبط الإجتماعي فى شقيهـــا الأساسيين التربية والتنشئة الإجتماعية والمعايير الإجتماعية . ونستعرض بعد ذلك نمطى الضبط الاجتماعى فى صورتها الرسمية وغير الرسمية ومن صورتى الضبط الاجتماعى الايجابى والسلبي داخل النمطين فى صورتها الأساسية . ونستوضح أهـــداف الضبط الاجتماعى ، وأخـيراً وسائل الضبط الاجتماعي والمتمثلة فى الاسـرة والمدرسة والنواحي الأمنية والدين والاعلام .

ولن تكون ترجمة جانبي الوقاية والعلاج كاملة من استعراض تصورى لتجريدات الضبط الاجتماعى وحسب بل يلزم التركيز على وسائله بالتفصيل ليستبين دورها فى الجانبين المشار اليهما ، وقد تخيرنا الاعلام كوسيلة ضبط وانضباط باعتباره أحد أهم المحكات الأساسية فى عالم اليـوم ، فنعرض

لتحليل سوسيولوجى للاعلام كعملية اجتماعية من خلال مفهوم الاعلام ووظائفه الاساسية ، مع نظرة تاريخية تبين تطور وأهمية الاعلام ، ثم نعرج على أنماط ووسائل الاعلام ، وأخيراً نوضح أبعاد الاعلام باعتباره عملية دينامية لا تخضع للثبات .

الفصل السابع

الضبط والانضباط

(وقايه وعلاج)

مقـــدمة

البعد التعريفى

الضبط الاجتماعى والثقافة — النمط الثقافى
— التنوع الثقافى

مصادر الضبط الاجتماعى — التربية والتنشئة الاجتماعية
— المعايير الاجتماعية

أنماط الضبط الاجتماعى — ضبط اجتماعى رسمى
— ضبط اجتماعى غير رسمى

أهداف الضبط الاجتماعى

وسائل الضبط الاجتماعى — الأســـرة
— المدرســـة
— الأمن
— الدين
— الاعـــلام

الفصل السابع

الضبط والانضباط

(وقاية وعلاج)

يسعى المجتمع - أى مجتمع - إلى الوصول إلى مرحلة انتظامات التفاعل التى تحظى بالقبول والموافقة من جانب أعضائه ومكوناته المختلفة أفراداً وجماعات ، أو التي يفترض أن تكون وظيفية للأبنية المشكلة لهيكله العام ، أما العمليات التي لا تحظى بهذه الميزة وغير الوظيفية في نفس الوقت فهى علامات صريحة على التوتر والتفكك الاجتماعى ، لذلك يجب وضع مجموعة الأدوات الضبطية التي بامكانها السيطرة على مجريات الأمور لوضع حد يمنع أو يساعد على منع ظهور مثل هذه العلامات ، وأيضا يمكنها الضرب بيد من حديد من خلال القواعد المعيارية المحددة لعقاب من يساهم فى إظهارها .

ولقد اهتم علم الاجتماع من خلال فروعه التي تدرس المجتمعات والجماعات الاجتماعية المختلفة بموضوع الضبط الاجتماعي بشقيه الوقائى والعلاجى ، وحاول من خلال الدراسات والأبحاث الأمبريقية والتصورات النظرية المختلفة أن يصل إلى الأبعاد السوسيولوجية والأطر النظرية المبرهن على فرضياتها الموضوعة أو المعدلة ، المحددة لمدى التوازن والتوافق بشقيها السلبي والإيجابى ، وذلك من خلال عدة أمور نسعى فى هذا الفصل لسبر أغوارها .

وقد روعى أن يبدأ العرض بايضاح الترابط الضرورى بين أبعاد الضبط الإجتماعى بشقيه وبين الثقافة بكافة عناصرها ، على أن يتحدد بعد ذلك مصادر وأصول نشأة الضبط الاجتماعى والمحددة فى التربية أو التنشئة

الاجتماعية والمعايير الإجتماعية ، والأنماط المختلفة للضبط من الناحيتين السلبية رسمية كانت أو غير رسمية والناحية الإيجابية ، ثم الوسائل التي تستخدم تلك الأنماط في أسلوب حياتها كالأسرة والمدرسة أو المعهد التعليمي والقضاء ووسائل الإتصال الجماهيري والقائمين على شئون الدين ، وأخيراً الأهداف التي يسعى الضبط الإجتماعي إلى تحقيقها من إلزام واجبار جماعي يشمل أعضاء المجتمع وتدعيم للقيم الاجتماعية السائدة والإمتثال للمعايير الإجتماعية الموضوعة .

البعد التعريفي (١) :

إستخدم علماء الإجتماع مصطلح الضبط الإجتماعي Social Control منذ فترة قصيرة تتعدى نصف القرن بقليل : فلم يكن هناك داع للاهتمام بمثل هذا الأمر في المجتمعات البدائية في فجر الزمان إذ كانت الأمور عرفية ومحددة والسيطرة كاملة من زعماء القبائل وأعوانهم ، ثم من الحراس والجند في المراحل التالية . حتى توسعت البشرية وانفسخ العقل البشري عن أفكار أدت

---

١) أنظر :

– د: محمد عاطف غيث ، المشاكل الاجتماعية والسلوك الانحرافي ، مرجع سابق .

– د. عبد الله الخريجي ، الضبط الاجتماعي ، رامتان ، جدة ، ١٩٨٢

– L pier, R. T. , A Theory of Social Control, New York, 1954.

– Ogburn, W. & Nimkoff, A Handbooh of Sociology, London, 1960.

إلى تعقد النظم السائدة مما استحال معه السيطرة بالأعراف وحدها فظهرت التوترات ووجه الاتفاق بالرفض وأصبح العقل قادرا أن ينطق الفكرة ونقيضها ، فكان ذلك مدعاة للمجتمعات أن تضع تشريعات بعضها مستمد من الوضعية الإنسانية وبعضها مستمد من الأديان السماوية ، مع الحفاظ فى كلا الحالين على النمط الثقافي المتمثل فى التقاليد والمعتقدات والأعراف التي يجمع عليها أفراد المجتمع وجماعاته ، وكانت الضرورة ملحة أن تتشابك كل هذه الأمور بهدف الاحتفاظ بتماسك المجتمع وتوازنه وتحقيق التوافق بين أفراده من خلال التحديد الدقيق للايجابيات والحث على مسايرتها بل ووضع الأوامر الكفيلة بذلك ، وللسلبيات التي تقف حجر عثرة فى سبيل التماسك والنهى عن السير في نطاقها بل ووضع معايير العقاب لمن يجاريها .

وحين أراد علماء الاجتماع تنظير ذلك وصلوا إلى مصطلح « الضبط الاجتماعى » ونزلوا إلى ميدان العمل الاجتماعى لتحديد الأبعاد الواقعية له ، وقد توصلوا إزاء ذلك إلى وضع العديد من المفاهيم التي تختلف فى تكتيكاتها وتتفق فى استراتيجيتها تجاه الضبط الاجتماعى .

فمنهم من ينظر إلى الضبط الإجتماعي من وجهة نظر ضيقة تحدد ضرورة القصر فى أدوات ووسائل السيطرة حتى يتحقق الضبط ، ويحددون الإطار التعريفى على النحو التالى « الضبط الإجتماعى هو السيطرة الاجتماعية المقصودة التي تؤدى وظيفة معينة فى المجتمع » .

ونظر اليه البعض الآخر من ناحية التوتر والمشكلة فيرون أن كل المشكلات الاجتماعية تتحول فى النهاية إلى مشكلات تتعلق بالضبط الاجتماعى ، وقد يبدو لأول وهلة أن تلك نظرة تشاؤمية ستؤدى حتما الي الإنهيار

التام ، فبعد أن كان الضبط يساهم فى القضاء على المشاكل ، أصبحت هى مشكلاته .

بالإضافة الى النظرة السيكوسوسيولوجية التي تجعل الضبط الاجتماعى فى مفهومه وتطبيقاته يستند أساسا الى بناء النفس ومكونات الطبيعة البشرية، فيهتم بالدرجة الأولى على الدرجة المعينة ـ التي تبغي التعرف على محاورها المختلفة ـ لمدى تقبل الشخص لأغلب أو كافة اتجاهات من يمثلون معه أطرافا أساسية في الفعل ويشاركونه الأنشطة الاجتماعية فى الجماعة التي ينضوى معهم تحت لوائها .

وأياً ما كان الأمر فان هناك أمورا يجب ألا يغفلها البعد التعريفى للضبط الإجتماعى ولعل أهمها :

١ ـ تماسك البناء الاجتماعى باعتباره الهدف الذى يسعى اليه أى مجتمع.

٢ ـ تفادى الصراعات والتوترات التى تحدث فى المجتمع اسبب أولآخر.

٣ ـ مواجهة التغيرات غير المألوفة والتي تتطلبها بعض مراحل نمو المجتمع .

٤ ـ مواجهة التخلفات الحضارية سواء عن استحداث المناطق أو عند التنقل الاجتماعى أو فى حالات الحراك الإجتماعى .

٥ ـ مواجهة الازمات الطارئة أو المتوقعة .

٦ ـ علاج وتعديل الحالات غير السوية فى التنظيمات الاجتماعية حتي تكون فاعليتها مؤثرة فى أداء الوظائف المختلفة .

٧ ـ استخدام القهر والإلزام في حالات عدم التوازن في البنية وعدم التوافق بين الفرد والنظم .

٨ ـ غرس شعور مشترك تتميز به الأكثرية حول الأمور الضرورية التي تتعلق بأوجه النشاط المشتركة .

وعلى هذا الأساس يمكن اعتبار التعريف التالي للضبط الإجتماعي وافيا لتحقيق هذه الأعراض :

« السيطرة الاجتماعية المقصودة لمواجهة كل ما من شأنه أن يخلف توترات وانحرافات تصيب البناء ووظائفه بخلخلات التوازن ، والتوافق ، والإلزام الاتفاقي نحوها ، ومواجهة سلبياتها علاجيا ووقائياً » .

الضبط الاجتماعي والثقافة [١] :

أصبحت دراسة الثقافة ضرورية كموضوع جوهري وهام في العلوم

---

(١) أنظر :

— Beadict, R., Patterns of Culture, London, 1935.

— Wissler, C.. Man and Culture, New York, 1953.

ـ د. محمد عاطف غيث ، المشاكل الاجتماعية والسلوك الانحرافي ، مرجع سابق .

ـ د. محمد عاطف غيث ، قاموس علم الاجتماع ، مرجع سابق .

ـ د. عبد الله الخريجي ، مرجع سابق .

ـ د. عاطف وصفي ، الأنثروبولوجيا الثقافية ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٧١ .

التام ، فبعد أن كان الضبط يساهم فى القضاء على المشاكل ، أصبحت هى مشكلاته .

بالإضافة الى النظرة السيكوسوسيولوجية التي تجعل الضبط الاجتماعى فى مفهومه وتطبيقاته يستند أساسا الى بناء النفس ومكونات الطبيعة البشرية، فيعتمد بالدرجة الأولى على الدرجة المعينة ـ التي تبغي التعرف على محاورها المختلفة ـ لمدى تقبل الشخص لأغلب أو كافة اتجاهات من يمثلون معه أطرافا أساسية فى الفعل ويشاركونه الأنشطة الاجتماعية في الجماعة التي ينضوى معهم تحت لوائها .

وأياً ما كان الأمر فان هناك أمورا يجب ألا يغفلها البعد التعريفى للضبط الإجتماعى ولعل أهمها :

١ ـ تماسك البناء الاجتماعي باعتباره الهدف الذى يسعى اليه أى مجتمع.

٢ ـ تفادى الصراعات والتوترات التي تحدث فى المجتمع لسبب أو لآخر.

٣ ـ مواجهة التغيرات غير المألوفة والتي تتطلبها بعض مراحل نمو المجتمع .

٤ ـ مواجهة التخلفات الحضارية سواء عن استحداث المناطق أو عند التنقل الاجتماعى أو فى حالات الحراك الإجتماعى .

٥ ـ مواجهة الازمات الطارئة أو المتوقعة .

٦ ـ علاج وتعديل الحالات غير السوية في التنظيمات الاجتماعية حتي تكون فاعليتها مؤثرة في أداء الوظائف المختلفة .

٧ ـ استخدام القهر والإلزام في حالات عدم التوازن في البنية وعدم التوافق بين الفرد والنظم .

٨ ـ غرس شعور مشترك تتميز به الأكثرية حول الأمور الضرورية التي تتعلق بأوجه النشاط المشتركة .

وعلى هذا الأساس يمكن اعتبار التعريف التالي للضبط الإجتماعي وافيا لتحقيق هذه الأعراض :

« السيطرة الاجتماعية المقصودة لمواجهة كل ما من شأنه أن يخلف توترات وانحرافات تصيب البناء ووظائفه بخلخلات التوازن ، والتوافق ، والإلزام الاتفاقي نحوها ، ومواجهة سلبياتها علاجيا ووقائياً » .

الضبط الاجتماعي والثقافة [١] :

أصبحت دراسة الثقافة ضرورية كموضوع جوهري وهام في العلوم

---

(١) أنظر :

— Bendict, R., Patterns of Culture, London, 1935.
— Wissler, C. Man and Culture, New York, 1953.
ـ د. محمد عاطف غيث ، المشاكل الاجتماعية والسلوك الانحرافي ، مرجع سابق .
ـ د. محمد عاطف غيث ، قاموس علم الاجتماع ، مرجع سابق .
ـ د. عبد الله الخريجي ، مرجع سابق .
ـ د. عاطف وصفي ، الأنثروبولوجيا الثقافية ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٧١ .

الاجتماعية وخاصة في الأنثروبولوجيا الاجتماعية وعلم الإجتماع بعد أن ثبت من الدراسات العديدة التأثير المتبادل بينها وبين كافة أمور المجتمع ، ويكفى أنها المحدد الأول في السلوك الإجتماعي إيجابا وسلبا الذى يمارسه أعضاء الجماعات الاجتماعية داخل مجتمعاتهم في أى تفاعل اجتماعى يحدد كافة المعاملات الاجتماعية أسريا وتربويا وعمليا وحتى في مجالات اللهو ومجالات الصراع والتوتر .

ومع تطور دراسة الضبط الاجتماعي وجد أن هناك أمورا جوهرية تتعلق بالثقافة يعتمد عليها المجتمع ككل فى ضبط التوتر والصراع ، كالأنماط الثقافية والتنوع الثقافى :

١ - النمط الثقافى Culture Pattern مصطلح استخدمه الأنثروبولوجيون منذ ما يزيد على قرن من الزمان اشارة الى تتابع الأنماط القائمة ، ثم تعددت الدراسات في هذا المجال ليتسع نطاق استخدامه بين علماء النفس وعلماء الاجتماع ، وهو يشير في معناه الشامل وتحديداته الفرعية الى تنظيم مركبات الثقافة - باعتبارها مجموعة سمات ثقافية مرتبطة عضويا في منطقة ثقافية [1] معينة - التي تؤلف الصيغة الثقافية الكلية لمجتمع ما ، أو

---

١) المنطقة الثقافية Cultrual Area وحدة مكانية محددة جغرافيا يشترك سكانها فى ثقافة واحدة أو فى نموذج ثقافى واحد أو تتشابه ثقافاتها ، فقد تشتمل المنطقة الثقافية الواحدة على عدد من الثقافات الفرعية فيكون لكل منها عناصره الثقافية المتميزه مع اشتراكها مع خصائص النموذج الثقافى العام داخل الوحدة المكانية المشار اليها .

القيم والمعتقدات السائدة التي تميز ثقافة معينة والتي اكتسبت بمرور الوقت ورسوخ جدواها قدراً معينا من الاستمرار النسبي وليس المطلق ، فهي عرضة للتعديل أو التحوير في أسلوب التطبيق ما بين جيل وآخر ، إلا أن تجريداتها المحددة على أسس عقائدية معينة تستمر ويعمل الأفراد من خلال معطياتها ، وهكذا يكون الأساس بالنسبة لأكثر المظاهر التركيبية وضوحا في فكرة النمط صورة البناء وليس محتواه . إلا أن بعض العلماء يضيف إلى ذلك أن النمط الثقافي ليس مجرد بناء (له صوره ومحتواه) وحسب ، وانما ينطوى في عملية التفاعل على درجة المواكبة أو المعية التي تربط بين مكونات وعناصر الجماعات الاجتماعية ، ومن هنا يمكن أن تشير الأنماط الثقافية إلى صلات أو روابط قائمة من كافة السمات الثقافية التي تشكل بناءا متماسكا يؤدى دورا وظيفيا ويكتسب قيمة تاريخية عبر الأجيال والحقب المتعاقبة ويحقق استمراراً — نسبيا — في الوجود (١) .

---

١) ان الانماط الثقافية التي تهتم أساسا بالشكل وليس بالمضمون جعل علماء الانثروبولوجيا الاجتماعية Social Anthropology والانثروبولوجيا الثقافية Cultural Anthropology يستحدثون مصطلحا آخر أطلقوا عليه الانماط العالمية للثقافية Universal Patterns Culture حددوا من خلاله الانماط المشتركة في :

أ — اللغة .

ب — العناصر والمركبات المادية (عادات الطعام — المأوى — الملبس — الأدوات والآلات ... الأسلحة ... وسائل النقل ... الخ) .

ج — الفن (نحت ورسم وموسيقى وغيرها) .

=

ويرتبط الضبط الاجتماعي بالأنماط الثقافية ارتباطا وثيقا من كونه يشير في مضمونه إلى السيطرة الاجتماعية التي تهدف الى تماسك البناء الاجتماعى عن طريق معالجة التوترات والانحرافات التي تصيبه أو تصيب وظائفه ، والوقاية من الامور التي قد تزعزع من التوازن والتوافق . وتدخل الانماط الثقافية كصيغة لقيم ومعتقدات وعموما للثقافة الكلية للمجتمع التي تتمتع بدرجة من الدوام والاستمرارية ، تجعل الضبط الاجتماعى — كي يحقق أهدافه ومراميه — أن يضع بنوده التطبيقية ووسائله الفعالة على أساس من الانماط الثقافية السائدة ، وبالتالى يمكن أن تتحدد المشكلات والتوترات المخالفة لهذه الأنماط ، فيسعى الضبط الاجتماعى لوضع القواعد الكفيلة بالقضاء على ما ظهر منها على أرض الواقع والوقاية من الكامن منها ويحتمل ظهورة .

= د — الاساطير والمعارف العلمية .

هـ — التصرفات الدينية (أشكال طقوسية — اعياد — طقوس وموت — ... الخ) .

و — الأسرة والنظم (أشكال الزواج — التسلسل القرابى — الميراث ... الخ) .

ز — الملكية (العقارات والمنقولات — التبادل — التجارة ...) .

ح — الحكومة (الشكل السياسى — القضاء والمحاكم — التشريعات) .

ط — الحرب والمنازعات والصراعات .

أنظر :

— د. عاطف وصفى ، مرجع سابق

— Wissler, C., op. cit.

٢ ـ التنوع الثقافي Cultural Variation : تتصل الأنماط الثقافية اتصالا وثيقا بالتنوع الثقافي بين المجتمعات وفي داخل المجتمع الواحد ، إذ البحث في الروابط أو الصلات القائمة بين السمات الثقافية التي تشكل بناءات متماسكة لكل منها وظائفها وأدوارها بحيث تتسم بالاستمرارية النسبية ، يتطلب التعرف على التباين بين وحدات الأنماط الثقافية داخل المجتمع الواحد خلال الفترات التاريخية المتعاقبة رأسيا من واقع استمراريتها ، وبين المجتمعات المختلفة المتأثرة ثقافيا عن طريق الانتشار خلال الفترة الزمنية الواحدة أفقيا ، وما التنوع الثقافي الا هذا التباين أو الاختلافات القائمة بين المجتمعات الانسانية في الأنماط الثقافية السائدة فيه . وتتطلب دراسة تنوع الأنماط الثقافية التعرف على مدى هذا التنوع وتماسك وحداته رغم تنوعها والعوامل المؤدية اليه ، وفي كل الاحوال فان التعرف على مثل هذه الامور من الاهمية بمكان للضبط الاجتماعي الذي لا يتطلب القضاء على التنوع الموجود في المجتمع الواحد والمعبر عنه رأسيا اذ التنوع في هذه الحالة يشمل الوظائف دون البناء ، واذ ذاك يدل التطور التاريخي أو التغير الحادث المؤدي الى التنوع على مدى تحقيق الضبط الاجتماعي لأهدافه استقراءا مما كان حادثا في الماضي وتطبيقا على الواقع . كما يمكن التخطيط لضبط المستقبل اذا ما عرف الخط البياني في التنوع الرأسي المشار اليه . هذا من جهة ، ومن جهة أخرى يرتبط الضبط الاجتماعي بتنوع الأنماط الثقافية أفقيا ، اذ لا يغفل ـ أو لا يجب ألا يغفل ـ التأثيرات الواردة من خارج المجتمع وفرضتها بعض الظروف كالاستعمار او الهجرة او السياحة او عن طريق وسائل الاعلام ، بحيث يمكن ان تضيف الى الأنماط الثقافية ما يجعل تنوعها تجاه الخط المغاير لثقافة المجتمع ، وفي هذه الحالة يقابل الضبط الاجتماعي ذلك الانتشار بوضع

الضوابط التى تقف فى وجه التيارات التفككية أو التوترية بالعقـــاب علاجا وبتدعيم الثقافة المرعية فى المجتمع وقاية .

مصادر الضبط الاجتماعى (١) .

إذا أمكن التعرف على مصادر الضبط الاجتماعى فى أى مجتمع من المجتمعات ، أمكن الإلمام بالدواعى التى أدت إلى كافة الاجراءات العلاجية والوقائية من التوترات الاجتماعية السائدة أو المتوقع حدوثها ، وبالتالى يعتبر بعداً أساسيا فى دراسة المشكلات الاجتماعية ، وتعتبر دراسات عـــلم الإجتماع الجنائى أو علم اجتماع الجريمة Criminal Sociology هي التى أفادت من هذا البعد من واقع اجراءات العلاج المشروعة كالجلد أو الحبس أو السجن أوحتى الإعدام ، إذ يهتم الباحثون بتتبع حالة الجانى (المشكل) من بدء حياته حتى وقوعه فى براثن الجريمة كتوتر اجتماعى شديد التأثير ، ولن يتم ذلك إلا إذا عرفت الدواعى التى جعلت وسيلة الضبط الاجتماعى تضع مثل هذا العلاج ليس للشخص أو للأشخاص المشكلين وحسب ولكن للمجتمع ككل ردعا وعبرة وصونا .

وتتمثل مصادر الضبط الاجتماعى فى التنشئة الاجتماعية والثقافية أو

---

(١) أنظر

— د. محمد عاطف غيث ، قاموس علم الاجتماع ، مرجع سابق .

— د. عاطف وصفى ، مرجع سابق

— Newcomb, T. M.; Social Psychology, New York, 1950.

التربية والمعايير الاجتماعية ، وهذا ما سنهتم بإيضاحه فيما يلى .

١ ـ التربية والتنشئة الاجتماعية :

يشير مصطلح التربية Education بصفة عامـــة إلى التنشئة والتدريب الفكرى والأخلاقي ، وتطوير القوى العقلية والأخلاقية عن طريق التلقين المنظم فى الاسرة أو فى المدارس ودور العلم بأنواعها المختلفة أوفي أية منظمات أخرى تتولى هذه العملية طوال اليوم . وبهذا الفهم تتماثل التربية مع التنشئة ـ أيا كان نمطها ـ من ناحيتى الاسلوب والهدف ، ولذلك يركز علماء النفس والاجتماع على عملية التنشئة الاجتماعية ، وعلماء الانثربولوجيا الاجتماعية على التنشئة الثقافية ، دون الإشارة إلى التربية باعتباها ضمنيا تشمل التنشئة . وهكذا يتضح أنه حتى أصحاب العلوم الاجتماعية يختلفون فيما بينهم فى مسمى هذا المصدر الاساسى من مصادر الضبط الاجتماعى ، فعلماء الأنثربولوجيا الاجتماعية يستخدمون مصطلح التنشئة الثقافية Enculturatio باعتبارها عملية يكتسب الانسان بموجبها الثقافة من المجتمع الذى يعيش فيه منذ مولده عن طريق الخبرة الشخصية دونما تأثير للعوامل السلالية والفسيولوجية المصاحبة ، بمعنى أن أى طفل مهما كانت سلالته ومهما كانت حالته العضوية يمكنه التقاط ثقافة أى مجتمع بشرى ـ سواء كان مجتمعه الأصلى أو مجتمع آخر نقل اليه ـ إذا عاش فيه فترة زمنية معينة .

وفى علم النفس الاجتماعى Social Psychology وعـــلم الاجتماع Sociology يستخدم مصطلح التنشئة الاجتماعية Socialization إشارة إلى العملية التى يتعلم عن طريقها الفرد كيف يتكيف مع الجماعة عند إكتسابه السلوك الاجتماعى Social Behaviour الذى توافق عليه ، بمعنى أن الانسان

يولد ولا يعرف شيئا عن المجتمع الذى ولد فيه ، وعليه يقع عبء من الضرورى أن يتحمله وهو إكتساب كمية مهولة من التراث الإجتماعى الذى خلفته الأجيال السابقة والخبرات التى إكتسبوها والمهارات التي تعلموها وبرعوا فيها ، ولا بد للطفل – كي يتعلم – أن تخضع دوافعه الفطرية للقواعد التى تضعها الثقافة التي ينتمى اليها ، وذلك من خلال تلقينه كمية هائلة من أنماط هـذه الثقافة حتى يصبح عضوا كاملا في المجتمع . ومما هو جدير بالذكر – في هذا الصدد – أن قدر الإنسان وأمكانياته المختلفة تتضح منذ طفولته وتنمو من خلال التفاعل الإجتماعي Social Interaction الذى يتيح له فرصة إكتساب السلوك الإجتماعى .

ولا يكتمل الأمر بالنسبة للتنشئة الإجتماعية باعتبارها مصدراً هاما من مصادر الضبط الإجتماعى ، إلا بايضاح ميكانيزمات (١) التنشئة الإجتماعية من خلال مفهومها السابق إيضاحه ، وذلك كما يلى :

أ) الاستدماج Internalization بمعنى موافقة الفرد على إتجاه معين أو قيمة معينة يعتنقها شخص آخر أو جماعة أخرى وإعتبارها جزءاً من ذاته ، وكميكانيزم للتنشئة الإجتماعية فان المقصود استدماج الطفل أو الفرد بثقافة المجتمع بعد تلقينه إياها واقناعه بها .

---

١) ميكانيزم Mechanism مصطلح يعنى أى ترتيب أو أى بناء أو تعاقب أو تسلسل الأفعال والإستجابات والاتجاهات والأنماط الثقافية أو الأوضاع الاجتماعية أو أى وحدات أخرى يكون من شأنها تسهيل إنجاز هدف Goal نعينه أو وظيفة Function أو عمليات Processes سواء كانت قائمة في طبيعة الأشياء أو مختارة عن طريق من يقومون بالفعل .

ب) تعنى الثقافة كل ما يستخدمه الإنسان عقلانيا وماديا لإشباع حاجاته المختلفة ، ولكن الأساسى من الثقافة الذى تعنى به التنشئة الاجتماعية هو قيم المجتمع التي تضبط سلوكيات أفراده .

ج) تكوين الأنا الأعلى (١) Superego عن طريق إكتساب وإستدماج معايير الأسرة .

د) إكتساب القدرة على الإتصال بالآخرين والتأثر بهم والتأثير فيهم عن طريق اللغة .

وخلاصة القول أن التربية أو التنشئة الثقافية أو التنشئة الاجتماعية تعتبر مصدراً أساسيا وهاما من مصادر الضبط الإجتماعى ، إذ يمكن حدوث أى خلل فى ميكانيزمات التنشئة الاجتماعية خلال التطبيق السابي. كأن تحتضن الأم صغيرها الطفل حين يعود اليها بنقود حصل عليها من نطاق شخص آخر وتقبله وتظهر سعادتها به كنوع من الحنان والسرور بمعرفته للنقود والاتيان بها اليها ، دون أن تدرى أن هذا الطفل استدمج الأخذ من الغير وارتبط ذلك بموافقة أمه التي تلقنه الصواب والخطأ فيشب ضميره على تقبل أمثال هذا السلوك ، مما يدفع به فى مستقبل أيامه إلى النشل والسرقة والجريمة .. وغيرذلك

---

١) الأنا Ego الذات كما يدركها صاحبها ، أى تصور الشخص لذاته ، وبذلك يعتبر مظهراً شعورياً للشخصية يستمد طاقته من الهو Id الذى يعتبر مصدر البواعث الغريزية والعدوانية ، إلا أن جماح الهو يتم كبحه عن طريق الأوامر الخلقية للأنا الأعلى Superego الذى يقوم بوظيفته كضمير يضبط ويحاسب ويمنع .

من الأمثلة التي تعتبر السلوك المشكل الذى تعتبره المجتمع تو تراً متفشياً فيه على هيئة مشكلات اجتماعية يرجع فى أساسه إلى التربية والتنشئة ، ومن هنا يستلزم الضبط الاجتماعي الزمام ويعمل بوسائله المختلفة للوقاية من التربية أو التنشئة على هذه الشاكلة ، ويدعم من التطبيقات الايجابية التي تخرج إنسانا سويا لا يتسبب فى تفكك من نوع أو من آخر .

٢ ـ المعايير الاجتماعية (١) :

المعايير الإجتماعية Social Norms قواعد أو مستويات سلوكية عامة تحددها التوقعات المتفق عليها والمشتركة بين كافة أفراد الجماعات الإجتماعية بكل أنواعها المشكلة للمجتمع ، وذلك إعتماداً على السلوك المناسب من وجهة نظر هذا المجتمع ، وهى في حد ذاتها خطوط أو علامات محددة ومعترف بها توجه الى مستوى السلوك الذى يكفى تطبيقه في مواقف اجتماعية محدودة ، وتعتبر هذه القواعد بمثابة المقاييس المحددة لواجبات دور الفرد فى الجماعة . أو بمعنى آخر هى القواعد أو المبادىء السلوكية التي تشترك فى صفة العمومية ويتقبلها أعضاء المجتمع وأفراده بحيث تؤدى الى الامتثال بدءاً بالأفعال والمعاملات البسيطة الجارية فى الحياة اليومية وانتهاءاً الى الاحكام الأخلاقيه المعقدة على مستوى المجتمع ككل مما يؤدى بالضرورة الى الزيادة المضطردة فى تماسك الجماعة .

١) أنظر :

- Parsons, T. The Social System, op. cit.
- Merton, R., Social Theory and Social Structure, The Free Press, Glencoe, 1957.
- Davis, K , Human, Society, New York, 1949.
- Radcliffe Brown A., op. cit.
- Sherif, M., Psychology of Social Norms. 1936.

وتعتبر المعايير الاجتماعية بمثابة المقاييس والأفكار والمستويات العامة التي تحكم استجابات الأفراد في كل الجماعات الاجتماعية القائمة وتوجهها، وتشمل في داخلها على بعض الصور والقواعد التي تمثل في مجموعها ما يحلو للبعض أن يطلق عليه الثقافة اللامادية، فمن بين مكونات المعايير العادات الجمعية Customs بمعنى الأفعال المتكررة في الحياة اليومية والقواعد التي تكمن خلف هذه الأفعال وتلتزم بها الجماعة الاجتماعية من واقع إستمرارها — كصور للسلوك الاجتماعي — فترة طويلة من الزمان واستقرارها في المجتمع ووصولها لمرحلة الأمور العادية من يحيد عنها يعتبر خارجا عن المجتمع ويقابل بالنبذ، وتعتبر العادات الجمعية بالنسبة للجماعة فرعا من العادات الشعبية Folkways، وفرعها الآخر العادات الفردية Habits التي تنشأ نتيجة التكرار الواضح للافعال بالنسبة للفرد. ومن بين مكونات المعايير أيضا الأعراف أو السنن Mores التي تعتبر بمثابة القوانين غير المكتوبة من منطلق كونها مجموعة من الأوامر والنواهي التي تعارف أعضاء المجتمع على العمل من خلال نصوصها التي غالبا ما تشمل الأمثال الشعبية والحكم التي تتردد بين الحين والآخر على السنة الأفراد كلما تكون المناسبة مواتية لذلك، ويؤدي الخروج عن العرف أو خدشة إلى الاستهجان هذا إضافة إلى مكونات المعايير الاجتماعية المكتوبة والمنصوص عليها في قوانين وتشريعات ونظم تحدد السلوك المشكل أو الجريمة أو الجناية أو الجنحة، وتحدد أيضا العقوبة وتنيط بالجهات الرسمية المعنية كالشرطة والنيابة والعدل والقضاء وغيرها حماية هذة التشريعات والنظم وتنفيذ أحكامها.

وتعتبر مخالفة المعايير الاجتماعية سلوكا مخالفا للتوقعات الاجتماعية

في الموقف المحدد ، وهي في حد ذاتها عدم امتثال Nonconformity لعادات وأعراف وتشريعات ونظم المجتمع ، ولهذا يتفق المجتمع على وضع ما يسمى معيار اجتماعي نظامي Institutionalization Social Norm بمثابة معيار اجتماعي مفروض على نطاق شامل أو واسع في نسق اجتماعي معين ، شريطة أن يكون فرضه عن طريق الاتفاق المجتمعي العام والجزاءات التي يتعرض لها ، ويهتم المجتمع في وضع معياره الاجتماعي النظامي أن يراعي حالة فقدان المعيار Normlessness التي تتميز بعدم وجود نسق منظم المعايير ، بمعنى وجود قيم كثيرة جدا في المجتمع يمكن تطبيقها في وضع معين مما يؤدي بالتالي إلى عدم قدرة الفرد على اختيار معيار بذاته يحتل مركز الأفضلية بالنسبة للمعايير الأخرى ، ومراعاة لهذه الحالة يحدد المجتمع باتفاق أعضائه على المعيار المفروض على النطاق الشامل السابق ايضاحه .

وهكذا يتضح بلا لبس أو غموض مدى الأهمية القصوى للمعايير الاجتماعية كمصدر أساسي آخر للضبط الاجتماعي ، وعلى الخصوص أن الأخير يضع هدفا له تحقيق التضامن الاجتماعي ، والمعايير تحقق هذا الغرض ، أما اللامعيارية Anomie التي سبق وأوضحها اميل دوركايم واعتبرت في زمانه المدخل الاساسي لدراسة المشكلات الاجتماعية بعد أن ضمنها أحد الأنواع الثلاثة التي وضعها للانتحار وهو الانتحار اللامعياري Suc de Anomie الذي يحدث للشخص الذي يصبح بلا معيار يحدد أهدافه ، هذه اللامعيارية هي التي يضعها الضبط الاجتماعي نصب الأعين لمواجهتها إذا حدثت ، واللامعيارية تؤدي إلى عدم الاستقرار والانهيار الخلقي

والتصدع النظامى ، وغيرها من حالات التخبط وانعدام الأمن وفقدان المعايير نتيجة الازمات الاجتماعية التي تقلب التوازن ويظهر أثرها في القلق وفقدان المودة بين أعضاء المجتمع . واللامعيارية ثلاثة أنواع : أولها ما أشار اليه دوركايم وهو التفكك الشخصى الذى يؤدى إلى وجود الفرد اللامعيارى أى فاقد التوجيه وغير محدد الأهداف والقيم ، والنوع الثانى موقف اجتماعى تنعدم فيه المعايير تماما .. وفى كل هذه الأمور يراعى الضبط الاجتماعى كافة الأبعاد المحددة لهذه الأنواع والعمل بكل الوسائل دون تحقيقها .

أنماط الضبط الاجتماعى

يتحدد الضبط الاجتماعى فيما يمارسه للعلاج والوقاية من التوترات والتفككات والمشكلات التي تكتنف المجتمع ، من خلال أنماطه المختلفة التى تتشابك فيما بينها كنسيج يؤدى هدفا واحدا ، الا أن كلا منها يعمل فى نطاقه ثوابا وعقابا ، وما ينطوى علية من منظمات وقواعد تنظم هذا الثواب والعقاب ويقسم الضبط الاجتماعى إلى نوعين كبيرين أحدهما رسمى والآخر غير رسمى يشتمل كل منهما على عدة لوائح تنظيمية للجزاءات تنقسم بدورها إلى شقين أحدهما سلبى والاخر ايجابى ، وفيما يلى اختصار لأبعاد كل منهما :

أولاً : الضبط الإجتماعى الرسمى

يقوم الضبط الأجتماعى الرسمى Formal Social Control على النصوص

المكتوبة والمنظمة لكافة متطلبات الحياة ، وضع الأسس الكفيلة باشباع كافة الحاجات بالوسائل المتاحة والتي لاتخدش بحال من الأحوال قيم وثقافة المجتمع ولاتؤثر في معاييره النظامية المتفق عليها ، وتقوم أنساق السلطة التي تسوس المجتمع بوضع الضمانات الكفيلة بانضباط الأفراد والجماعات حيال هذة المعايير ، وضبط كل من تسول له نفسه الاعتداء عليها والخروج على قواعدها ، فتعمد السلطة التشريعية على مصادر التشريع المعمول بها فى المجتمع وتستخرج التشريعات والقوانين المنظمة لعمليتى الضبط والانضباط ، وتتولى السلطة التنفيذية إجراءات تحويل التشريعات المخطوطة إلى واقع معاش ، ثم تقوم السلطة القضائية بتولى أمور الفصل فيما يعترى أعضاء المجتمع من أمور تقف مناوئه لما هو مشرع ومشروع طبقا لمعايير المجتمع وقيمه . ولذا تعمل التشريعات المطبقة من خلال النظم السائدة على تنظيم دفة الحياة بما يواكب هذه المعايير والقيم ، وخاصة فى مجال التربية والتنشئة الاجتماعية حيث يستلزم الأمر وجود مؤسسات أو هيئات تبث الايجابيات في أجيال المجتمع المتعاقبة بحيث يكون الخروج عليها شذوذا بعد ذلك ، وتعمل اللوائح التنظيمية للجزاءات ثوابا وعقابا من خلال نوعين فرعيين للضبط :

أ) الضبط الاجتماعي السلبي Negative S. cial Control الذى يعتمد على العقاب أو التهديد بالعقاب من خلال الأوامر والنواهى التي تضعها الهيئات الرسمية فى تشريعات وقوانين أو ما تضعها الثقافة السائدة فى المجتمع من خلالة العادات الشعبية ، فالضبط الاجتماعى السلبى – على هذا الأساس – يمثل صور الضبط الاجتماعى المفروضة والملزمة للفرد الذى يمتثل

لها – بدوره – بهدف تحاشى النتائج غير المرغوبة إذا حاول الاعتداء عليها أو خرقها .

والضبط الاجتماعى السلبى الرسمي كنمط من أنماط الضبط الاجتماعى يستمد جزاءاته السلبية أو لوائحه التنظيمية للعقاب من واقع المواد المنصوص عليها والمكتوبة ، وتندرج بدورها من الاعدام عقابا على جريمة كبرى ارتكبت ولاحل لها الا القصاص من القائم بهـا كالقتل العمد مثـلا أو التخريب المقصود لمقدرات الحيـــاة اليومية وما إلى ذلك ، إلى الحبس الانفرادى كنوع آخر من العقاب يبغى عزل الجانى تماما عن الحياة حتي يشعر بقيمتها ولايعود لخطورته الاجرامية ، إلى السجن إلى الحجز عدة أيام ، ثم إلى جزاءات عقابية أدارية تبدأ بالفصل من العمل وتتدرج إلى الخصومات والانذارات وغيرها .

ت) الضبط الاجتماعى الايجابى Positive Social Control ، ضبط اجتماعى يعتمد على دافعية الفرد نحو الأمتثال أو المسايرة ، ويتدعم عن طريق تقرير الجزاءات الأيجابية أو المكافآت التي تتفاوت ما بين المنح المالية إلى الأستحسان ، والهدف الأساسى من أهداف الضبط الإجتماعى الإيجابى المساهمة في رفع الروح المعنـــوية لأعضاء المجتمـع ككل ، واثارة دافعيتهم نحو المزيد من الإيجابيات حتى يتحقق الأمتثال المطلوب ، ويتوازن المجتمـع ويتوافق أفراده . وتعتمد صـورة هـذا الضبـط على استدماج المعايير الأجتماعية والقيم من خلال التنشئة الإجتماعية .

والضبط الإجتماعى الأيجابى الرسمى يعتمد بالدرجة الأولى على أثابة

المجد ومكافأة الصفوة من أعضاء المجتمع ، فالبارع فى مجال من المجالات بحيث أفرغ ذهنه لإخراج جديد لاضير من مكافأته ماليا مثلا أو بمنحة بعض الإمتيازات بين أقرانه حتى يكون قدوة لهم ، ولايخفى أيضا أن صور هذا الضبط مكتوبة ومنصوص عليها أيضا لرسميتها فى التعامل ، وكانت المكافات المالية واحدة منها للمبدع أو لمن بذل جهدا أكبر من غيره ، وتدخل فيها الدرجات العلمية لمن يصل إلى مرحلة من التحصيل العلمى مقيمة بتقنينات معينة كالإبتدائية والأعدادية صعودا إلى الماجستير والدكتوراه ، ناهيك عن الجوائز والميداليات وشهادات التقدير وغيرها مما يدفع الفرد عن طريق التشجيع تارة أو القدوة المثالية تارة أخرى إلى الإمتثال والمسايرة .

ثانيا : الضبط الإجتماعى الرسمى

ويقوم الضبط الاجتماعى غير الرسمى Informal Social Control على النصوص العقابية المتعارف عليها ، ولا تقوم بحمايتها سلطة ولا ينظمها المجتمع ، ويلقى الضبط الإجتماعى غير الرسمى العبء على كاهل الرأى العام الذى يعتبر حصيلة التفاعلات وتبادل العلاقات فى البناء الأجتماعى ، بمعنى أن هدفه رعاية المثل والقيم الإجتماعية والخلقية وحمايتها من التدهور والإنحلال .

وينقسم الضبط الإجتماعى غير الرسمى بدورة إلى شقين : أحدها ايجابى يقوم على الثناء والإطراء ، وجزاءاته كلها معنوية تؤدى عرضا أو هدفا مزدوج الإبعاد ، فهو من جهة تشجيع وتقدير وثناء لصاحب الجزاء ،

ودفع واثارة لبقية أعضاء المجتمع أن يكونوا مثله فى ايجابياته ، والشق الثانى شق سلبى مادته السخرية والاستهجان والعزل ، فاذا ما نبذ الرأى العام أو المجتمع فردا أو جماعة وسخر منهم فانهم يحاولون العودة إلى السلوكيات السوية ارضاءا للمجتمع حتى تنتهى العقوبة غير محددة المدة ، كما يحاول غيرهم عدم المروق إلى منعطفهم الخطر حتى لا تنالهم العقوبة مستقبلا ، ولنا فى هذا الصدد أن نعلم رد فعل المجتمع نحو مودة جديدة لا تتماشى مع اهداب القيم والتقاليد السائدة ، حتى نتبين ما للضبط الاجتماعى السلبى غير الرسمى من آثار فى الوقوف ضد التوترات والخلخلات العقلية التى قد تؤدى فى مجموعها إلى مشاكل يصعب مواجهتها .

أهداف الضبط الاجتماعى

تشترك أنماط الضبط الاجتماعى مجتمعة فى هدف واحد يتمثل فى ضرورة التوصل إلى السيطرة الإجتماعية بكل ما تعنى هذه الكلمة من معنى ، ووصولا لهذه السيطرة الإجتماعية لابد من القضاء على كل ما من شأنه أن يعطل المسيرة اليها ، ولذلك تتمثل الأهداف فى أهداف علاجية وأخرى وقائية فالأولى يمكن الوصول اليها عن طريق التعرف على الداء واستئصاله ـ إذا استعرنا لغة الطب والجراحة ـ واستئصال الداء الاجتماعى يعنى القضاء على المشكلات الاجتماعية التى تعنى بدورها القضاء على كل ما من شأنه أن يسبب هذه المشكلات اجتماعية أو غير اجتماعية ، وفى هذا الصدد يحقق الضبط الاجتماعى مثل هذا الهدف من خلال نوعياته الرسمية وغير الرسمية والإيجابية والسلبية ..

وهناك أهداف وقائية يبغي الضبط الاجتماعي من ورائها إنضباط البناء الاجتماعي بأكمله في القيام بوظائفه من خلال نظمه وتنظيماته دونما قلاقل أو توترات ، أو بمعنى آخر الوقوف في وجه أية سلبيات بامكانها أن تصل بالمجتمع إلى اللامعيارية ، وتنقسم هذه الأهداف إلى :

١ - هدف ثقافي ، يعني أول ما يعني بضرورة تدعيم القيم السائدة وتعديل أية انحرافات قد تصيبها عن المسار المحدد سلفا من قبل المجتمع ، وهذا التدعيم يجب أن يتم بصفة مستمر حتى يظل عالقا في أذهان أعضاء المجتمع بحيث يستخدمونه في عملية التربية وينشأون عليه الجيل والإجيال الجديدة التي يجب أن تتسلح بقيم المجتمع تجاه أية انزلاقات قد تودى بالمجتمع ككل ، ولا يخفى أن شواذا قد يخرجون على القواعد المنظمة ، وهنا يكون الشق الأول من الأهداف والذى يبغي العلاج هو المهتم بحالتهم اصلاحا أو بترا .

٢ - هدف تربوى يتمثل في اندماج المعايير الاجتماعية من خلال التنشئة الاجتماعية ، وقد تقوم الأسرة بدور رئيسى في هذا الصدد ، وأيضا تشاركها المدرسة التي تدعم من آراء الأسرة في سبيل الوصول إلى هذا الاستدماج .

٣ - هدف أمني يسعى فيه الضبط الإجتماعى إلى اشاعة جو الامن والأمان في كافة ربوع المجتمع حتي يفرغ كل عضو من أعضائه لتحقيق الكلية والجزئية اشباعا لحاجة المجتمع الكبرى في الرفاهية والسعادة المتجددة الطموحات دائما وأبدا ، وقد يتحقق الأمن والامان بقوة مادية

معينة وقد يتحقق أيضا بقوة معنوية تأثيرية تكون فيها وسائل الأمن بمثابة الموجه أو المرشد لا أكثر ولا أقل ، مع الوضع فى الاعتبار المشكلين أو المستهدفين للتوتر ، فان كانوا معروفين يفضل أمنيا عزلهم حتى لا يؤثروا فى حالة الهدوء والاستقرار وتهييج الأمور وتتفكك وظائف وتقوم عداءات ، وأن كانوا مجهولين لا تختفى وسائل الأمن بل تتخافى حتي يعرفوا ، أو تقوم وسائل أخرى بالتوجيه والترهيب من نوعيات معينة قد تكون فى حد ذاتها مدعاة لاصلاحهم .

٤ ـ هدف تنظيمى يتمثل فى أن يؤدى كل من أعضاء المجتمع واجباته المنوطة به برضا كامل فى الوقت الذى يحصل فيه على كل حقوقه دون زيادة أو نقصان ، وهنا يتطلب الأمر القضاء على التسيب الذى قد يظهر فى مجالات بيروقراطية أو خدمات أو أعمال معينة ، وأنضباط كل فرد من أفراد المجتمع حول الدور الذى يؤديه دون هرب منه أو استهداف صراع من نوع أو من آخر ، ويتحقق الهـــدف التنظيمى فى أغلب الأحوال عن الطريق الرسمي ، ولكن يجب ألا نغفل فى الجانب غير الرسمى فى هذا الخصوص أن الجماعات غير الرسمية Informal Groups تلعب دورا كبيرا وأساسيا ازاء تحقيق أو عدم تحقيق هذا الهدف .

٥ ـ هدف اعلامى مفادة التأثير والتأثر بين المرسل والمستقبل الإعلاميين ايجابيا مع نبذ محاولة الانتشار الاعلامي غير المتمشية مع قيم ومعايير المجتمع المحدد ، وذلك من منطلق وضع أبعاد التأثير الأعلامى الثلاثة

(التوضيح ، واعادة التنظيم ، والاضافة) موضع الاهتمام حتي لا يكون هناك لبس فيما يؤثر على مسارات المعتقدات والايديولوجيات والثقافات التي تؤثر بالتالي في كل مناشط الحياة ، مع عدم اغفال عوامل التأثير الاعلامى (خصائص مستقبل المادة الاعلامية ، ونوعية الوسيلة الاعلامية وظروف الإستقبال) التي يمكنها تهيئة المناخ الصالح للاستقرار وارتفاع الروح المعنوية . وأخيرا لا بد من الأهتمام بمظاهر التأثير الإعلامى من حيث الإهتمام وانتشاره داخل المجتمع المستقبل المواد الإعلامية ودوره في تدعيم أو تغيير الإتجاهات السائدة ، فاذا تم الوصول إلي كافة هذه المحددات الثلاث أمكن للضبط الإجتماعي تحقيق هدفه الإعلامي ، وأن حدث قصور في تحقيق هذا الهدف كان العلاج الضبطى صعبا مالم يحدث تغير يعيد الترتيب والتنظيم .

وسائل الضبط الإجتماعى

رغم اختلاف الكتاب والباحثين في الأسس التي يحددون على نهجها وسائل الضبط الإجتماعى في المجتمع ، الا أن الجميع لا يختلفون على مضمونها ، ولكن أسلوب عرضها هو الذى يختلف ، فمنهم من يحلو له العرض متخذا الهدف أساسا لوضع الوسيلة أو الوسائل داخل الهدف الواحد ، وهناك من يتخذ المصدر أساسا للتصنيف ، وهناك من يصنف على أساس النمط . . . وأيا ما كان الأمر فانه يمكن حصر أهم وسائل الضبط الاجتماعى رسمية كانت أو غير رسمية تحقق أهدافا أمنية أو تنظيمية أو غيرها فيما يلى :

٢ – تعتبر الأسرة The Family أول وأهم وسيلة من وسائل الضبط الاجتماعي في المجتمع باعتبارها العنصر الطبيعي والأساسي للمجتمع تتأثر به وتؤثر فيه ، فهي جماعة اجتماعية لها بناءها الاجتماعي الخاص بها الذي يمارس من خلال أعضائه العديد من الأفعال الإجتماعية المحددة في اطار التنظيم الاجتماعي القائم ، مع الوضع في الاعتبار مدى التغير الاجتماعي الذي يصيب مثل هذا الكيان في كليته وفرعياته سلبا أو إيجابا سرعة أو بطئا بما تقتضيه الثقافة الفرعية ، ومراعاة العلاقة الحتمية والضرورية بين كل هذه الأمور والأوضاع الاجتماعية للمجتمع ككل ولعل أهم وظيفة كانت ومازالت تقوم بها الأسرة عملية التربية والتنشئة الإجتماعية ، وهي حجر الزاوية في وضع قواعد الضبط والامتثال المجتمع ، فيقاس مدى التماسك الاجتماعي في المجتمع بما هو حادث وواقع في الأسرة كأحد أهم الجماعات الاجتماعية المكونة للمجتمع ، وعلى اعتبار أن الهدف النهائي للضبط الاجتماعي الوصول بالمجتمع إلى مرحلة التماسك الاجتماعي ، فان الأسرة هي خير وسيلة تقوم بهذه المهمة ، ولعل قيامها بوظيفة تلقين أعضائها الجدد مكونات الثقافة والقيم والتقاليد وتحديد معاييرهم الاجتماعية بما يوائم المجتمع من خلال التنشئة الاجتماعية أو التربية ، يجعلها لبنة أساسية من لبنات أو وسائل الضبط الاجتماعي لكل مايسود المجتمع في تفككات أو مشكلات بحيث إذا حدثت تكون الأسرة العامل المرجعي في حدتها .

٣ – تساهم المدرسة أو المعهد العلمي في ارساء قواعد الضبط

الاجتماعى والوصول إلى الدرجة المرجوة للامتثال المجتمع ، فهى تتدخل فى مرحلة تالية للاسرة وتشاركها مسئولية التربية والتنشئة ، ولكن خطورة دور المدرسة يستبين من كونها تلقن عضو المجتمع الجديد أبعاد القيم ومحددات المعايير الاجتماعية وحسب ، ولكنها تلقن هذا العضو المعارف العلمية المنظمة نظرية كانت أو انسانية طبيعية ، وبذلك تختلف فى طريقة تلقينها للفرد لمثل هذه الأمور فى زمن صغير بالنسبة لما يقضيه الفرد بين أعضاء أسرته من جهة ، ومن جهة أخرى تتدخل العملية التقويمية ولو من خلال قياس مدى التحصيل العلمى كمتغير جديد للطفل أو العضو الجديد فى المجتمع ، فاما أن يستجيب لهذه التغيرات فى المعاملة ويتعرف على أسس الفرص المتكافئة ويتقبل الأمر ويوافق عليه ، وهنا تكمل كل من المدرسة والأسرة بعضها البعض ، وأما تتصارع الأدوار الوظيفية لكل منها فتنشأ لا معيارية من نوع أو من آخر من التضارب العقلى فى المقارنه فيكون التوتر الذى ينعكس على المجتمع ، ويلزم الأمر تدخل وسائل أخرى لضبط الأمر حتي يعود التوافق ويستمر التوازن والتكيف .

٣ — تعتبر أجهزة الإمن فى المجتمع وسيلة من وسائل الضبط الاجتماعى ، فالحاجة إلى الأمن حاجة اجتماعية من الضرورى اشباعها لدى أفراد وجماعات المجتمع ، وقد يقف فى سبيل ذلك بعض المستهدفين للتوتر لسبب أو لاخر فتقع المخالفات الامنية التى تجعل المجتمع من خلال أعضائه فى حالة من الخوف أن يصيبهم ضرر هؤلاء ، ومن هنا تقوم أجهزة ألامن كوسيلة ضبط رسمية بالعمل

على عدم وقوع مثل هذه المخالفات واحساس الأفراد والجماعات بوجودهم الدائم لحمايتهم ، حتي إذا ما وقعت المخالفة كانوا لها بالمرصاد يطبقون عليها ما يقتضيه الأمر من ضبط إجتماعي سلبي في تشابك تنفيذى مع سلطات أخرى يناط بها هذا العمل .

٤ ـ يعتبر الدين Religion وسيلة هامة وضرورية من وسائل الضبط الإجتماعي ، فالعقيدة كما أثبت الحكماء والفلاسفة وعلماء الإجتماع والنفس يكون أساسى من مكونات الطبيعة البشرية ، وإذا وصل الإنسان إلى المرحلة الكاملة من العقيدة كان التزامه بها ودفاعه عنها لا يساوى أو يعادل أى دفاع عن أى شيء آخر ، والدين وسيلة أساسية للعقيدة لاسيما وأنه يحمل فى طياته معنى أخلاقيا على درجة سامية من الأخلاقية والمثل العليا ، وهذا المعنى يتمثل في أوامر بالخير والحق والتسامح وغيرها ونواهي عن الشر الباطل والتصلب والكره وغيرها ، ولا يقف عند هذا الحد بل يضع معايير للترغيب في اتباع كافة الأهداف الخاصة التي يدعو إليها والترهب من عدم ووضع الجزاءات الدنيوية والأخروية لكبح جماح كل مفسد أو باغ . . ولعل الدين الإسلامى بما يحمله من ناحيتي الروحانيات التي تجعل الإنسان في راحة نفسية واطمئنان دائم ، ودنيويات تشرح لكل ما يكتنف المجتمع الانسانى من تفاعلات ، خير ضابط لسلوكيات البشر ، ويكفى أنه يدعو للامر بالمعروف بما يشمله المعروف من كل إيجابيات قيمية ومعيارية وتربوية وأخلاقية ، والنهى عن المنكر بما يشمله المنكر من سلوكيات سلبية واستهدافات للتوتر ولا معيارية فى القيم ، يكفى بدعوته تلك والمفسر لها كافة الأوامر

والنواهى الأخرى أن يكون الوسيلة الأولى بل قد تكون الوحيدة للضبط والانضباط الإجتماعيين ، ويمكن أن تنسلخ كل الوسائل الأخرى عنه . كما تجدر الأشارة ... ليس إلى أحكامه فى الضبط الإجتماعى الايجابى وثواب الدنيا وثواب الأخرى ... ولكن إلى أحكامه في التوترات والمشكلات الأساسية في المجتمع كالقتل والسرقة والزنا وما إليها ، وكيف أنها تمثل ردعا هو بمثابة العلاج الناجع لهذة التوترات ، وفي نفس الوقت عبرة للغير بمثابة الوقاية من حدوثها مرة أخرة ، وهو ما يبغيه الضبط الاجتماعى كهدف نهائى له .

٥ — تقوم وسائل الاعلام الجماهيرى Mass Media في العصر الحديث بدور إيجابى وفعال في عملية الضبط الاجتماعى بما يجعلها تدرج ضمن وسائله ، فتقوم هذه الوسائل بمهمة التوعية والتوجيه والتعليم ، وكلها أمور تدعم من القيم السائدة وتساهم في تنشئة أفراد المجتمع على مبدأ التماسك الذى يتبعه الضبط الاجتماعى . فالانسان بما يشكل من مجتمعات متباينة مدفوع إلى الاعلام كوسيلة من وسائل الأشباع الاجتماعى في كل أبعاد حياته داخل هذه المجتمعات ، ففى مواجهة حاجة أعضاء المجتمع لحب الاستطلاع الدائم ومعرفه كل الأحوال والظروف التى تحيط بهم أولا بأول تقوم وسائل الاعلام بتوفير أغلب او كل المعلومات المتعلقة بالظروف المحيطة بالمجتمع وإرسالها بما يساير النظام الذى يسير عليه المجتمع . وفى مواجهة سعى الانسان الدائم إلى التزود بثقـافات معنية عما يدور حاليا او كان يدور فى المـاضى وكيفية التفكير حيال المشكلات والظواهر المختلفة هـادفـا من وراء ذلك كله إلي خلق ثقافة جديدة تواكب تطوره فى العصر

الحديث متقدما عمن كانوا قبله ، تقوم وسائل الاعلام بالعمل على نقل التراث الثقافي من أجيال خلت إلى الجيل الحالى مساهمة فى تراكبها مع الثقافة الحالية لنقلها جميعا إلى الإجيال القادمة بما يعتبر في حد ذاته مساهمة ايجابية في تنشئة الجيل الجديد من الأطفال أو المنخرطين حديثا فى المجتمع . كما لا يخفى أن العصر الحديث تكتنفه مشاكل كثيرة تحيط بالفرد من كل جانب ، فهذه المشاكل الاسرية وما تستلزمه من كد وتفكير رب العائلة لمواجهتها ، وتلك أعباء العمل التي تشغل الاذهان أغلب فترات الحياة ، وترتبط هذة وتلك بالاعباء التي تتصل بالجانب الاقتصادى والتي تمثل فى حد ذاتها مشكلة كبرى في حياة أفراد المجتمع ، ناهيك عن صعوبات الحياه اليومية وكذا مشاكلها الفرعية التي يقاسى منها الفرد جيئة وذهابا ، ولذلك كان لزاما على وسائل الاعلام مواجهة كل ذلك بتوفير جو من الترفية والتسليه تسرى به عن جماهير المسقبلين وتخفف عنهم أعباء الحياة اليومية : ومن مميزات العصر الحديث أيضا تفرد كل بلد بحكم مستقل عن البلاد الأخرى حتى وأن اتفقت أهـــدافها والمعسكرات التي ينحازون اليها ، وتساير وسائل الاعلام النظام الاجتماعى المعمول به داخل حدود الوطن الواحد ، ومن هنا تقوم بمساعدة النظام الإجتماعى المعمول به القائم بالحفاظ على كيانه ، ولن يتأتى ذلك إلا بترويض أعضاء المجتمع وتوعيتهم واقناعهم بجدوى ذلك النظام عن طريق تحقيق الإجماع أو الإتفاق بين أفراد الوطن الواحد حول مبادى وأهداف واحدة ووسيلتها فى ذلك الإقناع وليس العنف ، الإقناع فى السيطرة على

هذه الجماعات والأفراد وتوعيتهم بأهمية النظام القائم حتى تضمن قيامهم بالأدوار المطلوبة ... كل هذه الأمور وغيرها تجعل من وسائل الاعلام الجماهيرى وسيلة فعالة من وسائل الضبط الاجتماعى ، ولهذه الأهمية سنفرد الفصل القادم لايضاح كافة أبعاد الاعلام كوسيلة لتحقيق ذلك فى المجتمع .

الفصل الثامن

الاعلام : وسيلة ضبط وانضباط

- تمهيـــد
- البعد التعريفي للاعلام ووظائفه
- تطـور وأهمية الاعلام
- الاعلام : أنماط ووسائل
- الاعلام كعملية دينامية

الفصل الثامن

الاعلام وسيلة ضبط وانضباط

تمهيـــد

أن البحث في مجال العلاج والوقاية من المشكلات الإجتماعية والتربوية يتطلب التعرف على وسائل الضبط والأنضباط التي يمكن أن تقوم بهذه المهمة ، وإذا كانت وسائل الأمن والقضاء أضافة إلى الأسرة والمدرسة وغيرها من الوسائل الأساسية للقيام بذلك ، فان الأعلام بمفهومه الحديث - وحتى بتطبيقاته التقليدية - يجعل من التأثير - وهو أهم عناصره - في الأفراد والجماعات المراد وقايتهم أو علاجهم من الأمراض الإجتماعية المتفشية بينهم ، محكا أساسيا وهاما من منطلق تأثيره حتي في وسائل الضبط الأخرى ، ولذلك سيكون إهتمام هـــذا الفصل غير محدود بتلك الغاية بل سيتعرض إلى ما يشبه التحليل السوسيولوجي للاعلام [1] ، بحيث يبدأ بوضع مدخل تعريفي للاعلام يتضح من خلاله تحديد مفهوم الأعلام وأبعاده التي يمكن أن تكون محك تأثير في المجتمعات الحديثة من واقع نوعية المجتمع الذى تمت فيه ، وفي هـذا الصدد يكون من المفيد التعرف على مظاهر التطور الأعلامي في المجتمع بأعتباره ممثلا

---

١) د. جبار . عطيه جباره ، الأعـلام وأثره في العلاقات الإنسانية في الصناعية ، دراسة ميدانية مقارنة ، رسالة دكتوراة كلية الآداب ، جامعة الاسكندرية ، ١٩٨٠ ، ص ص ٦ - ٧٢ .

أساسيا للعلاقات الإجتماعية فى حالى إيجابيتها وسلبيتها ، وكونه تبعا لذلك نشاطا إجتماعيا رئيسياً منذ أولياته البدائية وحتي أحدث الحالات التي وصل إليها وأعتبر علما رئيسيا له موضوعاته ووسائله المتطورة،ولن يكون هذا الأمر متكاملا دون التعرف على كافة الوظائف الإجتماعية الاعلام ودورها في مناحي الحياة الإجتماعية وخاصة فيما يختص بالمشكلات، والتي يمكنها أن تلقي الضوء على الهدف الأساسى من الأعلام والمتمثل فى الأشباع الإجتماعي للانسان فى كافة أبعاد حياته داخل المجتمعات المختلفة التي ينضوى تحت أنظمتها وثقافاتها ومناحيها الإجتماعية الأخرى المختلفة ، ثم الانتقال إلى معرفة انماط ووسائل الأعلام الحالية . ثم ينتقل التحليل السوسيولوجى للاعلام مركزاً على العملية الاعلامية من خلال عناصرها التي تشمل أبعاداً مختلفة تكون فى كليتها الحركة الدينامية لهذه العملية بداية بالمرسل أو رجل الأعلام البادىء والمعد والمخطط للاتصال على القواعد والأسس التي تخيرها ، ثم بالمستقبل أو الجماهير العريضة التى تشمل كافة نوعيات أفراد المجتمع ، ثم بالوسيلة الأعلامية وبعدها المادة الأعلامية ويقتضى الأمر فى كليها ضرورة توضيح تقنيها وأبعادها التأثيرية، انطلاقا إلىمعرفة الأبعاد الإجتماعية للتأثير الأعلامي ومتطلبات هذا التأثير .

البعد التعريفى للاعلام ووظائفه :

١ - مر الأعلام L'Information عبر التاريخ بمراحل مختلفة استحوذت الصحافة على النصيب الأكبر فيها كوسيلة قد تكون وحيدة للاعلام خلال قرون عدة خلت ، إلا أن الاكتشافات العلمية الحديثة وكذلك التقدم التكنولوجى بعيد المدى الذى ميز القرن العشرين ، وفر للصورة ثم للكلام ثم

للتركيبة الناتجة عنها ما يعادل على الأقل ما وفرته الآلة الطابعة للكتاب ، حتى أن دور الإذاعتين المرئية والمسموعة والأفلام السينمائية بصدد نشر الأفكار وعناصر المعرفة المختلفة قد تجاوز القطاع الأخبارى وكذا الأحداث اليومية المصورة ، فالإذاعتين من خلال برامجها المنوعة والثقافية والتعليمية قد أسهمتا فى تدريب الرأى وتحـــديد تصرف الإنسان فى أوضاع مشابهة المطبوعات التي لا تنحصر فقط في الصحف السياسية أو الأعلامية ، وبعبارة أخرى فان وسائل الاعلام مها أختلفت فانها تمثل الاجهزة الرئيسية للعلاقات الإجتماعية المتعددة بسبب التعقد المتزايد للحاجات الإجتماعية بما فيها الرغبة فى الترفيه التي تراود دائما الاعضاء المكونين لهذه العلاقات (١).

٢ ـ وقد تستخدم الصيغـة الامريكية وسائل الاتصال الجماهيرى Mass Media ليس فقط للدلالة على المطبوعات بل مجموعة الوسائل الفنية التي تسهل عملية النشر إلى النطاق الكبير الذى ينتشر خلاله (٢) . إلا أن تساؤلا قد يثار فى هذا المجال عن الاصول الاولى التي يعود إليها الاتصال الجماهيرى بهذا المعنى ، والاجابة تعيدنا إلى أوائل عصر أختراع الطباعـــة بالحروف المتحركة في منتصف القرن الخامس عشر الميلادى ، رغم أن جذور الاعلام والاتصال ترجع إلى أبعد من ذلك . فمنذ وجد البشر وبدأ الكلام نشأت حاجة طبيعيةعند الإنسان لان يقول للاخرين ما يعلم وما يفكر به ولان يعرف

---

(1) Ter ou, F., L'Information, Prss Universitaires de Fra ce: Paris, 1974, pp. 6-8.

(2) Ibid . p. 9.

كذلك ما يعلمون هم به وما يفكرون فيه ، وكانت هذه الحاجة بالنسبة للجماعات البشرية الاولى شرط وجود ، فوسائل الاعلام البدائية ظهرت نتيجة لتحركات جماعات من البشر وتجمعهم ضد ظروف الطبيعة القاسية والأخطار التي واجهتهم فى تلك الفترات الاولى من تاريخ البشرية ، فقد كان الاعلام خلال هذه الفترة يدور حول تنقل الحيوان المراد صيدة لاشباع غريزة الطعام، ثم تنقلات العدو بعد أن كثر تعداد البشر وإنقسموا إلى أصدقاء وأعداء ، فكانت الانباء عن هذا أو ذاك تنتشر عن طريق الإشارات المنظورة من الاماكن العالية ، أو المسموعة عن طريق دقات الطبول ، ثم عن طريق الوسائل المكتوبة فيما بعد (١) .

٣ – واللغة كوسيلة للتعامل عرفت قبل التاريخ ، والابجدية عرفت منذ فجر التاريخ ، الفترة ما بينهما طور الإنسان طرقا مبتكرة لتخزين المعرفة ونقل المعلومات (٢) ، فمنذ القرن العاشر بدأ إستخدام الحمام الزاجل فى العالم الاسلامى ، ولما شاعت تربية الخيول إزداد البريد على طرق الإمبراطورية الرومانية ، ويرجع الفضل إلى الرومان أيضا فى نشر صحف الحائط . . واخذت الوسائل تتطور حتي تم إكتشاف الطباعة حيث كان المجتمع فى هذه الفترة التاريخية مهيئا ومستعداً لتطوير ذلك الاسلوب الجديد فى الكتابة وتدوين الافكار ، وإن إضطرت هذه المجتمعات إلى الانتظار حتي القرن

---

(1) Ibid., pp. 11 – 12.

(2) Schramm, W., Mass Communication, The University of Illinois Press, Urbana, 1960. pp. 3 – 5.

السابع عشر الميلادى حتى تكون مستعدة تماما لتقبل وسائل الأعلام الجماهيرى (١) .

٤ ـ الإعلام إذن ظاهرة إجماعية نشأت منذ أقدم العصور فى شتى المجتمعات الأولية أو مجتمعات فجر التاريخ أو مجتمعات العصور الوسيطة والإنتقالية أو المجتمعات الحديثة والمعاصرة . ولقد تطورت وسائل الأعلام وفقا لتطور هذه المجتمعات ، فانتقل الأعلام من مرحلة التبليغ الشخصى إلى مرحلة التبليغ المتبادل بين جماعات منظمة . ثم إلى مرحلة التبليغ الجماعى عن طريق وسائل الاتصال الجماهيرى كالصحافة والإذاعة المسموعة والإذاعة المرئية ووكالات الأنباء وغيرها . ومثلما إستخدم الأعلام لتحقيق أهداف وأغراض سامية ونبيلة إستخدم أيضا لتحقيق اهداف وأغراض شريرة ، ذلك أن طبيعة الأعلام هى التي تحدد النتائج التي تترتب عليه ، فالأعلام يمكنه أن يكون ضاراً ومشكلا مثلما يستطيع أن يكون نافعا ، فلئن كانت وسائل الأعلام قادرة على نشر المعرفة وتزويد الناس بالمعلومات والحقائق الكفليلة بتوسيع آفاقهم ، فانها تستطيع ايضا أن تزيف الحقائق ، ومن ثم تستطيع أن تفرض على الناس مفاهيم وآراء هابطة مضادة لما يتطلعون إليه من اهداف وقيم إجتماعية سامية (٢) .

٥ ـ يعتبر الاتصال إذن الأساس الذى يقوم عليه الأعلام ، وفى هذا

---

١) د. جيهان أحمد رشتى ، مرجع سابق ، ص ١٣ .

١) د. عبد القادر حاتم ، الأعلام والدعاية : نظريات وتجارب ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرية ، ١٩٧٣ ، ص ٤٢ .

يقول جورج لندبرج G. Lundberg أن كلمة إتصال Communication تستخدم لتشير إلى التفاعل بواسطة المعاملات والرموز ، فى هذه الحالة قد تكون حركات أو صور أو لغة أو ما إلى ذلك مما يعتبر منبهاً للسلوك ، وما قد ينتج فى هذه الحالة لا يتم إلا إذا تمكن الأفراد المرسلة إليهم هذه الرموز من الاستعداد لتقبل مثل هذا المنبه بالطريقة التى سيبث بها إليهم ، وعليه فان الاتصال نوع محدد من التفاعل يحدث بواسطة الرموز اللغوية بما يؤدى إلى زيادة الفهم وتخفيف التوتر [١] .

وعموما فان الاتصال يتضمن كل العمليات التى يؤثر بمقتضاها أعضاء البناء الإجتماعى بعضهم على البعض الآخر ، ومن هذه الزاوية فان الاتصال يتم بين طرفين أو جهتين مرسل ومستقبل ، وقد تكون هاتان الجهتان فردين أو أكثر وقد تكون أحدها فرداً والأخر جماعة ، مما يمكن معه أن ندخل وسائل الأعلام فى عملية الاتصال لتقدم اما رسائل أو أخبار أو غير ذلك عن طريق إستخدام آلات الطباعة عبر الصحف والمجلات والكتب المنوعة ، أو لتنقل للعيون والآذان ما يدور من أحداث فى أنحاء العالم المختلفة ، بالإضافة إلى تقديم البرامج الثقافية والترفيهية والتعليمية المختلفة عن طريق الاذاعتين المرئية والمسموعة والسينما [٢] .

يعتبر الأعلام إذن وسيلة من وسائل الاتصال الأساسية التى تقوم بهذه

---

(1) Lundberg, G., Foundations of Sociology, Mac Millan, New York, 1968, pp 3–20.

٢) د. جيهان أحمد رشتي ، مرجع سابق ، ص ٤٦ .

العملية الاجتماعية بين جميع البشر من خلال اهدافه محددة توضح عن طريق تخطيط مقتن بغرض التعرف بما يجرى داخل او خارج المجتمع الواحد بواسطة الاخبار والانباء المختلفة الانواع ومساهمتها في عمليات التعليم والترفيه والاقناع وغير ذلك ، حتي تجعل من الافراد مشاركين فعليين في عملية الاتصال تحقيقا او إشباعاً لرغباتهم في فهم ما يحيط بهم من ظواهر وتعلم مهارات وفنيات جديدة لم يكونوا يعرفونها من قبل ، وايضا في الاستمتاع والتمتع ترفيها بغية الهروب من المشاكل التى تكتنف الحياة اليومية ، وراحة من اعباء العدل وما قد يشغل البال ، واخيراً في الحصول على معلومات وثقافات متباينة قد تكون جديدة بينهم تساعد على إتخاذ القرارات والتصرف بشكل يعد مقبولا إجتماعيا . وكل ذلك — كما اوضحنا — يكون بتخطيط مقصود يمكن ان يوجه لضبط فعل إجتماعي معين يسير في طريق السلب من التفاعل ، مما يمكن معه إستخدام هذه الوسيلة من وسائل الاتصال — بطريق مباشر او غير مباشر — في الحد من تفشي نوعيات معينة من التوترات والمشكلات ، أو توجيه المستقبلين بغية الوقاية من حدوث او وقوع نوعيات أخرى لم تحدث .

٦ — قد يكون الانسان بما يشكل من مجتمعات متباينة مدفوعا إلى إستخدام الاعلام كوسيلة من وسائل الأشباع الاجتماعي في كل ابعاد حياته داخل هذه المجتمعات ، وإذا كان هذا الاشباع هو الهدف الأساسى من الاعلام ، إلا ان وظائفه الاساسية وما يؤديه الاتصال بصفة خاصة المجتمعات الحديثة قد يلقى مزيداً من الضوء على هذا الهدف من كافة النواحى النفسية والاجتماعية والسياسية .

وفيما يلي عرض موجز لتلك الوظائف التي يمكن من خلالها التعرف على أهداف الإعلام كواحد من أهم مناشط الحياة الإجتماعية التى تساهم فى الضبط والأنضباط الإجتماعيين :

أ) في مواجهة حاجة أعضاء المجتمع لحب الاستطلاع الدائم ومعرفة كل الأحوال والظروف التي تحيط بهم أولا بأول ، وما قد يصاحب ذلك من مشكلات ، تقوم وسائل الأعلام عموما بتوفير أغلب أو كل المعلومات المتعلقة بالظروف المحيطة بالمجتمع وتجمعيها في نشرات الأخبار السياسية والفنية والأدبية والرياضية وغيرها ، ثم إرسالها برموز لغوية وألفاظ منسقة تخدم أشباع هذه الرغبة من جهة بثها بحيث تساير النظام الذى يسير عليه المجتمع متمثلا فى طريقة البث تلك ، وتقف أمام تفشى التوترات التي قد تصاحب أشباع هذه الحاجة بطرق أخرى .

ب) يسعى الإنسان دائما إلى التزود بثقافات معينة عما يدور حاليا أو كان يدور فى الماضى وكيفية التفكير حيال المشكلات والظواهر المختلفة هادفا من وراء ذلك إلى خلق ثقافة جديدة تواكب تطوره فى العصر الحديث متقدما — بمعيار أو بآخر — عمن كانوا قبله ، ولذا تقوم وسائل الأعلام بوظيفة العمل على نقل التراث الثقافى من أجيال خلت إلى الجيل الحالى مساهمة فى تراكمها مع الثقافة الحالية لنقلها جميعا إلى الأجيال القادمة ، كما تقوم وسائل الأعلام — فى هذا الصدد أيضا — بالمساهمة والمساعدة على تنشئة الجيل الجديد من الأطفال أو المنخرطين حديثا في المجتمع ، وبذلك يقوم الأعلام بوظيفة تربوية تخلو تماما من المشاكل التربوية التى تصيب غيره من الوسائل إذا استثنينا مشاكل المضمون .

ج) لا يخفى أن العصر الحديث تكتنفه توترات ومشكلات كثيرة تحيط بالفرد من كل الجوانب ، فهذه المشاكل الأسرية وما تستلزمه من كد وتفكير رب العائلة لمواجهتها ، وتلك أعباء العمل التي تشغل الأذهان أغلب فـــترات الحياة ، وترتبط هذه وتلك بالأعباء التي تتصل بالجانب الإقتصادى والتي تمثل في حد اتها مشكلة كبرى في حياة أفراد المجتمع ، ناهيك عن صعوبات الحياة اليومية وكذا مشاكلها الفرعية التي يقاسي منها الفرد جيئة وذهابا . ولذلك كان على وسائل الأعلام - بأعتبارها أداة ضبط وإنضباط - توفير جو من الترفيه والتسلية تسرى به عن جماهير المستقبلين وتخفف أعباء الحياة التي يتحملونها في صبر وأناة كي يسهوا عنها ولو لفترات قليلة هي تلك الأوقات التي يخلدون فيها لاستقبال مواد هذه الوسائل وبرامجها .

د) يؤدى الأعلام ايضا وظيفة سياسية تقي المجتمع شرور التوترات التي قد لا تقف عند حد التغلغل في الوظائف بل قد تمتد إلى البناء ايضا ، فمن مميزات العصر الحديث تفرد كل بلد بحكم مستقل عن البلاد الأخرى حتي وإن إتفقت أهدافها ومعسكراتها التي ينحازون إليها ، وتساير وسائل الأعلام النظام الإجتماعي المعمول به داخل حدود الوطن الواحد ، ومن هنا كانت وظيفتها السياسية مساعدة النظام الإجتماعي القائم للحفاظ على كيانه ، ولن يتأتى ذلك إلا بترويض الجماهير وتوعيتها وأقناعها بجدوى ذلك النظام عن طريق تحقيق الاجماع أو الاتفاق بين أفراد المجتمع الواحد حول شعارات ومشتقات وأهـــداف واحدة ، ووسيلتها في ذلك الأقناع وليس العنف ، الاقناع في السيطرة على هذه الجماهير وتوعيتها بجدوى النظام حتى تضمن قيامها بالأدوار المطلوبة .

٧ ـ ونتيجة لكل هذا يمكن أعتبار الاتصال الأساس الذى يقوم عليه الأعلام ،ومفهوم الاتصال يطلق على تلك العملية التي ينقل بمقتضاها الشخص القائم بالاتصال الأفكار والمعلومات المراد بثها بهدف تعديل سلوك وإتجاهات الأفراد الآخرين الذين يستقبلون هذه المادة بشريطة أن تكون مادة الاتصال مقصودة حتي يتم نقلها بطريقة متعمدة . وهكذا يشير الاعلام فى تحديد مفهومه للدلالة على عمليتين في وقت واحد تكمل أحداها الاخرى ، فهو يشير من جهة إلى عملية إستقاء وإستخراج المعلومات والحصول عليها ، ومن جهة أخرى إلى إعطاء وبث هذه المعلومات للاخرين . أو بمعنى آخرى ينطوى الاعلام على فكرة الاخراج في سبيل الاطلاع ،ومن هنا يمكن أن يشير مدلول الاعلام إلى وسائل النشر التكنولوجية الحديثة والمتطورة وإلى حرية النشر الممنوحة فى أغلب دساتير وشرائع ونظم البلدان المختلفة ، وإلى الانشطة الإجتماعية الاساسية التي جعلت من هذه الوسائل التكنولوجية أعمدتها الرئيسية.

تطور وأهمية الاعلام :

أن تطور الاعلام أو الاتصال بالجماهير في العصر الحديث جعله صناعة معقدة واسعة الانتشار ، كما أنه في كثير من الاحيان يشكل تحديا خطيراً لكل من الحاكمين والمحكومين (١) ، فالحاكم المخلص الامين يستخدم الطرق الحديثة للاعلام والاتصال الجماهيرى بغية جعل العمليات الإدارية أو الحكوميه أو الصادرة عن السلطة محل فهم وتقدير كبيرين عند المحكومين .

---

(1) Rubin, B., Public Relations and the Empire State, Rutgers University Press, New Jersey, 1958.

ومن هنا يثبت مدى تطور وسائل الاعلام ، ومدى تأثير وتأثر السلطة بها قديما وحديثا . وإذا جاز لنا تصنيف هذه الوسائل تصنيفا تاريخيا بحسب ظهور الافدم فالاحدث وهكذا ، فانه لا يمكن أغفال ما تتمتع به الوسائل الأحدث ظهوراً من تأثير أكبر من تلك الاقدم ، ومن جهة أخرى فان هناك بعض الوسائل القديمة كالصحافة مثلا قد طورت نفسها بحيث أصبح لا غنى عنها لجميع فئات جماهير المجتمع ، ومن جهة ثالثة ان تغنى وسيلة حديثة عن أخرى سابقة لها الظهور بل قد يزداد تأثيرها .

وفيما يلي التطور التاريخي لوسائل الاعلام منذ نشأته البدائية الاولى وحتي المرحلة الراهنة :

١ ـ منذ نشأت البشرية والانسان في حاجة إلى الآخرين من بني جنسه كي يتبادل معهم المنافع والمصالح ، ثم كان أكتشاف اللغة فكان بديهيا أن تكون الحاجة الاساسية هي تبادل الافكار والخلجات المختلفة وأستخلاص جل ما يتوصل إليه كل منهم من الآخرين من معلومات نافعة وأفكار مفيدة . وهذه هي الضرورة الهامة للتجمعات الانسانية منذ بداية تكوينها ، وهي ضرورة توحي لاول وهلة أن الاعلام بمعناه الحديث كان معروفا من قبل ، إلا أن الوسائل التطبيقية لم تكن بالصورة المتقدمة حاليا ، ففي العصور البدائية الاولى كان الاعلام يصدر بطرق جد بدائية ، حيث كان يقتصر على معرفة الاماكن التي يمكن أن يسير أو يختبيء فيها الحيوان المراد صيده أشباعا لغريزة الطعام ، أو معرفة الاماكن التي يتمركز فيها العدو ، والوسيلة لذلك كانت الاشارات أو دقات الطبول أو الاتصالات الشخصية المباشرة بواسطة مندوبين مهمتهم

إيصال الخبر أو النبأ كلاميا (١) ، ويمكن أن يطلق لفظ « الاعلام الفطرى » على تلك المرحلة البدائية، حيث أن الجماعات البدائية لم تكن تصل إليها الحقائق والمعلومات إلا بالطرق الفطرية البحتة ، فساكن الصحراء أو المناطق النائية عن العمران يعرف بفطرته شيئا عن مواضع الطعام والكلأ ومنابع المياه وكذا مطالع مسار النجوم التي يهتدى بها فى سيره ليلا ، ويمكن أن يقال نفس الشيء عن تعرفه على أخبار القبائل الأخرى المحيطة بقبيلته وطبيعتها وعاداتها وتقاليدها وما إلى ذلك (٢) .

٢ ـ وقد ساهم الرومان أيضا فى تطوير وسائل الأعلام البدائية حين نشروا لأول مرة نوعا من صحف الحائط التي تعبر عن مكنون ما يفكرون فيه وما يسعون إليه (٣) ، واضعين نصب أعينهم فتوحاتهم الكبيرة وأمبراطوريتهم العظيمة التي أرادا لها امتداداً وإتساعا ، فساهموا بذلك فى توعية قراء هذه الصحف نحو اهدافهم المحددة والتأثير فيهم واقناعهم . كما لم يغفل الرومان إهتمامهم بالقانون الوضعي ونشرهم اياه عن طريق صحف الحائط المشار إليها .

كما استخدمت الكتل الخشبية لطباعة العديد من الكتب والوثائق الصغيرة خلال العصور الوسطى، وأخذت وسائل الكتابة والطباعة تتطور بشكل أو بآخر

---

(1) Terrou, F., op. Cit., pp. 11 – 16.

٢) د. عبد اللطيف حمزه ، الاعلام له تاريخه ومذاهبه، دار الفكر العربى ، القاهرة ، ١٩٦٥ ، ص ٣٠ .

٣) د. جيهان أحمد رشتي ، مرجع سابق ص ١٣ .

حتي منتصف القرن الخامس عشر الميلادى تقريباً وبالتحديد فى عام ١٤٣٦ حين ظهرت على يد جوتنبرج [١] ، مما جعل جماعات الجماهير القارئة تتزايد يوما بعد يوم .

وقد ساهمت حركة ما يطلق عليه الإصلاح الدينى البروتستنتي وظهور عصر النهضة بملامحه المختلفة وتطوراته المتباينة في تحرير العقول لإستيعاب الأفكار الجديدة والمعلومات الجريئة التي كانت تنشر على جماهير ذلك العصر والتى كانت تتزايد بصفة مستمرة ودائمة موسعة بذلك دائرة القراء إلى العديد من الفئات الإجتماعية التي لم يكن لها دور قبل ذلك فى الشئون العامة [٢]

٣ ـ ولم تظهر أول صحيفة مطبوعة إلا فى بداية القرن السابع عشر الميلادى في أنفرس ببلجيكا ، بينما ظهرت الصحف فى انجلترا عام ١٧٢٠ وفى فرنسا عام ١٧٧٧ وفي الولايات المتحدة الامريكية عام ١٧٨٩ [٣] ، وقد تتابع تاريخ الصحافة فى هذه البلدان وغيرها بدءا بالمقال السياسى الذى كان وما زال يشكل جوهر الصحيفة اليومية حتى توجهت هذه الوسيلة الإعلامية فيما بعد نحو الإلتزام والنضال فاذا بها تفسح المجال للمظلوم كي يعلن عن شكواه رغم أن هذا لم يكن متاحا لغالبية طبقات الجماهير وذلك بسبب الإرتفاع النسبي لأسعار الصحف وكذا بسبب هيمنة الدول عليها والسيطرة على مواد تحزيرها ، إلا أنه من المسلم به أن الصحف والصحف اليومية بالذات أخذت

---

١) د. عبد اللطيف حمزة ، مرجع سابق .

٢) د. جيهان أحمد رشتي ، مرجع سابق ، ص ١٤ .

٣) د. محمد عبد القادر حاتم مرجع سابق ، ص ٣١ .

تزداد وتتقدم على مر السنين والأيام بحيث أصبحت الصحافة في كايتها ترتبط ارتباطا وثيقا بالنظام المعمول به فكان لابد والحال هذه من توجيه نشاطها مهنيا وتحسين أوضاعها كي تكون بمنجى من الأزمات

ولا شك أن التقدم السريع للصحافة يرجع إلى التنافس الشديد والحاد بين الصحف المختلفة في ارضاء أذواق الجماهير وزيادة الأعمدة المثيرة لهم اشباعا لرغباتهم المتجددة دائما في الاطلاع والتعرف على الأنباء أولا بأول وخاصة في أعقاب الأزمات والانقلابات والحروب الإاليةوالحروب المحدودةوالحروب العالمية ، كما أن هذا الاهتمام من ناحية أخرى يمكن أن يعزى إلى تكاثر السكان المتزايد بسرعة رهيبةوتطور الاقتصادتطورا ملحوظا والتقدم العلمى والتكنولوجى الهائل والبعيد المدى ، مما مهد السبيل كي تنطلق الصحافة تلك الانطلاقة الكبرى التي شملت العالم أجمع (1) .

٤ — وسيرا على المنوال التاريخى لكيفية ظهور الاعلام بصورة مثالية تواجه أعباء وحاجيات العصر الحديث الملىء بالتعقيدات الاجتماعية المختلفة والمشكلات التي لايخلو منها أى بيت ، فان بقية وسائل الاعلام الجماهيرى الأخرى المتعدده والتى لاتتوقف عند كونها وسائل مكتوبة ، انتقلت الى الناحيتين السمعية والبصرية ثم جمع هاتين الناحيتين في وسائل جديدة موحدة فقد ظهرت تباعا بعد ذلك تبعاللتطور الزمنى المتعاقب الذى استوجب ظهورها ونشأتها متتالية لتصل إلى ما هى علية اليوم . فمنذ عام ١٩١٤ م حتى يومنا هذا اتضحت ورسخت قدم الاعلام الحديث ، إذ نمت الصحافة نموا

(1) Terrou, F., op. Cit., pp. 44-46.

إختلف تحديد تطورة من مكان لآخر ، كما تطورت الخصائص التي يضفيها التصنيع على تركيبها الاقتصادى والسياسى والاجتماعي ، وتبدل الوضع وتغير بعد التقدم التكنولوجى وظهور الاذاعتين المرئية والمسموعة والسينما [1] وغيرها من الوسائل . وبذلك حطمت الوسائل السمعية البصرية احتكار الصحافة ونازعتها المبادرة في الحقل الاعلامى

ومن العوامل الرئيسية والهامة التى جعلت هذا التطور حتميا تغير المناخ الذهنى والعالم السياسى والاقتصادى والاجتماعي ، فأصبح الاعلام على هذا الأساس وسيلة جوهرية لممارسة الحرية العامة أو العمل السياسى ، وأصبح

---

(١) ظهرت أول وكالة أنباء عام ١٨٣٥ م وهى « وكالة هافاس » ثم تبعتها وكالة « أسوشيتد برس » عام ١٨٤٨ م . وفى منتصف القرن التاسع عشر ظهرت الصورة الفوتوغرافية ، ثم اخترع صمويل مورس التلغراف ، وفى عام ١٨٧٦ م اخترع جراهام بل التليفون ثم تلاه أديسون فاخترع الفوتوغراف . وقد تم أول اتصال لاسلكى في انجلترا عام ١٨٨٢ م ، كما افتتحت أول دار للسينما بباريس فى ٢٨ ديسمبر ٨٩٥ م ، وسمعت الاذاعات الأولى فى كل من انجلترا وفرنسا والولايات المتحدة الأمريكية ما بين عامى ١٩٢٠ و ١٩٢٢ م ، وفى ٣٠ نوفمبر ٩٢٥ م صدرت أول صحيفة ناطقة في فرنسا أنشاتها محطة برج ايفل ، وفى عام ١٩٤٩ م ظهر أول شريط اذاعى مرئى للاخبار .

ويمكن الرجوع فى كل هذا إلى :

- د . جيهان أحمد رشتى ، مرجع سابق ، ص ٣٣٤
- د . عبد اللطيف حمزه ، مرجع سابق ، ص ص ١٢ - ١٤
- Terrou, F., op. Cit., pp. 13-42 .

أيضا السند الأساسي لكل نشاط إجتماعي سواء كان عاماً أو خاصا، ونتج عن كل ذلك ازدياد الصراع والتنافس من أجل سيادة وسيطرة وسائل الاعلام.

أن عوامل وخصائص تطور وسائل الاعلام في العصر الحديث هي عينها العوامل والخصائص التي أتاحت تحديد وضعها الحالي، وتتعلق هذه العوامل وتلك الخصائص في جل ما تتعلق بالوضع السياسي الذي يكتنف بلاد المعمورة المختلفة، وكذلك بالوضع الاقتصادي والاجتماعي لما لهما من تأثير لاينكر على ما كل يدور داخل نطاق الشئون العامة ومن الملاحظ في هذا الصدد أن الاعلام في أي بلد ـ كان تابعا لهذا المعسكر أو ذاك ـ انما هو في حد ذاته أداة سياسية وعامل نمو اقتصادي وإجتماعي بما تقوم به من توعية وتعليم وتثقيف وتربية، سواء كان الاعلام حرا أم احتكرته السلطة (١).

الاعلام : أنماط ووسائل

رغم تنوع وسائل وأدوات الاعلام الحديث، فانه مازال يسعى جاهدا كي يرقى بأهدافه سلم التطور صعودا من الحسن إلى الأحسن وقد وضع تصنيف لأنماط الاعلام عموماً سواء ما كان منها مرسلا عن طريق الوسائل التكنولوجية والفنية المعروفة، أو ما كان منها قائما بين الأفراد في علاقاتهم المختلفين، واضعين على قمة هذه الأنماط « الاعلام الفطري » المشار اليها أنفاً، ثم تتدرج الأنماط بحيث يمكن تحديدها على النحو التالي :

١ ـ اعلام اليومي : وهو الذي يحصل عليه كل عضو في البناء الإجتماعي للجماعة الإجتماعية التي يتفاعل معها عن طريق بيته الذي يعايش فيه أسرته،

(1) Ibid., pp. 43-44.

أو عمله حيث جماعات العمل وتنظيماته المختلفة رسمية كانت أو غير رسمية ، أو حتى أثناء سيره مع المارة أو جلوسه فى الأماكن العامة واختلاطه بالناس عن طريق الوسائل الاعلامية الطبيعية التي يخضع لها خضوع غيره فى المجتمع الواحد : إلا أن أخبار الأسرة والأقرباء والزملاء وغيرهم مفضلة فى أغلب الأحيان عن الأخبار العامة سياسية كانت أو فنية أو اقتصادية أو غير ذلك .. ومن هنا كان الاعلام اليومى فى العصر الحديث قريبا فى روحه من الاعلام الفطرى أو هو صورة مكبرة منه .

٢ ـ الاعلام العاطفى : وسمته المميزة الذاتية أو التعصب ، ويمكن تعريفه ببساطة بأنه ذلك الاعلام الذى يحصل عليه كل عضو فى بناء الجماعة الاجتماعية من خلال انضمامه لحزب أو منبر من المنابر السياسية أو جمعية أو هيئة من الهيئات الاجتماعية أو نادى ينافس فى مجال الرياضة .. وعموما من خلال انضمامه لأحد الأنشطة التى تتنافس فى مجال السياسة أو الرياضة أو الفن أو ما إلى ذلك .

٣ ـ الاعلام العقلى : وهو أرقى أنواع الاعلام ، إذ أنه ليس من البدائية حيث يندرج تحت الاعلام الفطرى ، كما أنه لا يميل أن يكون اعلاما يوميا بحيث ينظر فيه الفرد تحت قدمية فقط ولا يهتم إلا بما يدور فى نطاقه ، وهو أيضا لا يتسم بالذاتية أو التعصب الذى يعتبر فى حد ذاته عيباً رغم تلون الكثيرين به .. إنما هو اعلام يتسم بالموضوعية التى تعلو في حد ذاتها علوا بينا وظاهرا على الذاتية والعاطفة ، وتحل فيه الإحصاءات والأرقام والحقائق المجردة دون زيف أو خداع محل الصيغ والأساليب والبلاغات التي لا طائل من

ورائها ، ولذ يكون التعريف الامثل للاعلام فى هذه الحالة هو تعريف العلامة الألمانى أوتوجورت والذى يقول فيه : «أن الاعلام هو التعبير الموضوعى لعقلية الجماهير ولروحها وميولها واتجاهاتها في نفس الوقت » (١) .

ويمكن أن نخلص من كل هذا إلى تحديد وسائل الاعلام المختلفة عن طريق الحصر فيما يلى :

١ ـ الكتاب : ما من شك أن بين دفتي كل كتاب اعلام كامل يؤدى وظائفه العامة من حيث التثقيف والتوجية والتربية وحتى الترفية يمكن التزود به من خلال قراءة الكتب ، ودونما مغالاة أو مبالغة فان الكتب هى أساس الاعلام ، بل هي أم وسائل الاعلام الأخرى .

٢ ـ الخطبة : تحمل كل خطبة فكرة أو معنى سياسيا كان أو دينيا أو إجتماعيا أو غير ذلك ، مما يساهم بدوره فى عملية الاعـــلام بأهدافها المختلفة ، فهى أذن وسيلة جوهرية من وسائله .

٣ ـ النشرة : تعتبر النشرة المبدأ الأول للاعـــلام ، ولذا خرجت منفصلة هكذا مكتوبة أو مسموعة أو مرئية ، فهى فى حد ذاتها وسيلة اعلامية أساسية .

٤ ـ الندوة : تشتمل الندوة على عديد من الأفكار التي تناقش من كل الزوايا بواسطة عدد من المتخصصين فى المجالات المختلفة ، ولذا فان مساهمتها الثقافية والتعليمية تعتبر اساسية وجوهرية ، مما يجعلها بالتالى تندرج ضمن وسائل الاعلام .

---

(١) د. عبد اللطيف حمزة ، مرجع سابق ، ص ص ٢٣ ـ ٣٢

٥ — المؤتمر الصحفى أو العلمى أو الأدبى : الذى يحظى باهتمام الصفوة نظراً لما يشيعه من أفكار جديدة فى المجال المطروح إزاؤه .

٦ — المناظرة : التي تتم بين فكرتين متعارضتين ومناقشتهما من كل الزوايا المختلفة مناقشة نقدية وصولا لهدف الخروج بالنافع منهما وحيث نشأت ذلك ، مما يفيد فى مجال التعليم والتثقيف والتنقيب عن الأصلح بما يمكن معه تطبيق أهداف الاعلام عليها .

٧ — السوق أو المعرض : بما يبرزه من سلع ومعروضات مختلفة الأنواع تفيد فى تحديد الثقافات التى تنبع منها هذه وتلك ، وبالتالى يمكن الإستفادة منها فى تحديد وتوجيه ثقافة الجماهير .

٨ الصحافة : وهى لا تستدعى التعريف بها ، حيث أن ظهورها فى حد ذاته كان ظهوراً حقيقيا للاعلام كعملية علمية لها وسائلها المتعددة التى تقوم بوظائفها المختلفة ، ويمكن أن تدرج الصحافة على قمة هذه الوسائل .

٩ — المسرح : يعتبر المسرح وسيلة أساسية من وسائل الإعلام ، نظراً لمـــا يعرضه من مسرحيات أدبية أو سياسية ، فكاهية أو مأساوية ، تسلية وثقافة وتعليما للجماهير المشاهدة .

١٠ — السينما : التى تساهم بنصيب وافر لا يمكن إغفاله أو إنكاره فى عملية الترفيه التى تعتبر أحد أهداف الاعلام ، وقد تساهم أيضا فى تحقيق الأهداف الأخرى .

١١ — الإذاعة المسموعة : وهى أكثر وسائل الإعلام تأثيراً فى العصر

الحديث ، وذلك لكونها تعتمد على حاسة واحدة ـ السمع ـ فقط ، مما يجعلها أكثر إنتشاراً بين جموع المستقبلين بسهولة ويسر دونما نظر إلى كون المستمع متعلما أو مثقفا أو عنده إستعداد من أى نوع ، لذا كان تأثيرها بالتـــالى أعظم وأشد .

١٢ ـ الإذاعة المرئية (التليفزيون) : وقد ظهر بنشأتها تنافس قوى دخلت هى طرفا فيه مع الصحافة من ناحية ، ومع الإذاعة المسموعة من ناحية أخرى ، بل ومع السينما وباقى الوسائل الاعلامية الأخرى ، لأنها تغطى الشقين معا ـ الاستماع والمشاهدة ـ وتنقلها إلى حيث يقطن المستقبل بحيث لا يعانى مشقة الإنتقال إلى دور العرض ، ومن هنا يمكن أن تغنى عن هذه الوسائل المختلفة والمتنوعة .

١٣ ـ وكالات الأنباء : التى تقوم بنقل الانباء المحلية والعالمية إلى جميع أنحاء العالم ودورها قد يكون سياسيا وحسب ، إذ أن عملية النقل المشار إليها لا تتم إلا بالطريقة التى تساير أهداف المجتمع التابعة له .

١٤ ـ العلاقات العامة : وتتواجد داخل الأعمال ، وتعمل على رأب الصدع الموجود بين الإدارة والعمال ، وتوطيد العلاقات مع مرافق الدولة الأخرى ومع كافة الجهات الداخلية والخارجية التى تتعامل معها هذه الأعمال، كما أنها تقوم بالدعاية والاعلان للجهة التابعة لها .

ويمكن تصنيف وسائل الاعلام بطريقة أخرى كما يلى :

أ) الوسائل المقروءه ، كالصحــافة ووكالات الانبــاء والمطبوعات من كتب ونشرات وملفات .

ب) الوسائل السمعية ، كالاذاعة المسموعة والندوة والمناقشة والخطبة والمحاضرات .

ج) الوسائل البصرية ، كالفنون واللوحات التشكيلية والنحت ولرقص .

د) الوسائل السمعية البصرية ، كالاذاعة المرئية والسينما والمسرح .

ه) الوسائل الشخصية ، كالمقابلة والحادثة (١) .

الاعلام كعملية دينامية :

يقوم الاعلام أساسا بهدف توعية وتثقيف وتعليم وإقناع مختلف أنواع الجماهير التى تستقبل وسائله المختلفة ، وتتابع ما تبثه وترسله من برامج ومقالات ومواد إعلامية ، وفى هذا الصدد يجب أن تكون هناك فكرة معينة تدور حول معنى سياسى أو إجتماعي أو غير ذلك مرسلة يهدف مقدمها أو كاتبها إلى توصيلها لتلك الجماهير . والفكرة التى تشمل هذه المادة أو تلك تمر فى سلسلة من المراحل بداية بالمرسل حتي تصل إلى الجمهور أو المستقبل ، وهذه المراحل هى ما يشتمل عليه الاعلام عموما والتي يطلق عليها « عناصر الاعلام » ويمكن تحديدها فى :

أولا : المرسل L'éxpéditeur أو رجـل الاعلام المنوطة به عملية الاعلام أساسا .

ثانيا : المستقبل Le Destinataire أو الجمهور الذى يعتبر لب العملية

١) د. محمد عبد القادر حاتم ، مرجع سابق ، ص ص ٩٧ — ٩٨ .

الاعلامية لأن ما يشتمله عموما يوضع بغرض إقناعه والتأثير فيه .

ثالثا : التأثير L'influence الذى يتركه البث أو الإرسال الاعلامى فى جماهير المستقبلين ، ويجب عدم إغفال الأذواق الخاصة والثقافة الخاصة والمفاهيم والمعتقدات والبيئة والتطلعات .... الخ .

رابعا : وسيلة الإتصال أو الاعلام المقروءة أو المسموعة أو المرئية ودو ها فى إرضاء أذواق المستقبلين والتأثير فيهم .

خامساً : المادة الاعلامية ومدى الاهتمام بها لإرضاء الجماهير المختلفة وإقناعهم بما يتناسب مع الوسيلة التى ترسل هذه المادة .

وفيما يلى سنستعرض أبعاد عناصر الاعلام من خلال مناقشة موضوعية لما يشتمل عليه كل من هذه العناصر ، مع التركيز على ترابط هذه الحلقات فى سلسلة دينامية واحدة متعددة المراحل ولكنها تهدف فى النهاية إلى غاية واحدة .

١ – المرسل :

تمر المادة الاعلامية بعدة مراحل وهى تنتقل من المنبع الذى يبثها أو يرسلها حتى تصل إلى المستقبل الذى يتلقاها ويعيها . وتشبه هذه المراحل فى تتابعها وتشابكها وارتباطها السلسلة المكونة من عدة حلقات [١] تقصر وتطول حسب نوعية المادة المرسلة وحسب الجمهور الذى يستقبلها وأيضا

---

1) Schramm, W., op. cit , p. 175.

حسب المرسل الذى يقوم بايصالها للجماهير ويمكن التعبير عن ذلك من كون عملية الاعلام ذاتها عبارة عن شبكات وحلقات متعددة من الأنظمة المتباينة والمتصلة كل منها مع الأخرى بطرق مختلفة ومعقدة التشابك بحيث تقوم وسائل الإعلام بوظيفة هامة عن طريق رجل الإعلام أو الشخص المنوط به وضع وإيصال الفكرة إلى جمهور المستقبلين سواء كانوا قراء أو مشاهدين أو مستمعين أو ما إلى ذلك ، فتوضع الفكرة العامة الاعلامية على هيئة رموز ينبغي على المرسل فكها وسبر ما يحيط بها من أسرار ثم يقوم بتفسير أبعادها المختلفة إيذانا بمنهجة المعلومات التي تحتويها وتخزينها حتى يتم إرسالها بصورة نهائية فيتلقى المستقبل أو الجمهور المادة الاعلامية التي سارت فى هذه الحلقات المتشابكة من سلسلة العملية الاعلامية . وهو ـ أى المستقبل ـ يعتبر في نفس الوقت حلقة أو جزءا من شبكة علاقات داخل الجماعة ، وهذا ما سيتم إيضاحه بالتفصيل حين عرض موضوع « المستقبل » كعنصر آخر من عناصر الاعلام .

وهكذا تمر معلومات المادة الاعلامية بمراحل مختلفة حتى تظهر فى النهاية من خلال وسائل الاعلام المتعددة سواء كانت صحافة أو إذاعة مرئية أو إذاعة مسموعة أو غير ذلك وفي كل مرحلة من هذه المراحل يتلقى المرسل المادة ويتمتع بحق نقلها إلى المرحلة التالية أو لاينقلها إن وجدها ـ من وجهة نظره وحسب المقاييس الموضوعة ـ لا تصلح كمادة إعلامية أو يعد لها بالصورة التي يراها ملائمة ومناسبة ، وهكذا تقع على عاتق المرسل أو رجل الإعلام مهمة تحديد ما إذا كانت هذه المادة ستصل إلى المرحلة التالية بنفس الشكل الذى جاءت به أم سيدخل عليها بعض التعديلات بحيث يمكن القول إنه عنده

السلطة الكاملة فى إتخاذ القرار بشأن ما سيمر خلال المرحلة أو الحلقة التى هو مسئول عنها و كيف سيمر حتي يصل في النهاية إلى الوسيلة الاعلامية ومنها إلى الجماعة .

إن ما يقع على كاهل رجل الاعلام أو مرسل المادة الاعلامية ليس بالشيء الهين بحيث يتصرف فيه هكذا إعتباطا ودون أية شروط أو حدود موضوعة له ، بل أن هناك شروطا لا بد أن تتوفر فى ذلك الشخص الذى سيتولى هذه المهمة الخطيرة ، ولا يجب أن نغفل الظروف المحيطة به والتي تؤثر فيه وفى كل ما يعده ويبثه من خلال وسيلته الاعلامية إلى جمهور المستقبلين ، و لعل السطور القليلة القادمة تبين فى وضوح ما أوجزناه :

فمن حيث الواجبات أو الشروط التي يجب توفرها فى المرسل أو رجل الاعلام أو يجب عليه مراعاتها ،فانه يمكن توضيحها فيما يلى .

١ ـ إن الهدف الأساسى لاية عملية إعلامية يتمثل فى إيصال المادة الاعلامية بطريقة إقناعية مؤثرةفى الجماهير المستقبلة لهذه العملية ، ومن هنا يجب أن يكون لدى رجل الإعلام إدراك حقيقي و كامل بطبيعة الجمهور الذى سيخصه بذلك البرنامج أو تلك المقالة ، هل هو جمهور متعلم ومثقف وواع ؟ أم هو جمهور بدائى يجهل عن المادة كل شيء ؟ هل هو جمهور من الصغار أم من الكبار ، من الشيوخ أم من الشباب ، أم من أية فئة عمرية أخرى ؟ هل أغلبية الجمهورهذا من النساء أم من الرجال ، من العمال أم من الفلاحين أم من الطلبة أم من المثقفين . . . إلى آخر ذلك من التحديدات الضرورية التي تشير إلى طبيعة الجمهور المستقبل . ولن يكون هذا الإدراك كاملا إلا من خلال إتصال المرسل بذلك الجمهور إتصالا واقعيا ليعى عن قرب أذواق وثقافة

ومفاهيم ومعتقدات وتطلعات أعضاء المجتمع المكونين فى مجموعهم الجماهير المستقبلة للمادة الاعلامية .

٢ — ترسل المادة الاعلامية سواء كانت مقالة برنامجا أو نشرة أو تحقيقا أو ما إلى ذلك إلى جبهة عريضة من الجماهير التي تختلف في أمزجتها وأهوارها ، وكذلك تختلف إتجاهاتها سياسية كانت أو إقتصادية أو رياضية أو دينية أو غير هذا وذاك ، فان هذه الجماهير المختلفة الأيديولوجيات تستقبل المـادة الإعلامية بطريقتها الخاصة ، وعلى رجل الاعلام أو المرسل أن يكون محايداً بقدر الإمكان إزاء هذه الاتجاهات بل يجب عليه أن يكون موضوعيا فى كل ما يكتب أو يعد ، وأن يبعد بذاته وكل تعصباته عن كل ما يرسله إلى هذا العدد الهائل من الجماهير التي تمثل كل الاتجاهات بغية التأثير فيها مجتمعة واقناعها بما يقدم لهم على اختلاف انحيازاتها . والموضوعية هنا تتمثل فى عرض المادة عرضا محايدا .

٣ — إذا كان من الضرورى — كما تبين فيما سبق — أن يتمتع رجل الاعلام بادراك حقيقي وكامل لطبيعة مستقبلى مادته الإعلامية ، وأيضاً بالموضوعية التامة فى عرض كل ما يرسله ، فان عليه واجبا آخر يرتبط أشد الارتباط بهذين الشرطين الواجب توفرها في كل مرسل لمادة إعلامية مهما كان نمطها مسموعا أو مرئيا أو مقروءا ، وهو أنه — دون المساس بهذين الشرطين — يجب أن يلعب دورا فعالا فى العملية الاعلامية وأن يكون ايجابيا في إتصاله من خلال الوسيلة التي يرسل بواسطتها مادته ، بمعنى ألا يأخذ موضوع مادته بسطحية معينة ويرسلها هكذا دونما تحرى أو دقة بل عليه أن يدرس وبشكل إنتقادى فعال كل ما يتعلق بمادته حتي يكون فى إرساله لها لجمهوره

العريض واضحا وأمينا ، بحيث يجد المستقبل فى تلك المادة ما يصل به إلى حد الإقناع والتأثير .

٤ – إن رجل الاعلام المرسل المقالة المقروءة والبرنامج المسموع أو المرئى – وهذه شروط كونه هكذا – لا بد أن تتوفر فيه نوعية معينة من التعليم والثقافة والإطلاع بحيث يكون متفتحا دائما وأبداً على كل جديد ، بل وشغوفا أن يصل إلى ذلك قبل غيره حتي يجمع من تراكمات ما عرف عناصر مادته الإعلامية التي لا تقف عند حد .

بعد هذا العرض السريع للشروط الواجب توافرها فى المرسل أو رجل الاعلام يجدر بنا ألا نغفل المحيط الذى يعمل فيه والمؤثرات الملتصقة به والتى تنعكس بالتالى على ما يرسله أو يبثه ، وهنا يبرز أكثر من تساؤل حول الظروف المحيطة بالمرسل داخل وخارج مقر عمله بل وحول معتقداته وقيمه وعلاقة ذلك بما يرسله ، وأيضا حول تأثير النواحي المهنية والجوانب الفنية والمادية وحالة الرضا أو عدم الرضا عما يقوم به ، ويمكن الإجابة عن هذه التساؤلات مجتمعة وبشيء من التوضيح فيما يلى :

١ – يعيش رجل الاعلام وسط ظروف معينة تؤثر فيه بالقطع وعلى الأخص حين يعد مادته الاعلامية التي تبث على نطاق واسع من الجماهير ، وتبيان أثر الظروف المحيطة بالقائمين بالاتصال ينتهى بنا – ولا شك – إلى الظروف المؤثرة على اختيار هذه المادة الاعلامية والنابعة أساسا من تلك الظروف المحيطة ، وبالتالى فان ذلك – يبين كيفية تأثير إهتمام وسيلة إعلامية ما بمادة اعلامية معينة مع إهتمام الوسائل الأخرى بها ، ويتجلى كذلك من توضيح وسبر غور الظروف المحيطة بالمرسل وطريقة قبولة المادة أو عدم

قبوله لها و نتائج ذلك . أما البيئة التي تحيط بها هذه الظروف فيمكن توضيح جل أبعادها من خلال ايجاز تلك الظروف على النحو التالى :

أ) يكتنف المجتمع الذى يعيشه رجل الاعلام مجموعة من القـيم الثقافية والاجتماعية التى يتطلب المجتمع بما يؤمن به أعضاؤه ضرورة المحافظة عليها وتدعيمها ، ومن هنا فان المرسل فى حالة إختياره وإعداده لمادته الإعلامية لا تغيب عنه تلك القيم حتى لا يخرج عن إطارها ، بل يعمل قدر طاقته المحافظة عليها تمشيا مع المجتمع الذى يعيش فيه .

ب) فى مجال المحافظة على القيم الثقافية أيضا قد تغيب عن المرسل أيضا — عن قصد منه — بعض العناصر المتفرقة التى تدخل فى تكوين مادته الاعلامية محافظة على الفضائل الاجتماعية التي يؤمن بها أعضاء المجتمع والتى تدعم بالتالى قيم ذلك المجتمع و تقاليده ، فالاعلام يحافظ على المجتمع واستقراره من خلال قيام وسائله المختلفة فى كافة بلدان العالم مهما اختلفت أنظمتها السياسية والإقتصادية والاجتماعية بتحقيق الاستقرار و لاجماع الثقافى وذلك عن طريق تأكيد الأنماط والأساليب السائدة فى كل بلد طبقا للنظام المعمول . ومن جهة أخرى تقوم وسائل الاعلام الحديثة بتعويد جماهير المستقبلين المواد الاعلامية على أنماط السلوك المقبولة ، وهي بذلك تخدم بعض الأهداف الاجتماعية والثقافية من خلال التقريب بين الجماهير وتوثيق العلاقات فيما بينهم ، كما تساهم أيضا في عملية التنشئة الاجتماعية . ومن جهة ثالثة تضطر القيم السائدة في المجتمع المرسل أو رجل الاعلام بضرورة حذف بعض الموضوعات السياسية أو الدينية أو العائليه أو غير ذلك مما يتماشى مع تلك القيم والتقاليد ، وبهذا تحمى وسائل الاعلام من خلال المواد الاعلامية التى يقوم باعدادها وبثها رجال

الاعلام السلطة والأسرة والوطن والعدالة والمجتمع .... الخ .

جـ) من بين الظروف المؤثرة على اختيار المادة الاعلامية والتي توضح بجلاء أثر الظروف المحيطة على القائم بالاتصال أو المرسل إهتمام وسيلة من وسائل الاعلام الكبرى بمادة معينة مما يجعل الوسائل الاعلامية الأصغر تنساق وراء هذه المادة ، وهذا يجعل رجل الاعلام في تلك الأخيرة يتأثر تأثراً كبيراً بما تبثه الوسائل الأكبر والأوسع إنتشاراً لما لها من تأثير يجعله هو الآخر يجارى ذلك فيهتم بما تقدمه ويحاول من جهته محاكاته وتقديمه لجمهور المستقبلين .

د) قد يتدخل الرؤساء أو المهيمنين على الوسيلة الاعلامية فيما يقوم به المرسل ، فان لم ينصاع لرأيهم فرضوا عليه ضغوطا مهنية تجعله يضطر إلى الانسياق في تيارهم غير آبه بما تتطلبه المادة التي يقوم باعدادها ، هذا من جهة ومن جهة أخرى قد تتدخل الاعتبارات الذاتية والشخصية أيضا مما يجعلها من الظروف المحيطة المهمة في تأثيرها على المرسل .

هـ) وفي هذا العرض لا يمكن إغفال أثر المستقبل كأحد الظروف المحيطة والمؤثرة على رجل الاعلام أو المرسل ، والذى يتم عرضه تفصيلا فيما بعد .

٢ — يعمل المرسل داخل الوحدة الاعلامية المحددة النظم والأطر ، وبالتالى فان النواحى المهنية التي تحيط به داخل عمله تؤثر فيه وفي طريقة إعداده أو تحضيره لمادته الاعلامية :

أ) ومن أول المؤثرات في هذا الصدد طريقة اخراج المادة الاعلامية أو البرنامج الاعلامي ونظامه ومدى تأثره به ، فالجهة أو المقر الاعلامي يتمتع

بسلطة أو قيادة معينة تضع اللوائح والأسس التي تسير عليها عملية الاخراج تلك من حيث العقوبات التي تفرضها إذا لم يلتزم العاملون بما هو موضوع من نظم وتعليمات ، مما يجعل رجل الاعلام محددا فى ذلك الاطار لا يخرج عنه وإلا تعرض للعقاب ، كما أنه ملتزم من ناحية أخرى باحترام وتنفيذ أوامر الرؤساء التي تقيد عمله فى نطاق معين ، ومن ناحية ثالثة لا يخفى أن طموح المرسل إلى مناصب أعلى يجعله يسير على منوال النظام الموضوع ، ومن ناحية رابعة تفرض طبيعة العمل في الجهة الاعلامية نفسها على المرسل بحيث يكون منساقا لتلك الطبيعة فى كل ما يخرج من برامج ومواد وتعليقات ، ومن ناحية أخيرة فان النقابات المهنية للعاملين بالاعلام تضع ميثاق شرف للذين ينضوون تحت لوائها ، يجد المرسل نفسه ملزما باتباع كافة بنوده . وهكذا فان نظام اخراج المادة الاعلامية محددا بتلك الأطر المتناسقة يؤثر تأثيراً كبيراً على رجل الاعلام فيكون إختياره لتلك المادة محدداً للغاية حتي يفى بكل ما يفرض عليه من التزامات .

ب) يخضع المرسل قبل قيامه باختيار وإعداد المواد الاعلامية لنظام تدريبي معين يؤهله كي يقوم بهذا العمل الهام ومن الأمور التى لا تنكر – فى هذا الصدد – أن طريقة التدريب تؤثر عليه تأثيراً يكاد يلازمه ويرافقه طوال عمله الاعلامى مما يتدخل بالتالى فى عملية إدراكه لمواد الارسال التى يقوم بها .

ج) قد يقع المرسل تحت ضغوط نفسيه معينة بهدف أو بآخر مما يجعل أداءه لعمله تحت تلك الضغوط محدداً ، وخاصة إذ كانت هذه الضغوط نابعة من داخل جهة عمله فينعكس على المادة التى يبثها أو يرسلها .

٣ – من النواحى شديدة التأثير أيضا في رجل الاعلام تلك الجوانب

الفنية والمادية الموجودة فى مقر عمله ، كالنواحى الميكانيكية والآلية والتكنولوجية وما شابه ذلك .

٤ — الناحية الأخيرة تعتبر ناحية شخصية بالقائم بالإتصال أو المرسل من حيث خصائص شخصيته ومدى توفرها فيه مجتمعة أو عدم توفر بعضها فيه ، فان لم يكن المرسل أو رجل الاعلام موضوعيا مثلا خرجت مادته الاعلامية بصورة يشوبها التعصب والانحياز لرأى معين دون بقية الآراء ، فيكون فى هذه الحالة قد فقد ميزة هامة رغم توفر باقي الصفات والخصائص المطلوبة فيه . ونفس الشيء يمكن أن يقال عن باقي الخصائص التى يجب توفرها فى رجل الاعلام أو المرسل . ومن ناحية أخرى فقد تكون كل هذه الخصائص متوفرة في المرسل ولكن درجة رضائه عن العمل الذى يقوم به تميل بالمؤشر إلى الناحية السلبية ، وفى هذه الحالة أيضا يمكن أن يتأثر إعداد وإختيار المادة الاعلامية بهذا العامل .

٢ — المستقبل .

يرسل رجل الاعلام مادته سواء كانت مقالة أو تعليقا أو برنامجا أو غير ذلك بغية اقناع جمهور المستقبلين على اختلاف أنواعهم وأنماط معيشتهم ، والمستقبل كما قد يتبادر إلى الذهن يتفاعل مع المادة الاعلامية التى يتلقاها من الصحافة أو إحدى الإذاعتين المرئية أو المسموعة أو غيرها تفاعلا شخصيا ، إلا أن الحقيقة تؤكد بأن المستقبل ليس المتأثر بوسائل الاعلام وما تبثه من مواد إعلامية مختلفة كشخصية مستقلة أو كفرد له كيانه الذاتى وحسب بل إن ذلك التأثير يتم على أساس عضوية المستقبل الفرد فى الجماعات المختلفة التى ينتمى إليها ويتصل بها ، بمعنى أن المستقبل كفرد يتعرض للعملية الاعلامية

من خلال المواد المختلفة فى إطار اجتماعى وبالتالى يتأثر فى إختياره ومدى إقتناعه وتأثره بوسيلة إعلامية معينة أو مادة إعلامية بعينها إن سلبا أو إيجابا بالجماعات التي ينتمى إليها (١) . مثال ذلك مشاهد الإذاعة المرئية الذى لا يجلس هكذا وحيداً يحاكي ما يسمع ويشاهد بصفة ذاتية ، وإنما تتم هذه العملية في أغلب الأحوال فى إطار العائلة أو صحبة من الأقران والأصدقاء يتبادلون التأثير فيما بينهم ، حتى أن طابع الجماعة هو الذى ينعكس فى النهاية على مؤشر هذا التأثير والاقناع ان صعودا أو هبوطا . ويمكن أن يقال نفس الشيء على بقية الوسائل الإعلامية الأخرى وما تبثه أو تنشره من مواد مختلفة .

إن المستقبل فى إطار الجماعات التي ينتمى اليها يضفى على المادة الاعلامية التي يتلقاها نوعا من التفاعل من خلال إتجاه من نوع ما نحو المرسل ، قد يكون هذا الإتجاه « إحترام » أو « تقدير » وهنا يكون إستقبال المادة استقبالا حسنا يصل بالإقناع إلى مداه دونما عوائق ، أما إذا كان الإتجاه العام نحو المرسل « بغض » أو « كراهية » مثلا فان الإقناع في هذه الحالة يصعب التكهن بمدى فحواه ، وعموما فان هناك ملاحظة تجدر الإشارة اليها فى هذا المقام وهي أن الجمهور السلبي أو المستقبل غير الإيجابى يأخذ ما يريده ويبغيه من وسائل الاعلام إشباعا لرغباته وتوقعاته اما دون ذلك فان مآله الرفض التام ، وهنا يلزم على المرسل ألا يهمل عملية الإتصال بالجماهير والرجوع اليهم كما سبق وتمت الإشارة إلى ذلك . فان المرسل يتأثر بالمستقبل

---

1) Schramm, W, & Roberts, The Process and Effects of Mass Communication, University of Illinois, Urbana, 1971, p 200

فى عملية تبادلية كذلك الإتصال الذى يتم بين فردين ، غير أن هناك إستثناءا وحيدا فى العملية الاعلامية مؤداه أن المرسل لا يستطيع أن يرى المستقبل أو يتعامل معه بسبب بعض العقبات التى يواجهها المرسل فى محاولته إدراك مستقبلى مادته الاعلامية نعرض لأهمها فيما يلى :

أ) يتم التفاعل فى عملية الاتصال بين فردين بطريقة مباشرة ووجها لوجه بحيث يستطيع كلا طرفى الاتصال التأثير والتأثر بالطرف الآخر مواجهة بغير حواجز أو موانع ، إلا أن الأمر يختلف فى العملية الاعلامية حيث أن التفاعل المباشر بين المرسل والمستقبل معدومة الوجود من أساسها ، فالمرسل من جهته يعد مادته ويبثها أو يخرجها وجماهير المستقبلين المنتشرة فى كافة الأرجاء تستقبل هذه المادة على ما هى عليه .

ب) تتمثل الصعوبة أو العقبة الثانية فى هذا المجال فى أن وسائل الاعلام الحديثة مؤسسات كبيرة واسعة تعمل فيها جماعات يصعب إشتراكها مع غالبية المستقبلين ، وإن حدث فان إشتراكها يتم مع أقليه منهم وفى فترات متباعدة ومرات لا تكاد تذكر ، من هنا لا يستطيع المرسل الوحيد وسط هذا الخضم من المرسلين أن يذهب إلى كل الفئات والجماعات المستقبلة لمادة اعلامية معينة كي يشترك معها تأثيرا وتأثرا بسبب اعداد مثل هذه المادة .

ج) وثمة صعوبة ثالثة يواجهها المرسل الاعلامي فى محاولته إدراك مستقبلى مادته الاعلامية من الجمهور أو الجماعات الاجتماعية ، وهى أنه لايستطيع إختيار مستقبليه بدقة ، فالماده الاعلامية أيا كانت ترسل للجميع بلا استثناء للفرد وللجماعة الاجتماعية ولمجتمع الجماعات ، بين فيهم جميعا من المتفهم وغير المتفهم للمادة ، فيهم المقدر والكاره ، فيهم كذلك الواعى وغير

الواعى ، فيهم المتعلم وغير المتعلم ، فيهم الكبير والصغير ، فيهم الرجل والمرأة ...... وطوائف أخرى عديدة تستقبل المادة بغير أن يكون للمرسل أى إختيار أو شروط أو رأى فيهم .

لكل ذلك يصعب الاتصال بين المرسل لمادة الاعلام الجماهيرى ومستقبل هذه المادة بطريقة مباشرة — وهو ما ينبغى أن يقوم به المرسل حتى تخرج مادته بالصورة المطلوبة كأداة للضبط الاجتماعي — إلا أن جمهور المستقبلين يمكن الإلمام بكل خصائصه — سبرا لغور مثل هذا المطلب — من خلال بعض الأنماط التقسيمية التي يجب ألا تغيب عن المرسل ، ويمكن تقسيم جمهور المستقبلين :

أ) على أساس الخصائص العامة مثل الجنس والسن والتعليم والمستوى الاقتصادى وما إلى ذلك .

ب) على أساس الخصائص النفسية كالشخصية والاتجاهات والدوافع والميول ... الخ .

جـ) على أساس الاحتياج للمعرفة والعلم وزيادة المعلومات والأفكار ، والأساليب التي يمكنه أن يحصل بها على مثل هذه المعارف والمعلومات .

وقد أثبتت الأبحاث التي أجريت فى مجال استبار جماهير المستقبلين سواء كانت إستفتاءات تنشر وتذاع بقصد تبيان المواد الإعلامية الجذابة والمنفرة ، أو فتح مجال الاقتراحات والآراء داخل ندوات يحضرها المسئولون ، أو استخراجا من شكاوى الجماهير المتعددة فى المجال الاعلامى ، أو من خلال إختيار عينات من جمهور المستقبلين لمعرفة آرائهم في المواد والأبواب والبرامج

الاعلامية . . أثبتت هذه الابحاث وغيرها أن هناك علاقة من نوع أو من آخر بين خصائص جمهور المستقبلين المختلفة أنماطهم وبين المواد أو الوسائل التي يتلقون منها العملية الاعلامية ، وفيما يلي عرض سريع ومختصر لأبعاد هذه العلاقة المشار اليها والتي تدل على أهمية الاعلام كأحد أهم وسائل الضبط والانضباط الاجتماعيين في المجتمع :

١ — من المسلم به أنه لكي تحظى وسائل الاعلام بجمهور عريض يقبل التأثير ويعمل من منطلق أبعاد الضبط والانضباط المقصودة ، يجب أن يكون لدى ذلك الجمهور حد معين من التعليم ، ومما لا شك فيه أيضا أن درجة التعليم المطلوبة تختلف ما بين وسائل الاعلام على اختلافها وتباينها ، فالرسائل المسموعة والمسموعة مرئية قد لاتتطلب نوعا من التعليم إلا في بعض البرامج الثقافية والتعليمية والأجنبية ، بعكس الحال مثلا في الوسائل المطبوعة التي تستلزم نوعية معينة من الجماهير تكون على درجة ما من التعليم ولو في دنياه أي عند حد مجرد معرفة القراءة .

٢ — بمثل ما للتعليم من علاقة بوسائل الاعلام المستخدمة كأداة للضبط الاجتماعي ، فان السن كذلك يتدخل في هذه العملية ، فالاطفال وصغار السن يفضلون المواد الترفيهية المسلية عن المواد الاعلامية العلمية والاخبارية الجادة ، فالطفل الحديث عادة يبدأ بمشاهدة برامج ومواد الإذاعة المرئية ثم يتحول تدريجيا مع سن المدرسة وما بعده إلى الكتب المصورة والمسلسلات الضاحكة والإجتماعية والقصص البسيطة والفكاهية ثم السينما . وفي هذا الصدد تجدر الإشارة إلى أنه كلما ارتفع سن الأطفال أو النشيء فان اهتمامهم يتحول تدريجيا تطورا من الخيال الخفيف إلى الموضوعات غير الخيالية أو الجادة الواقعية ،

وكلما تطور العلم وتقدم فان وسائل الاعلام الجماهيرى تساهم من جهتها فى عملية نضج وإثراء ذوق واهتمامات الصبية والمراهقين حتى يصلوا بأعمارهم إلى مرحلة الشباب ثم مرحلة الرجولة أو الاكتهال حيث يزداد الاهتمام بالوسائل المطبوعة وخاصة الصحافة ، وفى مرحلة الشيخوخة والكهولة يعود الإهتمام نكوصيا ويزداد بمشاهدة الاذاعة المرئية .

٣ — الخاصية الثالثة والتى يمكن التزاوج بينها وبين تلقى المادة الاعلامية من الوسائل المختلفة هى الجنس ، فالنساء أقل اهتماما بالشئون العامة من الرجال ، إلا أن النساء أيضا هن الغالبية العظمى من جمهور المستقبلين للاذاعة المسموعة ، ومن الضرورى الإشارة فى هذا المجال إلى أن التعليم هو السبب فى الاختلاف الرئيسى فى الاطلاع بين الرجال والنساء ، كما أن الوضع الاقتصادى أيضا يسبب اختلافا كبيرا فى الاطلاع بين الجنسين إذ تزيد قراءة أخبار المجتمع بين النساء بارتفاع الوضع الاقتصادى . وهنا يجب التوقف قليلا لاستيضاح أن الناس المكونين لجمهور المستقبلين للاعلام لا يبحثون عن تجارب جديدة فى وسائل الاعلام ولكنهم يودون زيادة خبراتهم القديمة التى يستطيعون أن يتصوروا أنفسهم فيها بسهولة ، وهنا لا يجب إغفال أو إهمال أهمية الدور الاجتماعى والمكانة الإجتماعية سواء بين الرجال أو بين النساء ، مساهمة فى ضبط وانضباط المجتمع وجماعته الاجتماعية المختلفة .

٤ — يتطلب الضبط الاجتماعى مراعاة الأيديولوجية السائدة ، وفى العملية الاعلامية فان جمهور المستقبلين قراءا كانوا أو مشاهدين أو مستمعين يتمتعون بعقيدة معينة وإيمان محدد وسيلته التمسك بأهداب المعتقدات والاتجاهات والأفكار الدينية السائدة فى المجتمع ، فان كانت المادة الاعلامية

المرسلة تدعم ذلك وتعمل من منطلقة وأقبل عليها الجمهور ونجحت التوعية بالضبط والإنضباط ،وإن لم تكن كذلك أبتعد عنها وعاداها وخلق التوترات والمشكلات بحيث ينعدم التأثير الضبطى والتطبيق الإنضباطى .

٥ ـ بالإضافة إلى الإتجاهات والمعتقدات ينحاز جمهور المستقبلين عديداً من الأنحيازات المختفلة تجاه السياسة والرياضة وما اليها ، وتقبل كل طائفة منحازة وجهة معينة إلى ما يشبع رغباتها إزاء ما تتعصب له وتبعد عما سواه .

٦ ـ لا يتحقق أى ضبط أو إنضباط وينجح فى تحقيق أهدافه العامة والخاصة إلا بالاقناع ، ولا يمكن ـ داخل المجال الأعلامى ـ أهمال أو ترك خصائص معينة لدى جمهور المستقبلين للوسائل والمواد الأعلامية تؤدى إيجابا إلى الإقناع أو سابا إلى عدم الأقناع ، ومن الأمثلة الواقعية على هذه الخصائص : خصائص تقدير الذات ، والقلق ، والخيال ، والتفتح الذهنى . والتأثر بالآخرين ..... وهى وأن كانت فى لبها خصائص فردية سيكولوجية نفسية ، إلا أن دورها كبير وخطير فى نفس الوقت في التأثر والأقناع بما يبث ويرسل من مواد أعلامية تساهم بجدية في عملية الضبط أقناعا والأنضباط أقتناعا .

٧ ـ وعلى النقيض من ذلك فان هناك خصائص أخرى تؤدى إلى إستعداد منخفض لكل من الاقناع والأقتناع ، ومن أمثلتها الإضطرابات النفسية والمرض النفسى والعداء والأرق والعزلة الإجتماعية والهواجس وما إلى ذلك .

٨ ـ أن الأستعداد لتقبل المادة الأعلامية أو رفضها فى النهاية يقوم

أساسا على طبيعة القائم بالإتصال أو المرسل من جهة ، والوضع الإجتماعى المستقبل من جهة أخرى .

إن المستقبل ـ أستخلاصا مما سبق ـ إما جمهور وطنى يعمل فيه كل فرد داخل مجموعة ، أو هو جمهور محلى يذوب فيه الفرد ويتعامل على أساس من قيمة وإتجاهـــاته ، ولذلك فان دراسة متغيرات معينة كالسن والجنس والشخصية وغير ذلك وأثرها فى تلقى المادة الأعلامية من الوسائل المختلفة ، إنما هى أمور لا تكفى لاستيفاء هذا الغرض أضافة إلى الهدف الضبطى المشار إليه ، بل يجب دراسة الجمهور المحلى نفسه كجماعة إجتماعية مكونة من أفراد تجذبهم وسائل الأعلام وتؤثر فيهم ضبطاً وأنضباطا عن طريق الاقناع .

٣ ـ التأثير :

تنتقل المادة الأعلامية من خلال الوسائل المختلفة ما بين أهم عنصرين من عناصر الاعلام عموما ، وهما المرسل الذى يعد المادة ويبثها ، والمستقبل الذى يتلقاها سواء بالسلب أو الإيجاب . والهدف الأساسى من إرسال أو بث المادة الأعلامية التأثير في هذه الجماهير العريضة المختلفة الأذواق والأهداف والميول والاتجـاهات ، حتي يرتفـع معدل الاقناع أو ينخفض طبقـا لدرجة هذا التأثير الذى يعتبر عنصراً أسياسيا من عناصر الاعلام كأحد أهم وسائل الضبط الإجتماعى :

١ ـ وتنبع أهمية التأثير من كون أى أتصال مهما كان مباشراً أو غير مباشر يهدف في المحل الأول إلى أحداث نوع من التأثير من قبل المرسل تجاه المستقبل . ولدراسة التأثير أو البحث فى أغواره العميقة تعتبر صعبة ، إذ أن

دراسة الفعل أو السلوك الذى يحدث نتيجة للاتصال ليس ممكنا ، بسبب أن ذلك سينطوى بالتالى على معرفة كافة الإتجاهات التي تحكم المستقبل والشعور الداخلى بالإضافة إلى نوعية الجماعات الرسمية وغير الرسمية التى ينتمى اليها ومدى تأثيرها فيه ،وغير ذلك مما يصعب معه تحديد المدى الإيجابى والسلبي للتأثير الذى يتم نتيجة الاتصال . والطريقة الوحيدة لدراسة التأثير من خلال إتجاهات المستقبل تتم عن طريق دراسة السلوك اللفظى أو غير اللفظى الذى يعتبر أنعكاساً للاتجاهات المعينة نحو المادة الأعلامية ، وهنا تجدر الأشارة إلى ملاحظة هامة مؤداها أن التعبير اللفظى يعكس دائما إتجاها كلياً تعميمياً ، ولكن السلوك يجب أن يكون محدداً وليس عاما أو رحبا ، من هنا فان السلوك الذى يحدث نتيجة العملية الأعلامية أو غيرها يكون موجها نحو طرف محدد معين ، وعادة ما يكون موجها نحو فرد بالذات (١) ، وعليه فلا بد من توخي الدقة التامة من ناحية ، وعدم التعويل على الاستنتاجات التي يتم التوصل اليها بهدف قياس السلوك وتحديده بالاستناد إلى دراسة الإتجاهات من خلال التعبير اللفظى لما قد يشوب ذلك من سلبيات التلاعب بالألفاظ أو المجاملة أوعدم أعطاء بيانات تدل على الاتجاه الحقيقي وغير ذلك ، مما يستلزم بالتالى ضرورة الحذر الشديد من هذه الاستنتاجات .

٢ — وليس من شك أن الأعلام بوسائله المختلفة يحدث تأثيراً كبيراً على الآراء والاتجاهات التي تتكون لدى المستقبل ، وبالتالى فان تأثيره يكون

---

(1) Fishben, M., Readings in Attitude: Theory and Measurement, Wiley, New York, 1967, p. 38.

ملحوظا على السلوك السابق الإشارة إليه ، فالاعلام من خلال وسائله المختلفة يعتبر كعامل أساسي ومكمل لإحداث ذلك التأثير وأن كان في بعض الأحوال يعتبر العامل الأول والسبب الرئيسي والضروري كي يتم هذا التأثير ، وقد يكون في أحوال أخرى السبب أو العامل الوحيد الذى ينتج عنه التأثير ، ففى بعض الأحوال تكون هناك عوامل كالحاجات الإجتماعية والدوافع النفسية والشخصية والعلاقات الإجتماعية والخلفية الثقافية وغيرها من العوامل المؤثرة في إحداث التأثير ، ثم يتدخل الأعلام بوسائله المختلفة كعامل مكمل لها ، وقد تجتمع هذه العوامل وتكون وسائل الأعلام على قمة الأسباب المحدثة له ، وفى أحوال أخرى قد تختفى هذه العوامل مكتملة ويبقى الأعلام كسبب أو عامل وحيد لاحداث التأثير .

٣ ـ العوامل المختلفة التي تؤدى إلى إحداث التأثير تتدخل بالضرورة بين المادة الأعلامية وإستجابة المستقبل لها ، فالعلاقات الإجتماعية بكافة أنماطها وأنواعها أو الدوافع وما تتميز به أو الشخصية وما تضفيه من سمات في هذا الجانب أو ذاك أو ما إلى ذلك قد تؤثر على الطريقة المعينة التي يفسر بها المستقبل المادة الأعلامية التي يتلقاها أو تبث عليه من الوسائل الأعلامية المختلفة ، وعلى ذلك مما يبث من مادة من حيث كونها مادة أعلامية وحسب ، ولكن أيضا من الطريقة التي يمكن أن تفسر بها تلك المادة [1] ويجب في هذا الصدد

---

(1) Schromm, W , Men, Message ond Media, A Book ef Human Communicat on, Harper & Brothers, New York 1973, pp. 196 – 198.

عدم إغفال العديد من العوامل المؤثرة الأخرى كالجماعات المختلفة رسمية كانت أو غير رسمية التي ينتمي اليها المستقبل وشخصيته ذات السمة أو السمات المتميزة ودوره المنـــاط به ومكانته المحددة في هذه الجماعات على أختلاف أنواعها كعوامل يعمل معها تأثير وسائل الاعلام كعامل آخر بما تبثه وتقدمه وترسله من معلومات يفسرها جمهور المستقبلين كي يطلعوا بفهم كامل على كافة مناحي العالم المحيط بهم والذى تشغلهم كافة دواخله وأبعاده ومشتملاته سياسية كانت أو فنية أو إقتصادية أو رياضية أو ثقافية أو غير ذلك ، فمـما يساعد أساسا على تكوين تصور هذا الجمهور من مستقبلي المواد والتحقيقات والبرامج الاعلامية مسموعة كانت أو مرئية أو مقرؤة للظروف التي تحيط بهم الطريقة أو الطرق التي يتصرفون بمقتضاها وإتجاهاتهم المختلفة والقيم والمعايير التي يعبرون عنها والمعرفة أو المعلومات التى لديهم (١) ، بالاضافة إلى تلك المعلومات والافكار التي يحصلون عليها من المواد التي تبثها وسائل الاعلام المختلفة والتي تضيف بدورها شيئا ما لتصورهم للواقـع الذى يعيشون فيه ، وتؤثر بقوة على الطريقة التي يبنون بها أجزاءا من الظروف المحيطة بهم والتى ليست لديهم الفرصة المتـاحة فى الحصول على معلومات عنهـا ، إذ أن هـذه الوسائل تقدم قدراً لا يستهان به من المعلومات والمعارف والافكار المستقاة من العالم الذى يعيشون فيه وعن أمور لا يمكنهم تجربتها تجربة مباشرة ، فتكون هذه الوسائل بما ترسله من مواد لها هذه الصفة بالتالى مناسبة للتأثير بسبب أصافتها لتلك المعلومات وهذه الآراء والافكار .

---

(2) Ibid., p. 195.

٤ ـ أن التأثير الذى تحدثه وسائل الاعلام من خلال مواردها المختلفة والمناسبة لها رؤية أو قراءة أو استماعا يتمثل الهدف الأساسى منه ـ كما وضح مما سبق ـ فى المساعدة على تكوين تصور واضح للظروف المحيطة عن طريق زيادة المعلومات والمعارف والأفكار التى تصل جمهور المستقبلين فى مختلف الموضوعات التى تكتنف العصر الذى يعيشونه ، ويمكن توضيح الأمر فيما يلى :

لقد ازداد فى العصر الحديث وقت الفراغ لدى الأفراد والجماعات مما يجعلهم يبحثون عن أشياء يقضون معها هذه الأوقات ، ويتطلب المبدأ الأساسى للضبط الاجتماعى ضرورة توجيه الأفراد نحو الوسائل الهادفة وغير المسببة لأية توترات أو مشكلات لقضاء وقت الفراغ . وتتمتع وسائل الاعلام المختلفة بحركة جذب شديدة للجماهير لقضاء أغلب أوقات فراغهم معها ، مما يجعلهم تبعا لذلك عرضة لتأثير ماتقدمه هذه الوسائل وماترسله لهم ويحصلون من خلاله على مزيد من المعلومات والآراء الهادفة غير المشكلة .

ب) أن أغلبية من يقضون أوقات فراغهم حول وسائل الاعلام من صحف واذاعات مسموعة واذاعات مرئية وغيرها تشدهم ماتبثه هذه الوسائل بدرجات متفاوتة ، ولكن الشيء الذى لا يمكن الاختلاف عليه أن أكثر المواد الاعلامية جذبا للاهتمام وبالتالى أكثر المواد تأثيرا المواد الاخبارية التى تنقل إلى المستقبل كل مايدور حوله فى عالمه الصغير المتمثل فى مدينته أو وطنه ، وفى عالمه الكبير الذى يشمل أرجاء المعمورة ككل ، شريطة أن يكون ذلك محلى بالصدق كي يسهم بايجابية فى تحقيق أهداف الضبط الاجتماعى .

جـ) بالاضافة إلى ذلك فان جمهور المستقبلين لوسائل الاعلام الحديثة قد ازدادت معرفته بكل أنشطة العصر من سياسة وفن واقتصاد وعلم ورياضة وغير ذلك مما تهتم ببثه وارساله تلك الوسائل ، وفي هذا المجال فان معظم مستقبلي الاعلام يعرفون موضوعات ومعلومات وافية عن شخصيات كثيرة كالصحفيين والمذيعين والممثلين والمطربين والوزراء ولاعبي كرة القدم وغيرهم من الصفوة والنجوم التي تطفو على سطح وسائل الاعلام فترسل من خلال موادها بيانات ومعلومات وافية عنهم بين حين وآخر .

د) قد تقتصر وسائل الاعلام في بث وارسال موادها وبرامجها على معلومات غير دقيقة أو محرفة ، أو قد تكون معلومات متعصبة أو منحازة لجانب معين دون الجوانب الأخرى ، وفي هذه الحالة فان جمهور المستقبلين يكونون تصورهم التأثيرى على أساس تلك المعلومات بحيث يصل هذا التصور في النهاية ليكون متحيزا ومحرفا ، وبالتالى لايؤتى الضبط الاجتماعى ثماره المرجوة وتزداد التوترات وتتشعب المشكلات .

هـ) في مجال التقصير المرتبط بما سبق فان وسائل الاعلام في هذه الحالة قد تغفل الاشارة إلى بعض المعلومات التي تتغاضى عنها ولا تبثها وتتجاهلها تماما ، وفي نفس الوقت الذى تكون فيه هذه المعلومات من الأهمية بمكان بحيث توازى وتساوى تماما ماأخرجته أو أرسلته إن لم تتفوق عليها في أهميتها . وقد ينجم عن ذلك آثار عكسية سببها عدم حصول جمهور المستقبلين على الحقائق كاملة عن كل ما يحيط به ويكتنف عالمه .

و) تهدف وسائل الاعلام عموما إلى المحافظة على جمهور مستقبليها الذين اكتسبتهم وخاصة في مجال الترفيـــــه ، فتعمد في هذه الحالة إلى

المحافظة على نوعية المواد والبرامج التى اكتسبت تأييداً لدى ذلك الجمهور ، وفى سبيل ارضائها لأذواقهم فانها تتجنب التجديد خوفا من فقـدان مستقبليها .

٥ ـ تبث وسائل الاعلام برامجها وموادها الاعلامية بغية التأثير الكامل فى جمهور المستقبلين ، أو بمعـنى آخر بهدف الوصول بهم إلى درجة كاملة من التقبل لما يبث عليهم ، وإذ ذلك فان خصائص المادة الاعلامية ذاتها والظروف التى يستقبل فيها الجمهور هذه المادة من العوامل الاساسية فى تقبله أو عدم تقبله لها :

أ) فالمادة التى تتفق مع تصور المستقبل الحالى يتقبلها تقبلا تاماً ويتأثر بها كما يجب أن يكون ، ونفس الشيء يمكن أن يقال على المادة الاعلامية التى تعمل من خلال خصائصها المرسلة على تدعيم المعتقدات والقيم التى يؤمن بها ، أما ما دون ذلك فان المادة ستواجه بلا شك أما بالتجاهل أو التجنب التام أو بالهجوم على مصدرها أو تحريفها أو اساءة تفسيرها مما يعيبها بالتالى عدم تحقيق التأثير المطلوب .

ب) يضع المستقبل فى ذهنـــه قيما تتعلق بتصوراته المختلفة ، فاذا ما استقبل مادة اعلامية لاتتفق أبعاد هذه القيم أو تتنافر معها فانها تواجه بمقاومة شديدة ربما قد تكون أكبر من تلك التى لاتتفق مع أطر معرفته وتصوره .

جـ) أن المواد الاعلامية الأكثر تقبلا من غيرها هى تلك التى تتضمن معلومات مفيدة وتؤدى إلى اشباع الحاجات المختلفة لدى المستقبل .

د) كذلك فمن المواد الإعلامية التي تكون أكثر تقبلا لدى المستقبل المواد التي تساعد على فهم الظروف الإجتماعية المحيطة وتشرح بشيء من الإهتمام الحالات التي تشمل العصر الذى يعيشه المستقبل .

٦ – إن التأثير الناتج عن وسائل الإعلام يتمثل صراحة – بالإضافة إلى ما سبق – في المساعدة الجادة على خلق وإيجاد آراء جديدة عن الموضوعات والمعلومات التى لم تكن معروفة من قبل ، وهذه السمة للتأثير تجعل من الضرورى الإهتمام بالمادة الإعلامية من حيث جمع عناصر تكوينها وطريقة إخراجها وما إلى ذلك حتى تضيف الجديد بصفة مستمرة وذلك للاعتبارات الآتية (١) :

أ) تعتبر وسائل الاعلام من ناحية الفاعلية والتأثير الشديد فى نقل الحقائق والمعلومات التى تتعلق بها أكثر شدة وقوة من غيرها ، لأنها تصل إلى المستقبل دونما إجهاد أو تعب منه ، بل قد تصله فى وقت فراغه الذى يحدده هو وبالتالى يكون مستعداً لتلقى مثل هذه المعلومات والحقائق ، ومن هنا تنبثق شدة فاعليتها فى نقلها أكثر من أى طريقة أخرى .

ب) من أهم الفروع التى تساهم بها وسائل الإعلام الحديثة وخاصة الإذاعتين المرئية والمسموعة فى زيادة المعلومات المتعلقة بشتى الموضوعات ، تلك التى تهتم بالتدريس فى الفصول المدرسية أو خارجها من اذاعات تعليمية وتثقيفية ومحو أمية وما إلى ذلك .

---

1) Klapper; J.T., The Effects of Mass Communication, The Free Press, Gliec e, 1963, pp. 53-60.

جـ) تظهر من وقت لآخر موضوعات جديدة تهم المجتمع المحلى الذى يعيشه جمهور المستقبلين أو المجتمع العالمى ، وليس من شك أن وسائل الإعلام بما ترسله من تعليقات ونشرات وبرامج تخلق آراء محددة حول هـذه الموضوعات ، مثل ذلك قيام الثورات والحروب والأزمات الاقتصادية وعدم الاستقرار الإجتماعى وما إلى ذلك مما يستتبع بالتالى عمل حملة اعلامية حول كل هذه الموضوعات لخلق الآراء وبلورتها إزاء ما حدث ويحدث من تطورات .

٧ — وهكذا يمكن أن نخرج فى نهاية هذا العرض التشريح لعنصر التأثير كأحد عناصر الاعلام بأن وسائل الاعلام وما تقدمه من مواد اعلامية فى شتى المجالات تساعد على تدعيم وتغيير الاتجاهات :

أولا : فمن حيث تدعيمها للاتجاهات فانه يسهل هذه العملية :

أ) إن لجمهور المستقبلين بصفة عامة إتجاهات سابقة وإهتمامات نشأت معهم وآراء آمنوا بها ، فاذا ماقدمت لهم مادة اعلامية من نوع أو من آخر فى هذا الفرع من الاعلام أو ذاك وتتفق فى نفس الوقت مع تلك الاتجاهات السابقة الاهتمامات والآراء المكونة قبلا ، فان قبولهم لها سيكون متيسراً بحيث يتوقع فى هذه الحالة أن يتجنبوا المعلومات التى لا تتفق مع هذه الآراء وتلك الاتجاهات .

ب) إذا تقبل جمهور المستقبلين المادة الاعلامية التى تدعم اتجاهاتهم السابقة فانهم يقومون بالتالى بنقلها إلى الآخرين الذين لم تتح لهم فرصة التعرض لها أو الاطلاع عليها شريطة أن يكونوا هم الآخرين مشاركين لهم

في اتجاهاتهم وميولهم بحيث يمكن قبولها والرضا بها ، وبهذا يزداد عدد المستقبلين الذين تصلهم المادة الاعلامية .

ج) من الأمور الهامة فى هذا الصدد تلك الجماعات التي ينتمى اليها الفرد فى المحيط الذى يعيش فيه ، كالجماعات الرسمية التي تتكون تنظيميا ويشارك الفرد فيها من خلال دوره المقنن داخلها ، والجماعات غير الرسمية التي تتكون تلقائيا دون تنظيم أو دون تقنين ، وغيرهما من الجماعات التي تؤثر فيه تأثيراً كبيراً من حيث تكوين وتدعيم آرائه واتجاهاته ، وذلك بسبب إنتمائه الكلى لها واحساسه بالأمن والأمان والطمأنينة من خلال ذلك الانتماء . وعليه فان ما تتقبله تلك الجماعات ويتفق مع أهدافها وآراءها وميولها واتجاهاتها ينطبع بالضرورة على الفرد المنضم لعضويتها .

د) واستنادا إلى هذا الفهم فلا يمكن اغفال دور القيادة والرئاسة المؤثرة التي ينضوى تحت لوائها الأفراد ، إذ أن تأثيرها يكون بينا فى مجال الرضا الإطمئنان بحيث يخضع الفرد فى الجماعة لسلطة قائد الجماعة الذى يستلهم منه المثل والمبادىء إنعكاسا على كل ما يستقبل من مواد إعلامية .

ثانيا : ومن حيث دور وسائل الاعلام فى التأثير بحيث تساهم فى تغيير الاتجاهات ، فانه من البديهى أن الاتجاهات تتكون لدى الأفراد من عدة مصادر مختلفة منها العائلة التى يدخل الفرد فى عضويتها وتؤثر فيه منذ طفولته إستنادا على الآراء والأفكار التى يغرسها الآباء فى أبنائهم والتى تتدعم فيها بعد بواسطة التجارب التى يقوم بها الشخص ذاته والتى يوليها من تفسيراته مايتفق مع ما يدعم ما تلقاه من العائلة ، وهناك أيضاً من مصادر الاتجاهات العلاقات التى يكونها الأفراد فيما بينهم فى شتى لقاءاتهم المختلفة ، وكذلك الجماعات الرسمية

وغير الرسمية التي ينضم اليها سواء في مجتمع العمل أو المنزل أو جماعات اللهو والأصدقاء والأقران وغير ذلك ، كما لا يجب أن نغفل مصدراً آخر مهما فى تكوين الاتجاهات وتدعيمها المتعلق بالتأثير الثقافى والاجتماعى المباشر . وكل هذه المصادر مجتمعة لا تتدخل فقط فى تكوين الاتجاهات ولكنها تعمل بصفة مستمرة على تدعيم هذه الاتجاهات إلا أن هناك بعض الأحوال التى تتدخل فيها نوعية معينة من العوامل تقوم بتغيير الاتجاهات يلزم ألا تغيب عن باحث الاعلام حتى يمكنه أن يستنير بها فى اعداد واخراج مادته ، ويمكن ايجاز هذه العوامل فيما يلى (١) :

أ) يكون الفرد عرضة لتغيير اتجاهاته إذا إنفصمت الرابطة التى تربطه والجماعات المختلفة التى هو عضو فى كل منها مثال ذلك أن الفرد إذا وجد أن من غير الضرورى إستمراره في إتباع تعاليمات جماعة العمل غير الرسمية لسبب أو لآخر فانه يكون فى هذه الحالة متنصلا من كل ما تتمسك به وقد يغير إتجاهاته التى تتماشى مع إتجاهات هذه الجماعة . ونفس الشىء يمكن أن يقال عن الجماعات النوعية الأخرى التى تضم الأعضاء المختلفين وتبث فيهم نوعا من الاتجاهات والآراء المعينة

ب) قد يتمسك الفرد بجماعته ولا ينفصل عنها ، إلا أن هذه الجماعة قد تتحول بدورها عن وجهة نظر ما أو عن رأى معين لأن الرأى البديل فيما تراه أنسب من ذلك الذى تم التخلى عنه ، وفى هذه الحالة أيضا يكون الفرد عرضة لتغيير إتجاهاته تمشيا مع آراء الجماعة .

1) Ibid:, pp. 62 – 97.

جـ) يقبل الفرد – كما سبق وعرضنا – توجيه القائد فى مجالات معينة ، وهنا يمكن القول أن التأثير الشخصى الناجم عن القائد أو الرئيس قد يتدخل أيضا في تغيير الإتجاهات .

د) يجب ألا يغيب عن ذهن المرسل أو رجل الإعلام كل هذه الأمور وتلك العوامل التي تتدخل فى تغيير الإتجاهات ، إذ أن وسائل الإعلام تكون في أغلب الأحوال السبب الرئيسى والمباشر فى التأثير ، وقد ينتج عن هذا التأثير خروج الفرد عن رأى الجماعة التى ينضم إليها ، أو خروج الجماعة كلها عما تؤمن به من آراء وإتجاهات ، أو التأثير فيمن لهم سلطة القيادة فيعملون من خلال ولاياتهم المختلفة على تغيير إتجاهات من يقعون تحت رئاستهم .

٤ – الوسيلة :

فى خضم التقدم التكنولوجى الحديث الهائل وبعيد المدى ، نشأت وتطورت وسائل الإعلام الجماهيرى بما تشتمل عليه من أجهزة وفنيات فى مجال العمل الإعلامي وصولا لهدف التأثير فى الجماهير وأقناعهم بواسطة عدد من رجال أو مرسلو المواد الأعلامية ، وبادىء ذى بدء سنلقى بتساؤل حول الأسباب الجوهرية التي دعت إلى قيام وسائل الأعلام أساساء والأجابة عن هذا التساؤل تتضح من خلال أستعراض النقاط التالية :

أ) أن الظروف المحيطة بالانسانية سياسية كانت أوإقتصادية أو إجتماعية أو غير ذلك تدعو إلى نشوء حاجة ملحة إلى وسيلة أو أداة يمكن بها مراقبة هذه الظروف ، وقد كانت وسائل الإعلام إبتداء من النمط البدائى البسيط

وحتى أشد الوسائل تطوراً وتعقيداً في عالم اليوم تعمل قدر جهدها باشباع هذه الحاجة لدى بنى الإنسان .

ب) بالإضافة إلى ذلك فان الانسان تحيط به أخطار من نوع أو من آخر ارتقاءاً من البدائية إلى التطور والتقدمية ، وهـذه الأخطـار تستلزم وجود متخصص أو من ينبه الانسان عنها حتى يأخذ حذره ويحتاط ويتبع خطة دفاعية في مواجهتها ، وقد تتسلسل قائمة هذه الاخطار من الحيوانات الشرسة المفترسة وغدر الطبيعة القاسية في العصور الاولية أو البدائية إلى أخطار الحروب والازمات الاقتصادية الطاحنة والايديولوجيات المنافية لقيم وتقاليد المجتمع في العصر الحديث . ووسائل الإعلام هي التى تتولى مهمة التنبيه هذه واحاطة جمهور المستقبلين علما بما قد ينجم عن هذه الأخطار وما يجب عليهم اتباعه في مواجهتها .

ج) من الاسباب التي دعت إلى قيام وسائل الاعلام كذلك حاجة الانسان إلى وسيلة تقوم بنشر الآراء والحقائق في شتى المجالات حتى يكون ملما بكل ما يدور حوله .

د) تتخذ الجماعات المختلفة قراراتها نحو موضوع معين أو رأى محدد أو افتراح أو وجهة نظر ما بعد الإستعانة بكل الآراء ووجهات النظر في مجال الموضوع أو الاقتراح ، وهنا تتـدخل وسائل الاعلام كأداة مساعـدة في إتخاذ هذه القرارات .

هـ) تعمل الجماعة بعد الاتفاق وإتخاذ قراراتها على نشرها وأعلانها على نطاق واسع حتي يستفيد بها الجميع ويعملوا من واقعهـا ، ومن هنـا

كانت ضرورة وجود وسائل الأعلام حتى تقوم بهذه المهمة .

و) لا شك أن سببا رئيسيا قد دعا إلى قيام وسائل الإعـــلام أساساء وهو سبب تربوى فى جوهره يتعلق بنشر الثقافات المختلفة بعد أن تراكمت منذ القدم، ويرى الإنسان ضرورة نقل هذه الثقافات المتراكمة جيلا بعد جيل، فكانت وسائل الاعلام التي تقوم بنقل حكمة الاجيال السابقـة والتطلعـات السائدة فى المجتمع إلى الاجيال القادمة .

ز) يواجه البشر في حياتهم اليومية صعوبات ومتاعب سواء فى أعمالهم أو في منازلهم وعموما فى شتي المجالات التي تنظم تعاملهم الدائم ، مما يستلزم بالضرورة الخلود إلى وسيلة ترفيهية تذهب عنهم هذه المعاناة وتخفف من أثر هذه الصعوبات وتزيل آثار المتاعب ، فكانت الحاجة إلى الترفيه والتسليه سببا أساسيا من أسباب قيام وسائل الاعلام .

وهكذا قامت وسائل الاعلام متدرجة من الاولية أو البدائية إلى الحياة الحديثة أو المعاصرة ، فاذا توقفنا عند كل من هاتين المرحلتين نجد أن الوسائل قد تغيرت تبعا للتطور والتقدم ، ولكن الغاية واحدة فى كلتيهما .

أولا : ففى المجتمعات البدائية كان يقوم بعملية الاعلام في مختلف المجالات أفراد تتمثل أدوارهم ومهامهم أو غاياتهم فيما يأتى :

أ) فى مواجهة أخطار الطبيعة والظروف المحيطة كانت الوسيلة مجموعة من الحراس يقومون بالمراقبة والابلاغ عن الاعداء والحيوانات .

ب) حينما كانت تصدر قرارات من قيادات ومشايخ ومجالس القبيلة ، يقوم رسل متخصصون بحمل هذه القرارات لابلاغها لكافة أفراد القبيلة .

جـ) أشباعا لحاجة الإنسان إلى من يقـوم بنشر الثقـافات المختلفة كان الآباء والشيوخ يتولون مهمة تعليم الابناء الصغار حكمتهم وتراث أجدادهم وأسلافهم الثقافية .

د) أما عن مجال الترفيه فان المجتمع البدائى أو الاولى لم تغفل الاهتمام به ، حيث وجد الرواة الذين ينظمون ويحكون القصص الشعبية ، والمغنون ينشدون الاهازيج والأدوار المحبوبة ، والراقصون الذين يتمايلون على أنغام الالحان الدينية والشعبية .

ثانيا : وفى العصر الحديث تطورت الوسائل وتقدمت ، ولكن الهدف والغاية لم يطرأ عليها أى تغيير ، على نحو ما سنوضح ويستبين فيما يلى :

أ) فى مواجهة الظروف المحيطة تتولى وسائل الاعـلام الجماهيرى من إذاعة وتليفزيون وصحافة القيام بهذه المهمة .

ب) تعتبر أجهزة الاعلام الحديثة وسيلة نشر وأعلان اللوائح والقرارات وكل ما يختص بالمجتمع من تشريعات ، بما يجعلها معروفة لجماهير المستقبلين .

جـ) لحفظ التراث والثقافات المتراكمة عبر الاجيال والحكم السائدة ، تقام دور الـكتب والمـكتبات حتى يمكن أن يرتادها كل من عنده حب استطلاع لمعرفة معينة .

د) تقوم المدرسة والمعهد العلمى بتعليم النشىء الجـديد الـتراث الثقـافى والتعليمي المعاصر مع مقارنته بما كان موجوداً من قبل .

هـ) أن غاية أساسية من أهداف وسائل الاعلام الحديثة تتمثل فى العمل

جـديا على الارتفـاع بالمستويين التعليمي والثقافي لجماهير القراء والمستمعين والمشاهدين .

و) تهتم أيضا وسائل الاعلام الحديثة بالترفيه وتجعله جزءاً أساسيا في تخطيط دوراتها التي تسير عليها .

ز) أصبحت المادة الاعلامية في متناول الجميع نظرا لما تمتاز به الوسائل الحديثة من سرعة الوصول إلى عدد كبير جداً من المستقبلين بحيث يمكنها أن تؤثر على آراء الناس وتصرفاتهم وأساليب حياتهم ، مما أدى بالتالى إلى جعل هذه الوسائل قادرة على التأثير في المجتمع من خلال أعضائه وتغييره بشكل أساسي (١) .

أن وسائل الاعلام وقد انتقلت من الحالة البدائية إلى المرحلة المعاصرة قد مرت بتطورات مختلفة وصلت إلى قمتها حتى أصبحت متباينة في الطرق التي توصل بها المـادة الاعلامية إلى جمهور المستقبلين ، وتتميز هذه الطرق أو تلك التقسيمات بالوسائل الاعلامية بعدد من الخصائص يمكن إجمالها فيما يلى .

أولا : ترتكز المواد المطبوعة على قمة وسائل الاعلام من حيث كون الصحف أقدم تلك الوسائل على الاطلاق ، فقد ظهرت قبل السينما والإذاعتين المرئية والمسموعة بوقت كبير ، كما انها تستقل بعدد من الخصائص تجعلها متميزه عن غيرها من المواد والوسائل :

أ) فالمـادة المكتوبة تتيح للمستقبل الاطلاع عليها في الوقت والمكان

(1) Hancock, A., Mass Communication, Longmans, London, 1968, pp. 2-4.

اللذين يشاء ، إذ ليست مرتبطة بموعد محدد للاطلاع عليها كما انها تكون فى حوزة القارىء دائمـا ممـا يجعله يستخدمها مرات ومرات كي يستوعب كل أبعادها وذلك غير متوفر للوسائل الأخرى .

ب) قد تكون المادة المراد إرسالها للجمهور مادة معقدة وغـــير سهلة الاستيعاب ، وهنا تقع الوسائل الأخرى فى متاهة عرضها واخراجها بالصورة التي تلائم المستقبل مها أختلفت ميوله وثقافاته ، وهنا قد تقلع تلك الوسائل عن إرسال مثل هذه المواد نظراً للفرصة المتاحة للقارىء أكثر من تلك المتاحة للمستمع أو المشاهد من قراءتها والاطلاع عليها أكثر من مرة حتي يلم بجميع اطراف تعقيداتها .

ج) بالاضافة إلى مدى تعقيد بعض المواد الاعلامية ، قد يلزم عرضها وقتا أطول من غيره مما لا يتاح بسهولة فى الوسائل السمعية البصرية ، بينما يمكن للصحيفة أو المادة المطبوعة عموما أن تطور الموضوع المعرض فى أى طول يستلزمه وبأى تعقيد تظهر الحاجة إليه .

د) تسمح المـادة المطبوعة للجمهور أن يساهم بشكل خلاق في نوعيـة الاتصال غير الشخصى الذى تتم به عملية الإرسال ، وهذا يجعله يسيطر بشكل أو بآخر على ظروف التعرض لتلك المواد ، أو بمعنى آخر ان المستقبل فى المواد المطبوعة والصحف ليس جزءاً من عملية الاتصال ـ كما هو الحال بالنسبة للوسائل الأخرى ـ ولكنه مشارك بشكل فعلى فيها .

ثانيا . تعتبر الإذاعة المسموعة خير الوسائل جميعا وأكثرها وصولا لجمهور المستقبلين من حيث سهولة إستخدام الاتصال القائم على حاسة واحد

سهلة الاستخدام وهى حاسة السمع ، وفى هـذا الصدد يمكن أستنتاج بعض مميزات هذه الوسيلة فيما يلى [1] :

أ) من الأمور المسلم بها أن الجمهور العريض الذى تستهدف وسائل الأعـلام التأثير فيه وأقناعه بمـا تبثه له من مواد وبرامج مختلف الصفات ، كالأمزجة والأهواء ودرجة التعليم والجنس وخلافه ، والإذاعة المسموعة فى هذا المجال تصل إلى كل هذه الطوائف مجتمعة غير عابئة بصفاتهم المختلفة أو أماكنهم المتباعدة أو ما إلى ذلك ، كما أنها فى وصولها هذا تتسم بسهولة ويسر قد لا يتوفران لغيرها من الوسائل الأخرى .

ب) أن جمهور المستقبلين الذين يختلفون من حيث الصفات الخاصة بكل منهم تؤثر فيهم الإذاعة المسموعة أكثر من تأثير وسائل الإعلام الاخرى ، وذلك نظراً لان المواد الاعلامية التى تقدمها تعتمد على حاسة السمع وبالتالى يسهل تذكرها ممـا لو قدمت مطبوعة ، وهذا يتم على الخصوص بين جمهور المستقبلين الذين تقل درجة تعليمهم وذكائهم .

جـ) توفر الإذاعة المسموعة لجمهورها المواد الترفيهية أكثر من غيرها من الوسائل، حتى إن المستمعين غالباً ما يخلدون إليها لقضاء أوقات فراغهم حول حلو الغناء وجميل التمثيل والتفكه .

د) أن إعتماد الإذاعه المسموعة على حاسة السمع يجعل مضمون المـادة الاعلامية التى تقدمها تتكيف بطريقة تجعلها تتفق مع توقعات الجمهور ،

---

(1) Bograt, The Age of Television, Frederich Ungar, New York, 1958, pp 1 – 3.

فالمرسل الاعلامى فى هذه الاجهزة يعلم تماما مدى تباين جمهوره ، ولذا فانه يقدم لهم برامجه من خلال معرفته هذه وفى نطاق توقعات الجماهير العريضة التي تستقبل مادته .

ثالثا : تنتشر وبشكل ملحوظ الإذاعة المرئية التي وجدت مجالها وطريقها إلى الوجود قبيل بداية النصف الثانى من هذا القرن وقد تقدمت فنياتها تقدما كبيراً بحيث أصبحت تبث برامجها بالالوان وعبر الاقطار والمحيطات وفى شيء من الإيجاز يمكن توضيح أهم خصائص هذه الوسيلة الاعلامية فى النقاط التالية :

أ) تعتبر الإذاعة المرئية ذات أثر فعال فى جذب أهتمام جمهور المشاهدين نظراً لما تتمتع به خاصية الوسيلة السمعية البصرية التى تدخل كل بيت وتنقل الاحداث أولا بأول ، كما تساهم فى عملية الترفية والتعليم والتثقيف من آن لآخر عن طريق حاستي السمع والابصار .

ب) إن الإذاعة المرئية ـ والحال هذه ـ تعتبر أكبر قوة فى جذب المشاهدين وقتا أطول وبانتباه مركز ، حيث تجعل المادة الاعلامية والجمهور المستقبل وجها لوجه من خلال الشاشة الصغيرة داخل المنزل والتي تستخدم فى بعض الاحيان كلوح مساعد فى تفهم مثل هذه المادة .

جـ) تقدم الإذاعة المرئية المادة الاعلامية فى نفس زمن حدوثها خاصة لو كانت إخبارية ، مما يكسبها نوعا من الإنتشار أكثر من غيرها ، نظراً لشغف الجمهور على التعرف على الظروف المحيطة من خلال ما يصله من مواد ، فما بالنا لو كانت هذا الاحداث أو الظروف مدعمة بالصورة التي

تحكى ما حدث عيانا بيانا دونما حاجة إلى ذهاب المستقبل إلى مكان حدوث الظاهرة أو وقوع الحدث .

د) يمكن أن تتعدد أساليب تقديم المادة الاعلامية فى الإذاعة المرئية ، وهذا يكسبها ميزة أخرى تدخل فى نطاق زيادة تأثيرها على جمهور المستقبلين وأقبالهم عليها بصفة مستمرة .

وبالاضافة إلى ذلك يمكن القول أن أية وسيلة إعلامية قد تكون لهـا الحظوه من إهتمام الجمهور أكثر من غيرها [1] ، بمعنى أن لكل وسيلة أعلامية جمهور من المستقبلين الذين يفضلون الاستماع أو المشاهـدة أو الاطلاع على ما ترسله وسيلة معينة دون الاخرى بصرف النظر عن تفضيلهم للمضمون الذى تحتويه المواد الإعلامية لهذه الوسيلة ، فهناك الكثيرون يفضلون الإستماع إلى الإذاعة المسموعة ، كما يحلو للبعض الآخر التفرد بمشاهدة الإذاعة المرئية ، ويحب عدد من الجماهير الاستمتاع بالقراءة من خلال المادة المطبوعة . هذا من جهة ومن جهة أخرى قد تتفوق وسيلة معينة فى عرض مادة أعلامية من نوع على الوسائل الاخرى ، مثال ذلك أن جمهور كرة القدم يفضل متابعتها على شاشة الإذاعة المرئية على متابعتها من خلال موجات الاثير على الإذاعة المسموعة أو من خلال سطور المعلقين فى الصحف والمجلات .

---

(1) McLuhan, M., The Medium is the Message. in Inventey of Effects, Bantan Books, New York, 1967, p. 95.

٥ — المـادة الاعلامية :

تتضمن العملية الاعلامية فى جل ما تتضمن المادة التي يقوم باعدادها المرسل تأثيراً وأقناعا فى المستقبل من خلال الوسيلة الاعلامية ، والمادة الاعلامية تتطلب وتقتضى من رجل الاعلام المرور بعدة مراحل حتى يصل بها إلى صورتها النهائية التى تبث على الجماهير ، كما أن للمادة الاعلامية وما تحتويه شروطا يجب مراعاتها حتي تكون لها درجة التأثير المطلوبة . وفيما يلي عرض سريع لهذه الامور :

أ) يجب أولا على رجل الاعلام تحديد الموضوع الذى ستحتويه مادته بكل دقة ، والادلة التى سيضعها مصداقا لمـا يبغي إليه ، والادلة التى لن يلتفت إليها ، كذلك فان هناك حججا تدعم من هذه المادة لابد من الاسهاب والاطناب فيها ، وأخرى يلزم بترها والابتعاد عنها ، وهذا ما يجب ملاحظته والعمل بمقتضاه ، وعلى العموم فان المادة الاعلامية — أيا كانت — لا تصدر إلا بعد مرورها بعدد من المراحل التى تحدد الإطار الإقناعي والتأثيرى من جهة ، وتتماشى مع خصائص المستقبل ومهارة المرسل من جهة أخرى (١) .

ب) لابد كذلك من معرفة وتحديد نوعية التأثير الذى ينبغي على المادة المراد أعدادها أن تمارسة فى جماهير المستقبلين :

— فاذا كانت المـادة تستلزم الترويح النفسى ، أو تضمن موضوعا لتدعيم قيم ومعايير إيجابية سارية فى المجتمع ، فان التأثير يتم — فى هذه الحالة —

---

(1) Beisecker, T. & Person, D, The Process of Social Influence, Prentic Hall, New Jersey, 1972, p. 271.

عن طريق أستثارة العاطفة التى تفيد فى كثير من المجالات .

- وإذا كانت المادة تتضمن بعض التوجيهات فى مجال جديد لم يكن مطروقا من قبل ، أو كانت دعاية لمبدأ سياسى ، أو إقتصادى ، أو غير ذلك، فان التأثير يكون بالطريقة المنطقية الإقناعية .

- أما إذا كانت المادة تتضمن توصيات من أجل تجنب خطر معين أو حرمان من نوع ما فان التخويف هو الاجدى ليتم التأثير ، وفى هذة الحالة لابد من إستثارة التوتر العاطفى فى الجماهير ، مع ملاحظة أن يكون المرسل فى مكان الثقة من الجماهير بحيث تتلقى توصياته باطمئنان وأقتناع . وفى مجال التخويف لابد من مراعاة مضمون المادة الاعلامية ذاتها ، بحيث يكون لها معنى ، ولا يكون التخويف فيها بالقدر الكبير ، إذ كلما زاد قدر التخويف قل التأثير ، مع ضرورة إستخدام التهديد الغامض كلما أمكن ذلك ، لان تأثيره يكون أكبر ، ويجب أن يراعى فى الاخير أهمية عنصر المفاجأة ، فالتأثير تكون درجته أقل لو تعرض المستقبل لمادة من نفس النوع مسبقا .

ج) تستلزم المادة الاعلامية أسلوبا معينا لتقديم الموضوع إلى جمهور المستقبلين ، وكذ فان لها مضمونا أعلاميا يعمل أساسا للتأثير والاقناع ، وفيما يلى عرض لاهمية ذلك من خلال نوعيات المضمون والاسلوب الاعلاميين :

- تسعى الجماهير دائما إلى تدعيم ما تعتنقه من آراء وإتجاهات ، لذا فان التأثير يكون كبيراً والإقناع يكون مؤكداً لو أن المادة الاعلامية تضمنت معلومات تتفق مع الرأى السائد وتساندە ، إذ لو حدث العكس أى إذا رددت

المادة الإعلامية الرأى المعارض أو رأى الأقلية ، فان مؤيديها أو المقتنعين بفحواها سوف ينعدمون أو يقل عددهم ، فالجماهير تعتنق بعض الآراء والأفكار والإتجاهات لأنها تؤمن ببساطة بأن تلك الآراء تتفق مع رأى الاغلبية أو الرأى الشائع (١) .

— تستلزم المادة الإعلامية — فى كثير من الاحيان الإستشهاد بآراء خارجية غير تلك التي عرضها المرسل ، إلا أن ذلك لابد أن يؤخذ بحذر وفى نطاق مدى تأثير هذه الآراء فى تدعيم المادة ، ومدى توقع ظهور آراء معارضة عن المادة بحيث يمكن سبر كافة أغوارها وصولا بالمادة لمرحلة التأثير والاقناع المطلوبة ، وعموما فانه لابد أن يراعى عند إعداد أية مادة إعلامية أنه كلما صدق مصدر إرسال المادة كلما قلت الحاجه — تبعا لذلك — لمعلومات خارجية تؤيد ما يقدمه ويبثه ، كما أن هناك موضوعات تحتاج لأدلة أكثر من غيرها . كما يستلزم التنبيه إلى أن التقديم الضعيف للمادة الإعلامية يقلل من واقع أى دليل خارجى ، بالإضافة إلى التجديد المطلوب واللازم لكل مادة بحيث أن المعرفة المسبقة للأدلة المعروضة يقلل من وقعها وتأثيرها إقناعيا على الجماهير (٢) .

— يرى البعض أن إعادة بث المادة الاعلامية من الامور التى تدخل فى مجال مضايقة الجماهير ، إلا أن هذه الإعادة من العوامل التي تساعد جديا على التأثير والاقناع ، بحيث يراعي أن تكون المادة الاعلامية الواحدة على فترات

---

1) Kapper, J. T., op. cit., p. 125.

2) Beiscker, T. & Other, op. cit', p. 274

حتى يمكن للمستقبل من أستعادة كافة معلوماتها ، مما يجعله متذكراً بصفة مستمرة الهدف من هذه المادة الاعلامية وما تحتويه من موضوعات ، ولابد أن تكون الاعادة بتنويع حتى يمكنها أن تكون فعالة فى سبيل الوصول إلى الهدف المراد ، وليس مجرد الاعادة بنفس الصورة .

ـ تعتبر المادة الأعلامية التى تقدم كافة الحجج المؤيدة والمعارضة أكثر فاعلية من المادة التى تقدم جانبا واحداً فى تغيير إتجاهات جمهور المستقبلين المتعلمين تعليما عاليا ، وفى هذا يشترط ـ من جهة ـ عدم التظاهر بالحياد ، لأن الجمهور يلاحظ ذلك بسرعة ، ومن جهة أخرى عدم وصول الحياد لدرجة الكمال التام ، لأن ذلك سيوازن ما بين الجانبين ، وفى هذه الحالة لا يصبح للمادة أى تأثير . وبهذا يمكن تحصين المستقبل من الدعاية المضادة ، وفى بعض الحالات تكون مجرد الأشارة إلى وجود حجج معارضة دون ذكر أبعادها بمثابة التحقيق المطلوب (١) .

ـ تقدم المادة الأعلامية غالبا فى شكل برنامج أو تحقيق أو مقالة ، وقد تتضمن العديد من الموضوعات التى تعطى كثيراً من الآراء دون الوصول لنتائج معينة أعتماداً على إمكانية أستخلاص الجماهير لهذه النتائج بأنفسهم ، ولكن ذلك قد لا يكون مجديا من حيث أن الإقناع فى هذه الحالة ربما ان تكون له فاعلية تذكر ، والمفروض أن تحاول المادة الإعلامية أن تذكر نتائجها وأهدافها بوضوح بدلا من أن تترك لجمهور المستقبلين هذا العبء (٢) .

---

١) د. جيهان أحمد رشتى ، مرجع سابق ، ص ٤٣٨ .

(2) Cohen, A. P.; Attitude Change and Social Influence, Basic Books, New York, 1964, pp. 6 – 19.

- تسعى المادة الاعلامية إلى التأثير فى جمهور المستقبلين وأقناعهم ، ولذا فانه من الملاحظات الهامة أن هذا الجمهور أكثر أستعداداً لتحقيق الاحتياجات الموجودة فعلا وتدعيم الإتجاهات التى تؤمن بها ، عن تطويره لاحتياجات جديدة عليه تماما أو لم يألفها ، فيجب أن تميل المادة الاعلامية بموضوعاتها وآرائها إلى إستغلال أنماط السلوك والإتجاهات السائدة عن سعيها إلى غرس إتجاهات جديدة أو خلق اساليب جديدة تماما للسلوك (١) .

---

(1) Klapper, J. T., op, Cit , p. 121.

المراجـــــــع



مراجع الكتاب

أولا : المراجع العربية .

١ ـ أ. براون . علم النفس الإجتماعى ، ترجمة د. السيد محمد خيرى ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٨ ،

٢ ـ أحمد أبو زيد ، الأنثروبولوجيا الإجتماعية ، دار المعارف ، الاسكندرية ، ١٩٦٣ .

٣ ـ أحمد أبو زيد ، البناء الاجتماعى ، الجزء الأول : المفهومات ، منشأة المعارف الأسكندرية ، ١٩٦٥ .

٤ ـ أحمد الخشاب ، التفكير الإجتماعي ، دراسة تكاملية للنظرية الاجتماعية ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٨١ .

٥ ـ أحمد عزت راجح ، أصول علم النفس ، الدار القومية للطباعة والنشر ، الاسكندرية ، ١٩٦٣ .

٦ ـ السيد محمد بدوى ، التطور فى الحياة والمجتمع ، مؤسسة الثقافة الجامعية ، الاسكندرية ، ١٩٦٦ .

٧ ـ انتصار يونس ، السلوك الإنسانى ، المكتب المصرى الحديث للطباعة والنشر ، الاسكندرية ، ١٩٦٤ .

٨ ـ باركر وآخرون ، علم الإجتماع الصناعي ، ترجمة د. محمد على محمد وآخرون ، مراجعة وتقديم د. محمد عاطف غيث ، منشأة المعارف ، الاسكندرية ١٩٧٢ .

٩ – جباره عطية جباره ، الاعلام وأثره فى العلاقات الانسانية فى الصناعة : دراسات ميدانية مقارنة ، رسالة دكتوراه ، كلية الآداب جامعة الاسكندرية ، ١٩٨٠ .

١٠ – جباره عطية جباره ، الجماعات العمالية فى مجتمع المصنع ، مجلة الثقافة ، العدد ٥٧ ، السنة العاشرة ، الشركة الوطنية للتوزيع والنشر ، الجزائر ، مايو – يونيو ١٩٨٠ .

١١ – جباره عطية جباره ، العوامل المسببة للمشاكل الاجتماعية ، مجلة الثقافة ، العدد ٥٣ ، السنة التاسعة ، الشركة الوطنية للتوزيع والنشر ، الجزائر ، سبتمبر – أكتوبر ١٩٧٩ .

١٢ – جباره عطية جباره ، سوسيولوجية العلاقات الانسانية : دراسة ميدانية عن العلاقات الانسانية فى الصناعة بين القطاعين العام والخاص بالاسكندرية ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، جامعة الاسكندرية ، ١٩٧١ .

٣ – جيهان أحمد رشتي ، الأسس العلمية لنظريات الاعلام ، دار الفكر العربى القاهرة ، ١٩٧٥ .

١٤ ـ عاطف وصفى ، الأنثروبولوجيا الاجتماعية ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٧٢ .

١٥ ـ عاطف وصفى ، الأنثروبولوجيا الثقافية ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٧١ .

١٦ ـ عبد الباسط محمد حسن ، أصول البحث الاجتماعى ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، ١٩٨٣ .

١٧ ـ عبد الباسط محمد حسن ، علم الاجتماع الصناعى ، مكتبة غريب ، القاهرة ، ١٩٧٨ .

١٨ ـ عبد الحميد لطفى ، علم الاجتماع ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٧٨ .

١٩ ـ عبد اللطيف حمزة ، الاعلام له تاريخه ومذاهبه ، دار الفكر العربى ، القاهرة ، ١٩٦٥ .

٢٠ ـ عبد الله الخريجى ، الضبط الاجتماعى ، رامتان ، جدة ، ١٩٨٢ .

٢١ ـ غريب محمد سيد أحمد ، تصميم وتنفيذ البحوث الإجتماعية ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ، ١٩٨٠ .

٢٢ ـ فاروق العادلى ، المجتمع القروى ، دار الكتاب الجامعى ، القاهرة ، ١٩٨٢ .

٢٣ ـ لويد والين كوك ، المشكلات المدرسية فى العـــلاقات الانسانية ، ترجمـة عفاف محمد فؤاد ، دار الفكر العـــربى ، القاهرة .

٢٤ ـ محمد الجوهرى وآخرون ، دراسة علم الاجتماع ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٧٥ .

٢٥ ـ محمد الجوهرى وآخرون ، ميادين علم الاجتماع ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨٠ .

٢٦ ـ محمد الجوهرى وعلياء شكرى ، علم الإجتماع الريفى والحضرى ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨٠ .

٢٧ ـ محمد عاطف غيث ، القرية المتغيرة : القيطون وهلا وكفر الشيخ ، دار المعارف ، الاسكندرية ، ١٩٦٧ .

٢٨ ـ محمد عاطف غيث ، المشاكل الاجتماعية والسلوك الانحرافي ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ، ١٩٨١ .

٢٩ ـ محمد عاطف غيث ، علم الاجتماع ، الجزء الأول : النظرية والمنهج والموضوع ، دار الكتب الجامعية ، الاسكندرية ، ١٩٧٣ .

٣٠ ـ محمد عاطف غيث ، علم الاجتماع ، دار المعارف ، الاسكندرية ، ١٩٦٣ .

٣١ — محمد عاطف غيث ، قاموس علم الاجتماع ، الهيئة المصرية العامة للكتاب الاسكندرية ، ١٩٧٩ .

٣٢ ـ محمد عبد المنعم نور ، المجتمع الانسانى ، مكتبة القاهرة الحديثة ، القاهرة .

٣٣ ـ محمد على محمد ،البيروقراطية الحديثة،دار المعرفة الجامعية،الاسكندرية، ١٩٨١ .

٣٤ ـ محمد على محمد ، علم اجتماع التنظيم، دار المعرفة الجامعية،الاسكندرية، ١٩٨٢ .

٣٥ ـ محمد على محمد ، علم الاجتماع والمنهج العلمى : دراسة في طرائق البحث وأساليبه ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ، ١٩٨٣ .

٣٦ ـ محمود حسن ، الأسرة ومشكلاتها ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٨١ .

٣٧ ـ محمود حسن ، مقدمة الخدمة الاجتماعية ، مكتبة المعارف الحديثة ، الاسكندرية ، ١٩٧٩ .

٣٨ ـ مصطفى الخشاب ، دراسات فى علم الإجتماع العائلى ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٨١ .

٣٩ ـ مصطفى الخشاب ، علم الاجتماع ومدارسه ، الكتاب الأول : تاريخ الفكر الإجتماعى وتطوره ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٨١ .

٤٠ ـ مصطفى الخشاب ، علم الإجتماع ومدارسه ، الكتاب الثانى : المدخل إلى علـــم الاجتماع ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٦٥ .

٤١ ـ منير المرسى ، فى إجتماعيات التربية ، الطبعة الثانية ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٧٨ .

ثانياً : المراجع الأجنبية

42 — Allen, F.R., Technology and Social Change, New York, 1957.

43 — Arendt, H., Totalitarianism, Harvard University Press, Cambridge, 1954.

44 — Barnes, J.A., Measures of Divorce Frequency in Simple Societies, Journal of The Royal Anthropological Institute, Vol. LXXIX, 1951.

45 — Beisecker, T. & Person, D., The Process of Social Influence, Prentic Hall, New Jersey, 1972.

46 — Bendict, R., Patterns of Culture, London, 1935.

47 — Bograt, The Age of Television, Frederich Ungar, New York, 1958.

48 — Burgess, E. & Locke, H., The Family, New York, 1950.

49 — Cohen, A.P., Attitude Change and Social Influence, Basic Books, New York, 1964.

50 — Cooley, C., Sociological Theory and Social Research, Henry Holt, New York, 1930.

51 — Coser, L.A., The Functions of Social Conflict The Free Press, Glencoe, 1956.

52 — Cottrell, W.F., Deat by Dieselization, in American Sociology Review, Vol. XVI, 1951.

53 — Davis, K., Humon Society, New York, 1949.

54 — Dexter & White, People Society and Mass Communication, The Free Press, Glencoe, 1964.

55 — Durkheim, E., Les Régles de La Méthode Sociologique. Paris, 1928.

56 — Durkheim, E., Le Sucide, Paris, 1932.

57 — Evans - Pritchard, E., The Neur, Oxford, 1940.

58 — Firth, R., Elements of Social Organization, London, 1951.

59 — Fishben, M., Readings in Attitude, Theory and Measurement, Wiley, New York, 1967.

60 — Ginsberg, M., The Idea of Progress, London, 1953.

61 — Goleski, B., Basic Concepts of Rural Sociology, Manchester University Press, London, 1972.

62 — Gouldner, A., Patterns of Industrial Bureaucracy, The Free Press, Glencoe, 1954.

63 — Gurvitch, G., Traité de Sociologie, Paris, 1963.

64 — Hancock, A., Mass Communication, Longmons, London, 1968.

65 — Haribson, F. & Dubin, R., Patterns of Union Management Relations, State University Personnel Research Board, 1950.

66 — Hoepel, E., Man in the Primitive World, New York.

67 — Homans, G., The Human Group, New York, 1950.

68 — House, F.N., Development of Sociology, New York, 1936.

69 — Keesing, F., Cultural Anthropology, New York, 1958.

70 — Klapper, J.T., The Effects of Mass Communication, The Free Press, Glencoe, 1963.

71 — Kroeber, A.L. & Kluckhon, C., Culture : A Critical Review of Concepts and Definitions, New York, 1952.

72 — Laland. Vocabulaire Téchnique et Critique de Philosophie, 1926.

73 — Lapier, R.T., A Theory of Social Control, New York, 1954.

74 — Linton, R., The Study of Man, New York, 1936.

75 — Lundberg, G., Foundation of Sociology, McMillan, New York, 1969.

76 —Mannheim, K., Ideology and Utopia, London, 1936.

77 — McLuhan, M., The Medium is the Message, An Inventery of Effects, Bantan Books, New York, 1967.

78 — Merton, R., Social Theory and Social Structure, The Free Press, Glencoe, 1957.

79 — Murdock, J., Social Orgonization, New York, 1949.

80 — Newcomb, T.M., Social Psychology, New York, 1950.

81 — Ogburn, W. & Nimcoff, A Handbook of Sociology, London, 1958.

82 — Ogburn, W., Social Change, New York, 1922.

83 — Pareto, V., The Mind and Society, Trans. by : Bogiorono, A. & Livingston, A., Harcourt, New York, 1939.

84 — Park & Burgess, Introduction to the Science of Sociology, Chicago, 1924.

85 — Parsons, T., Essays in Sociological Theory, The Free Press, Glencoe, 1949.

86 — Parsons, T. & Shilis, E.A., ed. Toward a General Theory of Action, Harvard University Press, Cambridge, 1959.

87 — Parsons, T., The Social System, New York, 1972.

88 — Radcliff - Brown, A., Structure and Function in Primitive Society, London, 1952.

89 — Rubin, B., Bublic Relations and the Empire Stat, Rutgers University Press, New Jersey, 1958.

90 — Schramm, W., Mass Communication, The University of Illinois Press, Urbana, 1960.

91 — Schramm, W., Men, Message and Media, A Book of Human Communication, Harper & Brothers, New York, 1973.

92 — Schramm, W. & Roberts, The Process and Effects of Mass Communication, University of Illinois, Urbana, 1971.

93 — Selznick, P., Leadership in Administration, Evanston, 1957.

94 — Sherif, M., Psychology of Social Norms, 1936.

95 — Sorokin, P., Social and Cultural Dynamics, Vol. II, New York, 1937.

96 — Taylor, Primitive Culture, London, 1971.

97 — Terrou, F., L'Information, Press Universitaires de France, Paris, 1974.

98 — Weber, M., Bureaucracy, in : Gerth & Mills, ed., Oxford University Press, 1962.

99 — Whyte, J., ed., Review of Sociology, Amalysis of a decade, New York, 1957.

100 — Winck, C., Dictionary of Anthropology, Paterson, The United States of America, 1961.

101 — Wissler, C., Man and Culture, New York, 1953.

102 — Wolff, K.H., The Sociology of George Simmel, The Free Press, Glencoe, 1950.

103 — Young, K., Social Psychology, New York, 1944.

ثالثاً : الدوريات والمجلات العلمية

104 — American Journal of Sociology, 1959.

105 — Americon Sociology Review, Vol. XVI, 1951.

106 — Journal of the Royal Anthropological Institute, Vol. LXXIX, 1951.

107 — Review of Sociology, ed. by Whyte, J., New York, 1957.

المصطلحات الواردة بالكتاب

Abnormal Psych·logy	علم نفس الشواذ
Accomodation	التلاءوم
Action	فعل
Affective Neutrality	الكبت الوجدانى
Affectivity	الوجدانية
L'âge divin	العصر الإلهى
L'âge heroique	عصر البطولة
L'âge humain	العصر الإنسانى
Anomie	لا معيارية
Asymetrical	عدم التكافؤ
Behaviour	السلوك
Bureaucracy	البيروقراطية
Cathectic	الأخلاقية
Causality	العلية
Change	التغير
Clinical Psychology	علم النفس الاكلينيكى
Collectivity Orientation	المصالح الجماعية
Communication	إتصال
Companionship Family	أسرة الرفقة
Competition	المنافسة
Compound Family	أسرة مركبة
Conditioned Response	إستجابة شرطية

Conditioning Process	عملية التشريط
Conflict	الصراع
Conformity	إمتثال
Congnitive	الإدراكية
Consanguine Family	الأسرة القرابية
Constitutional Psychology	علم النفس التركيبي
Control	الضبط
Co-operation	التعاون
Cultural Evolution	التطور الثقافي
Cultural Pattern	النمط الثقافي
Cultural Variation	التنوع الثقافي
Culture	الثقافة
Customs	العادات (الجمعية)
Derivations	المشتقات
Destinataire	المستقبل
Development	التنمية
Development Psychology	علم نفس النمو
Differential Psychology	علم النفس الفارق
Diffe entiation	التباين
Diffu enes,	المواصفات الذائعة
Disorganization	التفكك
Division of Labour	تقسيم العمل

Divorce	الطلاق
Domestic Family	الأسرة العائلية
Dynamique Sociale	الديناميكا الاجتماعية
Economic Development	التنمية الاقتصادية
Economic Institution	النظام الاقتصادى
Education	التربية
Educatianal Instution	النظام التربوى
Emergent Evolution	التطور المنبثق
L'état Mètaphysique	الحالة الميتافيزيقية
L'état Positive	الحالة الوضعية
L'état Théologique	الحالة اللاهوتية
Evaluative	التقدير
Evolution	التطور
Expanded Family	الأسرة المتسعة
L'éxpéditeur	المرسل
Extended Family	الأسرة الممتدة
Family	الأسرة
Fetichisme	الوثنية
Formal Group	الجماعة الرسمية
Formal Social Control	الضبط الاجتماعى الرسمى
Full Automatic	آلية كاملة
Function	وظيفة

Goal	هدف
Growth	نمـــو
Habits	العادات (الفردية)
Half Automatic	نصف آلى
Haterogeneous	اللامتجانس
History	التاريخ
History of Philosophy	تاريخ الفلسفة
History of Sciences	تاريخ العلوم
Homogeneous	المتجانس
Idealistic	المثالية
Ideat	الخيالية
Ideational ast	الفن العقلي
Ideology	الأيديولوجيا
Industrial Family	الأسرة الصناعية
L'Influence	التأثير
Informal Group	الجماعة غير الرسمية
Informal Social Control	الضبط الاجتماعي غير الرسمية
L'Information	الاعلام
Inorganic	اللاعضوية
Institution	نظام
Institutional Family	الأسرة النظامية
Institutions Conflict	صراع النظم

Integration	التكامل
Interaction	تفاعل
Internalization	الإستدماج
Learning	التعلم
Loi des trois états	قانون الحالات الثلاثة
Marriage	الزواج
Mass Media	وسائل الاعلام الجماهيرى
Mechanism	ميكانيزم
Monotheisme	التوحيدية
Natural Process	العملية الطبيعية
Negative Social Control	الضبط الاجتماعي السلبي
Nonconformity	عدم إمتثال
Normlessness	فقدان المعيار
Nuclear Family	الأسرة النواة
Orientation Family	أسرة التوجيه
Organic	العضوية
Organization	التنظيم
Participation	المشاركة
Particularism	الخصوصية
Personality	الشخصية
Personality Integration	تكامل الشخصية
Personality System	نسق الشخصية

Personality Trait	سمة الشخصية
Philosophy of History	فلسفة التاريخ
Polytheisme	التعددية
Positive Social Control	الضبط الاجتماعي الايجابي
Primary Family	الأسرة الأولية
Problems	مشكلات
Process	عملية
Progress	التقدم
Psychology	علم النفس
Psychopathic	السيكوباتية
Psychosis	العصاب
Qualitative aspects	المظاهر الكيفية
Residues	الرواسب
Ricurpence	التواتر
Role	الدور
Secondary Family	أسرة ثانوية
Self - Orientation	المصالح الخاصة
Sensate	الحسية
Sensate Art	الفن الحسي
Social Accomodation	التلاؤم الاجتماعي
Social Action	الفعل الاجتماعي
Social Behaviour	السلوك الاجتماعي

Social Causality	العلية الاجتماعية
Social Change	التغير الاجتماعى
Social Control	الضبط الاجتماعى
Social Development	التنمية الإجتماعية
Social Disorganization	التفكك الإجتماعي
Social Evolution	التطور الإجتماعي
Social Group	جماعة اجتماعية
Social Institutions	النظم الاجتماعية
Social Interaction	التفاعل الاجتماعى
Social Norms	المعايير الاجتماعية
Social Organization	التنظيم الاجتماعى
Social Problems	المشكلات الإجتماعية
Social Process	العملية الاجتماعية
Social Psychology	علم النفس الاجتماعى
Social Roles	الأدوار الاجتماعية
Social Status	المكانة الاجتماعية
Social Structure	البناء الاجتماعى
Social Systems	الأنساق الاجتماعية
Socialization	التنشئة الاجتماعية
Sociology	علم الاجتماع
Specificity	المواصفات النوعية
Standerdlization	التوحيد المعيارى

Status	المكانة
Structure	بناء
Superorganic	فوق العضوية
Symmetrical	التكافؤ
System	نسق
Teaching System	نسق تعليمى
Technology	التكنولوجيا
Trusteeship Family	أسرة الوصايا
Universalism	الكلية العالمية

محتویات الکتاب

فهـــرس

الموضوع	صفحة

الموضوع	صفحة

الموضوع	صفحة

الموضوع	صفحة



